الاسوة الحسنة

للقادة والمصلحين

دروس في بناء الذات
وسياسة الأمة مستفادة من
سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله

القاها سماحة آية الله العظمى

الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله

حققت الروايات وأخرجتها لجنة المراجعة والتقييم
في مكتب سماحة آية الله العظمى
الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الوارف)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾

(الأحزاب : ٢١)

هذه مجموعة محاضرات القيت على فضلاء واساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف في مسجد الرأس الشريف المحاذي لمرقد امير المؤمنين عليه السلام وجامعة الصدر الدينية في مناسبات عديدة بين عامي ١٤٢١ ـ ١٤٢٣ هجرية المصادف ٢٠٠٠ / ٢٠٠٢ ميلادية وأعيد تسجيلها سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ ميلادية لقناة الانوار الفضائية مع تغييرات طفيفة.

حاجتنا إلى الأسوة الحسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، السلام على خيرة الله، السلام على البشير النذير السراج المنير ورحمة الله وبركاته، السلام على الطهر الطاهر، السلام على العلم الزاهر، السلام على المنصور المؤيد، السلام على ابي القاسم محمد، ورحمة الله وبركاته؛ السلام على أنبياء الله المرسلين وعباد الله الصالحين، السلام على ملائكة الله الحافِّين بهذا الحرم وبهذا الضريح، اللائذين به.

مقومات نجاح رسالة الاسلام

قلنا في مناسبة سابقة[1]: إن أي رسالة إصلاحية ومنها رسالة الإسلام، لا بد لها، لكي تنجح في بناء أمة، من شكلين من المقومات سميناها الذاتية والموضوعية، وقلنا إن الذاتية منها على دعامتين:

الأولى: ما يرجع إلى ذات الرسالة، أعني شريعة الإسلام التي توفرت فيها كل عناصر الكمال من الإستيعاب لكل شيء ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ**

(١) في ذكرى ميلاد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عندما تحدثنا عن الوالدة خديجة بنت خويلد. ونشرت المحاضرة في كتاب (من وحي المناسبات).

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾[١]، ومن خطابها للجميع: ﴿وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾[٢]، ومن خلودها: «حتى يردا علي الحوض يوم القيامة»[٣]، ومن صيانتها من الانحراف والتغيير: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٤]، وغيرها مما لا يحتاج إلى بيان، لأنها صنعة الله تبارك وتعالى الذي له الأسماء الحسنى.

الثانية: ما يرجع إلى ذات الرسول، وهو النبي محمدﷺ، وهو أكمل الخلق، ربّتهُ يد الرعاية الإلهية، لعدم وجود من هو أكمل منه حتى يربيه ويأخذ بيده في مدارج الكمال، وعن ذلك قال رسول اللهﷺ: (أدَّبني ربي فأحسن تأديبي)[٥].

ولا تكون الرسالة فاعلة ومؤثرة وتؤدي دورها في حياة الامة إذا لم يكن حاملها مستوعباً لها قد أشرب بها، وتمثَّلها في حياته، وجسَّدها في سلوكه وواقعه، حتى عاد صورة خارجية لها، وعادت صورة نظرية له، لذا لما سُئلتْ إحدى أمهات المؤمنين عن سيرة رسول اللهﷺ وأخلاقه قالت باختصار: (كان خلقه القرآن)[٦].

---

(١) الأنعام : من الآية ٣٨.

(٢) آل عمران : من الآية ٩٦.

(٣) كتاب الغدير للأميني.

(٤) الحجر : من الآية ٩.

(٥) بحار الأنوار ج١٦ ص٢١٠، وج٦٨ ص٣٨٢.

(٦) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج٦ ص٣٤٠.

ولعدم إمكانية التفكيك بين النظرية، ولا اقصد بالنظرية ما يُراد منها في المصطلح، أعني المعلومة القابلة للصحة والخطأ، وإنما أعني مجموع ما أحتوت عليه الرسالة من الأصول والفروع والأخلاق التي أسسها القرآن الكريم، والتطبيق أي بين الرسالة وسلوك القائمين عليها، صار الناس لا يقتنعون بأي رسالة مهما كانت ترفع من مبادئ ومُثل وأخلاق عالية ونبيلة، إذا كان حاملوها والقائمون عليها أول من يخالفها.

وهذا أحد أسباب أنحطاط المسلمين، وتشوّه صورة الإسلام، فكيف يقتنع الناس بحرمة شرب الخمر إذا كان الخليفة، أو ولاته يشربونها على منابر المسلمين، وكيف يقتنعون بحرمة الغناء، أو، السفور، أو، ممارسة الفاحشة، إذا كان الخليفة يعقد الليالي الحمراء لإقامتها، ونحن، الحوزة العلمية وكل مؤمن رسالي، حملة رسالة إصلاحية، كيف نستطيع أن نردع الناس عن الغيبة وإهانة المؤمن، إذا كنا نلوكها بألسنتنا، وكيف نمنعهم من مشاهدة الأفلام والمسلسلات إذا كان هذا الجهاز اللعين في بيوتنا، وكيف نأمرهم بالصلاة في أوقاتها إذا كنا ننام عن صلاة الصبح، وكيف نحثّهم على صلاة الليل ونحن لا نؤديها، أو، نحثهم على إفشاء السلام ونحن لا نرد التحية بمثلها، فضلاً عما هو أحسن منها، وكيف نقنعهم بترك التدخين ونحن نتناوله، ونصرف الأموال في سبيله، بدلاً من أن ننفقها في قضاء حوائج المؤمنين، وما أكثرهم اليوم.

هذا الترابط الوثيق بين الرسالة وسلوك حاملها عَبَّر عنه أمير

المؤمنين عليه السلام: (إنّي وَاللَّه مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَة إلاَّ وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَلاأَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَة إلاَّ وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا)[1]، ولذا قالوا: إن الواعظ إذا لم يكن متعظاً فلا يؤثر في القلوب ولا يهذب النفوس. لا قيمة للعلم إذا لم يقترن بالعمل، ومن هنا أكدت أحاديث المعصومين عليهم السلام على ضرورة اقتران العلم بالعمل، وأنه لا قيمة للعلم إذا لم يقترن بالعمل، فعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[2]، قال: (يَعْني بِالْعُلَمَاء مَنْ صَدَّقَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ فِعْلُهُ قَوْلَهُ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ)[3]؛ وعن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يحدِّث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في كلام له: (الْعُلَمَاءُ رَجُلان: رَجُلٌ عَالِمٌ آخِذٌ بِعِلْمِه فَهَذَا نَاجٍ، وَعَالِمٌ تَارِكٌ لِعِلْمِه فَهَذَا هَالِكٌ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّار لَيَتَأَذَّوْنَ مِنْ رِيحِ الْعَالِمِ التَّارِكِ لِعِلْمِه، وَإِنَّ أَشَدَّ أَهْلِ النَّار نَدَامَةً وَحَسْرَةً رَجُلٌ دَعَا عَبْداً إِلَى اللَّه فَاسْتَجَابَ لَهُ وَقَبِلَ مِنْهُ فَأَطَاعَ اللَّهَ فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَأَدْخَلَ الدَّاعِيَ النَّارَ بِتَرْكِه عِلْمَهُ وَاتِّبَاعِه الْهَوَى وَطُولِ الأَمَلِ، أَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَطُولُ الأَمَلِ يُنْسِي الآخِرَةَ)[4]؛ وعن

---

(١) نهج البلاغة ص٢٥٠ خطبة ١٧٥، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٠ ص١٠، والطرائف ج٢ ص٥٠٩.

(٢) فاطر: من الآية ٢٨.

(٣) الكافي ج١ ص٣٦، وبحار الأنوار ج٦٧ ص٣٤٤.

(٤) الكافي ج١ ص٤٤، وبحار الأنوار ج٢ ص٣٤، وص١٠٦، وأعلام الدين ص٨٩، والخصال ج١ ص٥١، وعوالي اللآلي ج٤ ص٧٦، ومنية المريد ص١٤٦.

الإمام الصادق عليه السلام قال: (الْعِلْمُ مَقْرُونٌ إِلَى الْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَمَنْ عَمِلَ عَلِمَ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلا ارْتَحَلَ عَنْهُ)[1]؛ وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا بِمَا عَلِمْتُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، إِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِه كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لا يَسْتَفِيقُ عَنْ جَهْلِه، بَلْ قَدْ رَأَيْتُ أَنَّ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةَ أَدْوَمُ عَلَى هَذَا الْعَالِمِ الْمُنْسَلِخِ مِنْ عِلْمِه مِنْهَا عَلَى هَذَا الْجَاهِلِ الْمُتَحَيِّرِ فِي جَهْلِه، وَكِلاهُمَا حَائِرٌ بَائِرٌ[2])[3]، وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: (**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ**)[4]، قال عليه السلام: (هُمْ قَوْمٌ وَصَفُوا عَدْلاً بِأَلْسِنَتِهِمْ ثُمَّ خَالَفُوهُ إِلَى غَيْرِه)[5].

نتائج تطبيق الرسالة الإسلامية:

فحينما نحتفل بذكريات المعصومين عليهم السلام، وأولهم رسول الله صلى الله عليه وآله،

(١) الكافي ج١ ص٤٤، وبحار الأنوار ج٢ ص٣٦، وص٤٠، وعدة الداعي ص٧٨، ومنية المريد ص١٨١، ونهج البلاغة ص٥٣٩، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد المعتزلي ج١٩ ص٢٨٤.

(٢) ورجل حائر بائر: يكون من الكسل ويكون من الهلاك، وفي التهذيب: رجل حائر بائر، لا يتَّجِهُ لشَيءٍ ضالٌّ تائهٌ، وهو إتباع، والابتيار له. لسان العرب، مادة: بور. .

(٣) الكافي ج١ ص٤٥، وبحار الأنوار ج٢ ص٣٩، ومنية المريد ص١٤٧.

(٤) الشعراء: من الآية ٩٤.

(٥) الكافي ج١ ص٤٧، وج٢ ص٣٠٠، ووسائل الشيعة ج١٥ ص٢٩٦، ومستدرك الوسائل ج١١ ص٣٢١، وبحار الأنوار ج٢ ص٣٥، وج٦٩ ص٢٢٤، والزهد ص٦٨.

فإنما نستعيد بها ذكرى التطبيقات الكاملة للشريعة، كما نحتفل بذكريات الشريعة نفسها، كيوم الغدير الذي هو يوم تمام الشريعة وكمالها، بحسب ما نطقت به الآية الشريفة.

هذه الوشيجة بين النظرية والتطبيق، أو، قُلْ بين الرسالة وسلوك حاملها، نخرج منها بعدة نتائج:

١- إن الشريعة كلما كانت أكمل فحاملها يكون أكمل ولما كانت شريعة الإسلام أكمل الشرائع الإلهية فيكون رسول الله صلى الله عليه وآله أكمل الخلق وأشرفهم.

٢- إن شريعة الإسلام خالدة ودائمة، فيكون وجود المعصوم عليه السلام دائمياً ومستمراً، وهو ما نعتقد به، ودَلَّت عليه الأحاديث الشريفة التي مضمونها (لاتَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للَّه بحُجَّة إمَّا ظَاهراً مَشْهُوراً وَإمَّا خَائفاً مَغْمُوراً)[1] وما جاء في حديث الثقلين (إنِّي تَارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضلُّوا كتَابَ اللَّه وَعِتْرَتي أَهْلَ بَيْتِي وَإنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)[2].

(١) نهج البلاغة ص٤٩٥ من وصيه له عليه السلام لكميل بن زياد صاحبه في فضل العلم.

(٢) وسائل الشيعة ج٢٧ ص٣٣، ومستدرك الوسائل ج٧ ص٢٥٤، وج١١ ص٣٧٢، وبحار الأنوار ج٢ ص٩٩، وص٢٢٥، وص٢٨٥، وج٥ ص٢٠، وج٢٣ ص١٠٧، وص١٠٨، وص١٢٦، وص١٣٣، وص١٣٤، وص١٣٦، وص١٤٠، وص١٤٥، وص١٤٦، وص١٤٧، وج٣١ ص٣٧٥، وص٤١٤، وج٣٥ ص١٨٤، وج٣٦ ص٣٣١، وص٣٣٨، وج٣٧ ص١١٣، وص١٣٧، وص١٦٧، وج٤٥ ص٣١٣، وج٤٧ ص٣٩٨، وج٦٥ ص٢٢، وج٨٩ ص١٣، وص٢٧، والإحتجاج ج١

٣- إن الإعتداء على حامل الرسالة وممثليها من أنبياء، أو، أئمة، إنما هو إعتداء على الشريعة نفسها، وبالعكس، فإن أي إعتداء على الشريعة بتحريفها، أو، تمييعها، أو، مخالفتها، إنما هو إعتداء على حامل الرسالة نفسه، لذا ورد في تفسير قوله تعالى (**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ**)[1]، أي بتحريف تعاليمهم ومخالفتها وتشويهها، فليعلم هؤلاء الذين يعصون الله تبارك وتعالى بترك الصلاة، أو، الخمس، أو، السفور، أو، التبرج، أو، ترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو، يشيعون الفاحشة في المجتمع المسلم، بنشر الصور الخلاعية، وفتح محلات الفسق والفجور، إنما يقتلون بها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين والأئمة الأطهار عليهم السلام.

ص١٤٩، وص٢٦٢، وج٢ ص٣٨٠، وص٤٥٠، والإرشاد ج١ ص٢٣١، وإرشاد القلوب ج١ ص١٣١، والإقبال ص٤٥٤، والأمالي للصدوق ص٤١٥، والأمالي للطوسي ص١٦١، وص٢٥٥، وص٥٤٧، وبشارة المصطفى ص٢٧٥، وبصائر الدرجات ص٤١٣، وص٤١٤، وتأويل الآيات الظاهرة ص٦١٦، والتحصين لإبن طاوس ص٦٣٥، وتفسير العياشي ج١ ص٥، وتفسير القمي ج١ ص١٧٣، وج٢ ص٣٤٥، ورجال الكشي ص٢١٩، وروضة الواعظين ج٢ ص٢٧٣، وسعد السعود ص٢٢٨، وصحيفة الرضا (عليه السلام) ص٥٩، والطرائف ج١ ص١١٤، وص١١٥، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج٢ ص٦٢، وكتاب سليم ص٦٤٦، وكشف اليقين ص١٨٦، وص٤٢٥، وكفاية الأثر ص٨٧، وص١٣٦، وص١٦٢، وكمال الدين وتمام النعمة ج١ ص٦٤، وص٢٣٤، وص٢٣٥، وص٢٣٦، وص٢٣٨، وص٢٣٩، وص٢٤٠، وص٢٧٩، ومئة منقبة ص١٦١، ونهج الحق ص٢٢٦، وص٣٩٤.

(١) البقرة: من الآية ٦١.

٤- إن الإسلام إنما يتقدم وينتشر وتحصل القناعة به بتقدم أبنائه، خصوصاً: العلماء، والحوزة الشريفة، والمؤمنين الرساليين، وتكاملهم، وحُسن تجسيدهم له، فحينما يقول الحديث: (الْفُقَهَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ، مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا)[١] إنما يشير إلى هذه المسئولية المزدوجة، (أعني المسئولية النظرية، أو، قل العلمية، ببيان محاسن الإسلام، وعظمة تشريعاته، وتكاملها، وقدرتها على قيادة البشرية نحو السعادة والصلاح، والمسئولية العملية بتمثيل الإسلام في سلكوهم وتفاصيل حياتهم) فهاتان مسئوليتان لا تنفكان عن بعضهما.

وقد وعدت الأحاديث الشريفة بأنَّ الله تعالى يقيِّض لهذا الدين في كل زمان من يمثله هذا التمثيل ليكون حصناً حقيقياً للإسلام، قال عليه السلام: (فَإِنَّ فِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ فِي كُلِّ خَلَفٍ عُدُولاً، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ)[٢] فكونوا من هذا الخلف فإنها فرصة متاحة لأي أحد يعمل بجد واجتهاد، لتأهيل نفسه لهذا الموقع، والله تعالى لا يبخل عن إعطاء المستحق حقه، وهو القائل (**وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**)[٣].

(١) الكافي ج١ ص٤٦، وبحار الأنوار ج٢ ص٣٦، وص١١٠، وج٧٢ ص٣٨٠، وأعلام الدين ص٩٠، ومنية المريد ص١٣٨، وص١٦٣، ومستدرك الوسائل ج١٣ ص١٢٤، وج١٧ ص٣١٢.

(٢) الكافي: ج١ ص٣٢، ووسائل الشيعة ج٢٧ ص٧٨، ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٢٩٩، وبحار الأنوار ج٢ ص٩٢، وص١٥١، والاختصاص ص٤، وبصائر الدرجات ص١٠، ومنية المريد ص١١٢، وص٣٧٢.

(٣) هود: من الآية ٨٥.

أهمية الأسوة الحسنة:

لأجل هذه النقاط ركّز القرآن الكريم على أهمية الأسوة الحسنة في تربية البشر وهدايتهم وإصلاحهم، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**﴾[١] فقد تؤثّر الأسوة الحسنة في حياة الناس أكثر مما تؤثّر فيهم كتب كثيرة، وأكَّدته الأحاديث الشريفة: (كونوا لنا دعاة صامتين)[٢]، و(كونوا لنا دعاة بأفعالكم لا بأقوالكم)، وبمقدار ذلك تكون خطورة القدوة السيئة[٣]، والعياذ بالله، لذا ورد التهديد الكبير للعلماء إذا نكبوا عن الصواب، وفارقوا الطريقة المثلى، لأن هذا يؤدي إلى إعراض الناس عن الشريعة، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَالِمَ مُحِبّاً لِدُنْيَاهُ فَاتَّهِمُوهُ عَلَى دِينِكُمْ، فَإِنَّ كُلَّ مُحِبّ لِشَيْءٍ يَحُوطُ مَا أَحَبَّ، وَقَالَ عليه السلام: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ عليه السلام: لا تَجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَالِماً مَفْتُوناً بِالدُّنْيَا فَيَصُدَّكَ عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِي، فَإِنَّ أُولَئِكَ قُطَّاعُ طَرِيقِ عِبَادِيَ الْمُرِيدِينَ، إِنَّ أَدْنَى مَا أَنَا صَانِعٌ بِهِمْ أَنْ أَنْزِعَ حَلاوَةَ مُنَاجَاتِي عَنْ قُلُوبِهِمْ)[٤]، وعن حفص بن غياث عن الإمام

(١) الأحزاب : من الآية ٢١.

(٢) مستدرك الوسائل ج١ ص١١٦، وج٨ ص٣١٠.

(٣) كالمطرب والممثل الفاسق والظالم والطاغوت.

(٤) الكافي ج١ ص٤٦، وعلل الشرائع ج٢ ص٣٩٤، ومنية المريد ص١٣٨، وبحار الأنوار ج٢ ص١٠٧، ومجموعة ورام ج٢ ص٣٦.

الصادق عليه السلام قال: (يَا حَفْصُ، يُغْفَرُ لِلْجَاهِلِ سَبْعُونَ ذَنْباً قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لِلْعَالِمِ ذَنْبٌ وَاحِدٌ) [١] وعنه أنه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال عيسى بن مريم عليه السلام: (وَيْلٌ لِلْعُلَمَاءِ السَّوْءِ كَيْفَ تَلَظَّى عَلَيْهِمُ النَّارُ) [٢] وقد اشتهرت كلمة بعضهم (إذا فسد العالِم فسد العالَم).

الرسول الكريم صلى الله عليه وآله خير اسوة:

إننا اليوم أحوج ما يكون إلى عرض صورة الأسوة الحسنة في حياتنا، فنحن مسؤولون أكثر من أي وقت مضى عن دراسة حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرته دراسة تحليلية، لكي نتمثلها في حياتنا، وتكون نبراساً لنا، ليس فقط في حياته الشخصية الخاصة، لكونه أكمل المخلوقات وأشرفها وأحقها بالإقتداء، وإنما ايضاً في حياته العامة، لكونه أعظم مصلح إجتماعي عرفته البشرية، ولكونه مؤسس خير أمة أُخرجت للناس من العدم، ولكون قيادته المباركة وفَّرت للبشرية أسعد عصر من عصورها.

هذه الأبعاد المتعددة في شخصيته صلى الله عليه وآله جعلته أولى الناس بالتأسي والإقتداء لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأراد السعادة لنفسه ولأمته.

وقد ذكرتُ في بعض المناسبات وجهاً لمعنى الكلمة العامية (سفرة

---

(١) الكافي ج١ ص٤٧، وبحار الأنوار ج٢ ص٢٧، وج٧٥ ص١٩٢، وتفسير القمي ج٢ ص١٤٦.

(٢) الكافي ج١ ص٤٧، وبحار الأنوار ج٢ ص٣٩، ومنية المريد ص١٤١.

الحسين واسعة) ويمكن أن يراد لها معنى واقعي غير ما ذكروه، وهو أن حياة الحسين عليه السلام سفر مبارك يتسع كل ما يريده الطامحون إلى الكمال، التواقون إلى السعادة، الفارون من الحضيض، وجده رسول الله صلى الله عليه وآله أولى بهذه السعة منه عليه السلام، فلنأخذ من هذا السفر المبارك ما يعيننا على مسئولياتنا، التي قلنا إنها أضخم من أي يوم مضى من أكثر من جهة.

مسئوليتنا اليوم أضخم من الماضي:

١- إننا نواجه جاهلية عاتية تضرب بأطنابها أرجاء الأرض، في أفكارها واعتقاداتها، وفي سلوكياتها واهوائها ونزعاتها[١]، بل إن جاهلية اليوم جمعت كل مساوئ جاهليات الأمس القريب والبعيد، وقد عقدتُ فصلاً طويلاً في كتاب (شكوى القرآن) لبيان مفهوم الجاهلية بحسب ما يستفاد من القرآن، وقد ذكرتُ خمس عشرة نقطة إلتقاء بين الجاهليتين[٢].

(١) من الفاسقات اللواتي نصبن فخوخ الفتنة والإغراء، إلى بورصات إقتصادية يسيل لها اللعاب، إلى فنانين لا عمل لهم إلا تدمير الأخلاق والقيم الإجتماعية، إلى قوانين وضعية تبيح اللواط، وتجيز الزواج بين الذكور، إلى الزنا الذي يفوح برائحته الكريهة وأمراضه الفتاكة كالايدز.

(٢) تجدها في (شكوى القرآن: ص٦١) وخلاصتها:

١- إن جاهلية الأمس كانت تعبد غير الله تعالى، وجاهلية اليوم كذلك تعبد غير الله تعالى، لأن العبادة بمعنى (الطاعة والولاء)، وأصنام اليوم أشد خطراً من أصنام الأمس الصماء، فهي اليوم أشد تأثيراً وإغراءاً، كالمطربين، والممثلات، والموضة، والاتكيت.

←

وخرجنا بنتيجة: أن الجاهلية ليست فترة زمنية ومرحلة تاريخية إنتهت بظهور الإسلام، وإنما هي نمط من أنماط الحياة، تتردى إليها البشرية وتسقط فيها كلما ابتعدت عن شريعة الله تبارك وتعالى، فما أحوجنا إلى أن نستلهم من سيرته صلى الله عليه وآله كيفية مواجهة هذه الجاهلية، بحيث استطاع ان ينقلهم صلى الله عليه وآله في مدة ضئيلة من عمر الزمن، وهي ثلاثة وعشرون عاماً، من

←

٢- إن جاهلية الأمس كانت تحكمها غير شريعة الإسلام، وكل حكم اليوم بغير ما أنزل الله تعالى فهو حكم جاهلي (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ)(المائدة: من الآية ٥٠)، وما أكثر هذه الأحكام اليوم من حكم العشائر إِلَى القوانيّن الوضعية التي تبنتها دول العالم.

٣- إنحراف العقيدة في مجتمع الأمس يشبهه إنحرافها اليوم.

٤- من معالم الجاهلية السفور والتبرج والتهتك وشيوع الفاحشة الذي لا يخفى على مبصر.

٥- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- التقليد الأعمى للآباء والأعراف المتفشية بينهم، وتقليد اليوم أخطر من سابقه، حيث إتباع المطرب والفنان والرياضي.

٧- عدم معرفة الإمام الحقيقي والمسئولية المترتبة على هذه المعرفة، مثلما نراه اليوم بكل وضوح.

٨- الخضوع للماديات، وعدم الإعتراف بما وراء المادة وإنكار الغيب.

٩- ومن سمات الجاهلية عزل الناس عن القرآن.

١٠- ومن سمات الجاهلية التشتت والتمزق، كما هو واضح.

١١- ومن سمات الجاهلية الرعب من الموت، ومن كل ما يوحي به.

حضيض الجاهلية إلى قمة الإسلام السامقة[١]، وقد ذكرتُ في نفس الكتاب عدة دروس مستفادة من هذه التجربة[٢].

٢- إننا نقترب بسرعة من يوم الظهور المبارك لبقية الله الأعظم، ومن شروطه وصول البشرية إلى قناعة كاملة بالإسلام، وقد قلنا قبل قليل: إن القناعة بالإسلام كنظام ورؤية للحياة لا تنفك عن القناعة بسلوك حامليه ومعتنقيه، فكلما كان التطبيق أكثر صدقاً كان أسرع في حصول هذه القناعة، وقد وردت التطمينات بأن الإسلام لا يحتاج إلى جهد كبير من أبنائه لتحصل قناعة الآخرين به، لأنه يغلب العقول، ويفتح القلوب، بلا

(١) فحاشا لله تعالى أن يترك جاهلية اليوم سدى، ولا يبعث لها مصلحاً معصوماً هو الحجة بن الحسن المهدي (أرواحنا لمقدمه الفداء).

(٢) تجدها في ص ٨٨ وخلاصتها:

١- الإلتفات إلى جانب العلل أكثر من المعلولات عند معالجة حالة معينة.

٢- الإستفادة من طريقة القرآن في إصلاح النفس والمجتمع، وهي ضرورة بناء الجانب الأخلاقي والعقائدي لشخصية المسلم، حيث أنه (القرآن) ركز على (العقل، القلب، والروح) فالعقيدة والأخلاق هي التي ترسم الهدف الذي يعيشه الانسان، وتحدد معالم مسيرته.

٣- التدريجية في الهداية والإصلاح والأخذ بأيدي الناس برفق.

٤- الإهتمام بالمرتكزات الأساسية لكيان الأمة، مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإمامة والولاية ومودة ذوي القربى والإعتصام بالقرآن.

٥- الحث على طلب العلم والتعلم.

٦- تكرار واستمرار جرعات العلاج وعدم الاكتفاء بالمرة الواحدة.

عناء كثير، عكس المبادئ الأرضية التي لا تستطيع ان تحصل هذه النتيجة بكل أساليب الإغراء، أو، البطش والتهديد، وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: (... فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)[١]، (كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً)[٢]، والتاريخ شاهد على ذلك، فان المغول، وهم أكثر الشعوب وحشية، ما لبثوا أن دخلوا الإسلام بعد أن اكتسحوا بلاده قتلاً ونهباً وتدميراً، وها هو ذا الغرب ينتابه القلق من إقبال أبنائه على الإسلام، فتقول إحصائية في بريطانيا: إن عشرين ألف إمرأة بريطانية إعتنقت الإسلام، احداهن استاذة جامعية أعلنت إسلامها في كلمة ألقتها في تجمع في حدائق (هايد بارك) الشهيرة في قلب لندن، وسوف ترى عن قريب كيف أن الإسلام يفتح قلوب أعدائه، إلا من ضرب عليها إبليس بالأغلال كالصهاينة.

ألسنا ندعوا الله تبارك وتعالى أن ينتصر بنا لدينه، وأن يجعلنا من أنصار وليه الأعظم ؟، بل نقرأ في دعاء الإفتتاح: أن نكون من الدعاة إلى طاعته تبارك وتعالى، والقادة إلى سبيله في دولته الكريمة، فها هي

(١) بحار الأنوار: ج٢ ص٣٠، وج٧٥ ص٣٤٨، والكافي ج٨ ص٢٢٩، ووسائل الشيعة ج٢٧ ص٩٢، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص٣٠٧، ومعاني الأخبار ص١٨٠.

(٢) بحار الأنوار ج٦٥ ص١٥١، وج٦٨ ص٢٨٦، وص٣١٠، وج٨٥ ص١١٩، ووسائل الشيعة ج١٢ ص٨، وص١٩٣، ومستدرك الوسائل ج٨ ص٣١٤، وأعلام الدين ص١٤٣، والأمالي للصدوق ص٤٠٠، والأمالي للطوسي ص٤٤٠، وبشارة المصطفى ١٦٩، وص٢٢٢، والحكايات ص٩٣، وروضة الواعظين ج٢ ص٤٦٧.

الخطوة الأولى والمهمة التي رسمها القرآن الكريم (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**)[1] وشرحها أمير المؤمنين عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله: (ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد)[2].

الحرب التي يعيشها الاسلام اليوم:

٣- إننا نعيش حرباً شعواء على الإسلام بأشكال مختلفة، أحدها الحرب العسكرية، التي يسمونها الحرب ضد الارهاب، وقد إتحدوا جميعاً وتناسوا خلافاتهم وكل عداواة الأمس، ليكونوا يداً واحدة في هذه الحرب، وقد أعلنت الأخبار اليوم (٢٠٠٢/٥/٢٨)، وأنا أكتب هذه السطور، أنهم وضعوا المسمار الأخير في نعش الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي واتحدوا واتفقوا على الاشتراك في إتخاذ القرار بين روسيا وحلف شمال الأطلسي، فياترى من غير الاسلام والمسلمين العدو الذي اتحدوا لمواجهته ؟ وهذا الشكل من الحرب واضح وملتفَتٌ إليه، لكن الأخطر منه هو الحرب الخفية بتشويه صورة الإسلام، وتمييع أحكامه، وإفراغه من مضامينه، والإكتفاء بالشكليات، فلا مانع من أن تتحجب المرأة

(١) الأحزاب : آية ٢١.

(٢) نهج البلاغة: ص٤١٦، ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٥٤، وبحار الأنوار ج٣٣ ص٤٧٣، وإرشاد القلوب ج٢ ص٢١٤، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٦ ص٢٠٥.

ولكن على الطريقة الأمريكية، أو، الفرنسية، ولا بأس بأن يلتزم الشاب بالصلاة والصوم ما دام غربياً في أفكاره وولائه ومظهره، وأن يكون إهتمام الناس منصبَّاً على الإزدياد من المظاهر الدنيوية، فلا يستقر في دار حتى يطمح إلى أحسن منها، وسرعان ما يبدّل سيارته إلى أحدث موديل، أو، أثاثه، أو، يتفاخر بكثرة أمواله، هذا غير ضياعه في المتع المتنوعة من رياضة وفن، فلا يلبث أن يمل من متعة حتى يأتوه بغيرها، ليبقى في هذه الدوامة والدائرة المفرغة، ولا يلتفت إلى أهدافه الحقيقية، رغم ان القرآن صريح وواضح (**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**)[1] ومحل الشاهد، أننا لو درسنا أسباب هذا الضياع لوجدنا أن أهمها غياب القدوة الحسنة التي تبهر العقول، وتدخل القلوب، وتقنعهم بالإتبَّاع والتأسي، وتلغي كل ما سواها، وقد دأب الانسان على المتابعة والمشاكلة للشخصيات التي ينبهر بها، حتى في الاشياء التي لا علاقة لها بسبب انبهاره، فمثلاً هو يُعجب به كبطل أفلام، أو، رياضي، إلا أنه يقلده في ملبسه وحركاته ومظهره، بل حتى أفكاره ومعتقداته أحياناً، فإذا غابت عن حياته الأسوة والقدوة الحسنة، نعم، فإنه سينجذب إلى الأسوة السيئة من رياضي، أو، فنان، أو، بطل فلم وهمي، أو، نحوه.

(١) التوبة: ٢٤.

علينا أن لا نتبوء موقعاً إلا بجدارة

لذا تجد من أهم العوامل التي جذبت الناس إلى الإسلام: الإنبهار والذوبان في شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله التي ظلت مؤثّرة في نفوس أصحابه حتى بعد وفاته صلى الله عليه وآله، بل إلى اليوم، فان الكثير ممن اعتنقوا الإسلام إنما اعتنقوه إعجاباً بسيرة رجاله كرسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، والحسن والحسين عليهما السلام.

وهذا، أي تأثير شخصية النبي صلى الله عليه وآله في نفوس اصحابه، مما شهد به الأعداء، وجعل الرعب يتملكهم فملأهم شعور بالإحباط واليأس من المواجهة عندما خرج وفد من قريش لاستطلاع أخبار النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، فوجدهم محدقين به يتبركون بتراب أقدامه، ولا يدعون ماء وضوءه يسقط إلى الأرض بل يتقاسمون قطراته.

وقد حرص صلى الله عليه وآله أن لا يتبوأ هذا المقام الرفيع إلا بعد أن ملك القلوب، وخطف الألباب بأخلاقه وحسن سيرته، حتى سموه صلى الله عليه وآله في الجاهلية بالصادق الامين، وما وجدوا له خطلة في قول، ولا زلة في فعل، وألقى عليهم الحجة بذلك حين أعلن صلى الله عليه وآله دعوته قائلاً: (لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقيّ ؟، قالوا: نعم، قال: فإني نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ) [1].

(١) بحار الأنوار ج٩ ص١٣٢.

وهذا درس يمكن أن نستفيده من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، غيرما ستأتي الإشارة إليها، وهو أن لا نتبوء مقعداً إجتماعياً إلا حينما نكون أهلاً له، بحيث تتوفر القناعة الكاملة لدى الأمة باستحقاق هذا الموقع.

وحياته صلى الله عليه وآله حافلة بالكثير مما يُتأسى به، وكيف لا يكون كذلك وهو صنو القرآن الذي هو (**تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**)[1]، و(**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**)[2]، وهو صلى الله عليه وآله كذلك، والقرآن شفاء وهدى ورحمة ونور وبيان وذكر ومبارك وحكيم، وهو صلى الله عليه وآله كذلك، وقد أشبعنا البحث عن هذه الملازمة في كتاب شكوى القرآن.

دراسة سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله كقائد ومصلح:

لم تتعرض كتب التاريخ لسيرة المعصومين عليهم السلام بعنوانهم قادة ومصلحين إجتماعيين مارسوا عملية التغيير في النفس والمجتمع بأعظم أشكاله وبحسب ما أُتيح لهم من الفرص، بل إن بعضهم، وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين والحسن المجتبى عليهما السلام - قاد دولة، واضطلع بأعباء الرئاسة الدنيوية، على تعبيرهم، إضافة إلى الإمامة الدينية التي لا تنفك عنهم بحال.

وإنما تناولتْ المصادر حياتهم كأشخاص، واكتفت بالسرد التاريخي

(١) النحل: من الآية ٨٩.

(٢) الأنعام: من الآية ٣٨.

لتفاصيل حياتهم على أنها جزئيات متفرقة.

ويمكن إيجاد أكثر من مبرر لهذا النقص في المصادر التاريخية بالنسبة للأئمة الطاهرين، ومنها:

١- إقصاؤهم عليهم السلام عن موقع القيادة الإجتماعية، فلم تُعط لهم الفرصة الكاملة لممارسة هذا الدور، مما طبع على سلوكهم النشاط الفردي، أو، هكذا يتراءى للناظرين في حياتهم بالنظرة الساذجة، وإلا فإن لهم أدواراً مهمة أدَّوها في حياة الأمة، تناولناها تفصيلاً في كتابنا المطبوع (دور الأئمة في الحياة الإسلامية).

٢- عدم نضج الفكر الاجتماعي لدى مؤرخي تلك الأجيال، ليتناولوا بالدراسة والتحليل ما كان يصدر عن الأئمة عليهم السلام من تصرفات ومواقف، وإنما كانوا ينقلون الوقائع التاريخية على أنها روايات لمشاهدات، أو، مسموعات مشتتة متفرقة لا تنتظم ضمن إطار محدد يُعبِّر عن مشروع حضاري، أو، برنامج إصلاحي تغييري، كالذي عرضناه في كتابنا المذكور آنفاً.

٣- الإخفاء المتعمد لكثير من تفاصيل حياتهم، إما حسداً، أو، تعصباً، وهذا شأن مخالفيهم، أو، تقية وهذا شأن مواليهم خصوصاً، وإن أغلب التواريخ قد كُتبت في عصر العباسيين ألد اعداء البيت النبوي الشريف، لذلك يقول أحدهم واصفاً علي بن أبي طالب عليه السلام باستغراب: (لقد أخفى فضائله أولياؤه خوفاً، وأعداؤه حسداً، ومع ذلك فقد ظهر له ما ملأ

الخافقين)، فكيف ستكون الحصيلة لو نقلت لنا الأقوال والأفعال بأمانة وموضوعية.

٤- إن جُلَّ ما وصل إلينا من تاريخهم عليهم السلام هو ما كتبه أصحابهم واتباعهم ومحبوهم، وقد ركَّز هؤلاء على الجوانب التي تدعم عقيدتهم فيهم عليهم السلام، وتثبت أحقيتهم بالأمر، وما ينفعهم عند الجدال والمخاصمة والاحتجاج، فاهتموا بالمناقب والفضائل والمعجزات والنص على الإمامة والدلالة عليها، ولم يعيروا إهتماماً معتداً به لجوانب حياتهم الأخرى.

٥- تَلَفُ الكثير من الآثار بسبب الفتن المذهبية والأحداث السياسية.

أقول: ولو كان العذر متوفراً في الأئمة الطاهرين عليهم السلام من جهة هذه المبررات وغيرها، إلا أن عدداً منها لا يأتي فيما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وآله، فقد تسلَّم موقع القيادة، وأسَّس دولة ومجتمعاً مدنياً، ومارس عملية التغيير بأوسع أشكالها، مما لم يستطع فعله أحد، وإن تفاصيل حياته الشريفة مدونة حتى في الأمور العادية كالمأكل والملبس، ولا مصلحة لأحد من المسلمين في إخفاء آثاره، فإن الكل يفتخرون بالإنتساب اليه.

فما علينا إلا أن نعيد قراءة سيرته صلى الله عليه وآله بنظرة جديدة تهمنا نحن كقادة ومصلحين إجتماعيين، إمتثالاً للآية الشريفة التي حثت على التأسي به صلى الله عليه وآله، وهو لا يختص بمفردات حياته الشخصية، وإنما ينبغي أن يكون على جميع الأصعدة، وبجميع المستويات، وبكل الإتجاهات، مما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

إن عملية التغيير التي قام بها رسول الله ﷺ معجزة من معجزاته ﷺ، يتعزز بها إيمان المسلم المؤمن برسالته ﷺ، وتكون حجة على غير المؤمن به ﷺ، وهي بين هذا وذاك مثال يحتذى لأي قائد يريد أن يؤسس أمة ويسوسها، ويبني مجتمعاً فاضلاً صالحاً، كذاك الذي أقامه رسول الله ﷺ في المدينة، ولم يشهد له التاريخ مثالاً، فلم نسمع أن أحداً سرق، أو، قتل، أو، زنى، ولا بأي إنحراف آخر مما تعجُّ به الدول المتقدمة مادياً اليوم، والمتشدقة بحقوق الانسان، إلا حوادث نادرة، إذ لا يُتصور في تلك الفترة القصيرة أن يصل كل المجتمع إلى درجة التكامل المنشود، أما السمة الغالبة فهي الأخوة، والتآلف، والتكامل، والإيثار، والسمو عن الماديات، والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل الله والمبدأ الذي آمنوا به.

مقارنة بين حال العرب قبل الإسلام وبعده:

إن نظرة واحدة تقارن بين حالي العرب قبل الإسلام وبعده تكفي لمعرفة عظمة النقلة الكبيرة التي عاشتها الأمة، مما يعكس الإعجاز في العلاج والمعالج، أما العلاج فهو القرآن الكريم، هذه الوصفة الإلهية التي وهبها خالق البشر لهذه المخلوقات البائسة التائهة المنحرفة، التي تعاني الآلام والمصاعب والمآسي، بسبب إبتعادها عن الله تبارك وتعالى، والمعالج هو رسول الله ﷺ؛ المعجزة في أخلاقه وسلوكه مع الآخرين، ونموذج التربية الإلهية (أدّبني ربي فأحسن تأديبي)، ولقد تناولنا الجهة

الأولى في كتاب (شكوى القرآن)، أما الثانية فهي ما سنحاول عرضه بمقدار ما يوفق الله سبحانه في هذه الكلمات.

ولنستمع الآن إلى بعض النصوص التي تصف حال العرب قبل الإسلام وبعده، قال الله تبارك وتعالى: (**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا**)[١]، وقال تعالى: (**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)[٢]، وقال تعالى: (**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**)[٣]، وقال تعالى بصدد النهي عن بعض الحالات الاجتماعية المنحرفة التي كانت موجودة: (**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيرا، وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً، وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً، وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**)[٤].

(١) آل عمران: من الآية ١٠٣.

(٢) الأنفال: ٢٦.

(٣) الايلاف: ٣-٤.

(٤) الاسراء: ٣١-٣٥.

وهكذا كان حالهم، قليلٌ مشتتون، يقتل بعضهم بعضاً، وهم محاطون بدول عتيدة تنتهز الفرص لاستعبادهم، وتنتشر الفواحش بينهم: كالزنا، وشرب الخمر، ونكاح زوجات الآباء، وأكل مال اليتيم، والبخس في الميزان، ووأد البنات، وغيرها مما يندى لها جبين الإنسانية.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام وقد عاش الفترتين: (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ)[1].

وقال عليه السلام: (تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ، وَمَهَافِي الرِّيحِ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ، إِخْوَانَ دَبَرٍ (وهي القرحة في ظهر الدابة) وَوَبَرٍ، أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ وَالأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلاءٍ أَزْلٍ (أي شدة) وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ، مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ، فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ

(١) نهج البلاغة ص٦٨، خطبة ٢٦، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج٢ ص١٩، وبحار الأنوار ج١٨ ص٢٢٦.

اللَّه عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً، فَعَقَدَ بِملَّته طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَته أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَت النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالْتَفَّت الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِد بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَة عَيْشِهَا فَكِهِينَ، قَدْ تَرَبَّعَت الأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَان قَاهِر، وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَف عزّ غَالِب، وَتَعَطَّفَت الأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْك ثَابِت، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَاف الأَرَضِينَ، يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ، لا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، وَلا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ (الحجر الصلد، وقرعها أي كسرها))[1].

وفي خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، التي ألقتها في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله على مسامع أصحابه، لما غُصب حقها وحق بعلها أمير المؤمنين عليه السلام: (وكنتم على شفا حفرة من النار، مُذقة الشارب، ونهزة الطامع (أي الفرصة التي ينتهزها)، وقبسة العجلان (مثل في الاستعجال)، وموطئ الأقدام (مثل للمغلوبية والمذلة)، تشربون الطرق (ماء السماء الذي تبول به الأبل وتبعر)، وتقتاتون القد (جلد غير مدبوغ يُقدّ) والورق، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا واللتي، وبعد ان مُنيَ ببُهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله، أو، نجم

(١) نهج البلاغة: ج١، خطبة ١٩٢، وبحار الأنوار ج١٤ ص٤٧١.

قرن الشيطان، أو، فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه)[١].

هكذا كانوا فكيف أصبحوا ببركة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال تعالى: (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الأِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**)[٢]، وقال تعالى: (**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)[٣].

ونحاول أن نستعرض الآن بعض النماذج الرسالية الفذة التي تربَّت في أحضان النبوة الكاملة، لنرى الأثر العظيم الذي أحدثه رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) الاحتجاج ج١ ص١٠٠، وبحار الأنوار ج٢٩ ص٢٢٣، وص٢٣٥، وبلاغات النساء ص٢٣، ودلائل الإمامة ص٣٣، وكشف الغمة ج١ ص٤٨٥.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) الحشر: ٨-٩.

في مجتمعه، وسوف لا نذكر أمير المؤمنين عليه السلام والزهراء عليها السلام النموذجين الكاملين لهذه التربية، لأن لهم موضوعهم الخاص من الكلام التفصيلي في كتاب (دور الأئمة في الحياة الاسلامية) ونتطرق إلى نماذج أخرى:

١- عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: إن أبا ذر عيّر رجلاً على عهد النبي صلى الله عليه وآله بأمه فقال له: يا ابن السوداء - وكانت أمه سوداء- فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: تعيّره بأمه يا أبا ذر؟ قال: فلم يزل أبو ذر يمرغ وجهه في التراب ورأسه حتى رضي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنه.[1] وهناك نص آخر أفضل، ان أبا ذر تساب هو وبلال الحبشي المؤذّن فقال له : يابن السوداء فلما شكا بلال إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : شتمت بلالاً وعيّرته بسواد أمّه ؟ قال: نعم، قال: حسبت أنّه بقي فيك شيء من كبر الجاهلية. فألقى أبو ذر خدّه على التراب ثمّ قال : لا أرفع خدّي حتى يطأ بلال خدّي بقدمه. فشعر أبو ذر بزهو الانتصار على أعدى أعدائه وهي نفسه التي بين جنبيه.

يبعث اليه الخليفة عثمان بمالٍ جزيل هو باشدِّ الحاجة اليه بيد عبد له ويعده بالحرية إن قبلها ابو ذر ثمناً لغيرته الدينية ورفضه الانحراف والفساد والظلم المستشري في حاشية الخليفة وولاته فعلم ابو ذر بالنية فرفض قبول الصلة فاراد العبد ان يستغلَّ طيبة قلب ابي ذر وحبه للخير والتقرب إلى الله سبحانه فقال لأبي ذر: اقبلها فإن فيها عتقي، فقال: إن

(١) بحار الأنوار ج٢٢ ص٤١١.

كان فيها عتقك فإن فيها رقي[١]. لأن أبا ذر علم أنه بقبولها عليه أن يجامل السلطة ويداهنها ويسكت عن مظالمها ولا يقول لها كلمة الحق فيحشر في سرادق الظلمة وانتصر ابو ذر مرة أخرى.

فليس غريباً أن يودّعه أمير المؤمنين عليه السلام حينما نفاه عثمان إلى الربذة بكلمات حزينة مؤلمة لقلب كل غيور على الإسلام ورجالات الحق، لكنها كبيرة وعظيمة ومما جاء فيها: (إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ)[٢].

٢- يحدِّث أحدهم أنه في معركة القادسية سمع جريحاً يئِنُّ ويطلب الماء، وقد أعياه نزف الدم، فلما قُرِّب وعاء الماء إليه سمع جريحاً آخر يطلب الماء فأبى أن يشرب، وقال: إسقِ أخي، لئلا يموت؛ فقام إلى الثاني ليسقيه، فسمع ثالثاً يطلب الماء، فأمر بسقيه أولاً، فلما وصل إليه لم يدركه وفارقته الحياة، فعاد إلى الثاني فوجده كذلك، فعاد إلى الأول فوجده كذلك؛ فتراهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو كلفهم ذلك الحياة؛ إنه غاية السمو والرفعة.

٣- كان لإمرأة وزوجها ولد وحيد، مرض هذا الولد فاشفقا عليه،

(١) شجرة طوبى ج١/ محمد مهدي الحائري.

(٢) نهج البلاغة ص١٨٨، وبحار الأنوار ج٢٢ ص٤١١، وشرح نهج البلاغة ج٨ ص٢٥٢، وغرر الحكم ص١٢١.

وهو وحيدهما، ولما حان وقت الصلاة خرج الأب إلى المسجد فمات الولد في غيبته، فلم تجزع الأم ولم يتغير حالها، بعد أن استوعبت القرآن، وعلمت منه ما أعدَّ الله للصابرين، وأن الله سيوفيهم أجورهم بغير حساب، وأنّ هذا الولد فَرْطٌ لهم على الحوض، لا يدخل الجنة حتى يدخل أبواه، مثلت كل هذه المعاني أمامها، فغطّت الوليد وجعلته في إحدى غرف الدار، وتزّينت، فلما جاء الزوج استقبلته بعواطف جياشة، ملأت عليه كيانه، وقدَّمت له الطعام، فسألها عن ولدها، فقالت: إنه بأهدأ حال، ولما أتمَّ طعامه مَكَّنته من نفسها، فلما قضى حاجته، وعلمت من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1] أن الله لا يخذل المتقين، وسيهبها ولداً بدلاً منه، أخبرت الزوج المفجوع بولده باسلوب ذكي، حيث قالت له: لو أن أحداً استودع عندك أمانة ثم إستردها ماذا كنتَ تصنع ؟ قال: إنها حقه واخذه، فقالت: فاعلم أن الله تعالى قد استودع الولد عندنا ثم استرده. فاسترجع واحتسبه عند الله تعالى، ولما خرج إلى المسجد والتقى برسول الله صلى الله عليه وآله هنأه على زوجته، وبارك له فيها، وأخبره أن الله تعالى أوحى إليه: بأنه قضى لهما من ذلك الجماع ولداً صالحاً، هو هدية معجَّلة لهذا الموقف النبيل، وما عند الله خيرٌ وأبقى.

٤- كان حنظلة بن أبي عامر في ليلة زفافه حينما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين للخروج إلى أحد فأخذ عدة الحرب وترك عروسه التي لم

(١) سبأ: من الآية ٣٩.

ينفعها تشبثها به، وخرج مسرعاً لتلبية نداء رسول الله صلى الله عليه وآله، وقاتل ببسالة حتى استشهد، ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة عزَّى زوجته وحدَّثها بشيء غريب حصل بعد المعركة، إذ إنه صلى الله عليه وآله رأى الملائكة تغسل حنظلة، فسألها عن السبب، فقالت: لأنه كان في ليلة عرسه وخرج مسرعاً، حتى إنه لم يغتسل من الجنابة، فسُمِّي غسيل الملائكة، وظل هذا اللقب شرفاً له ولذريته.[١]

٥- أعلن داعي الجهاد للخروج إلى ملاقاة قريش في أُحُد، فجاء عمر بن الجموح وولده وأخو زوجته هند، وهو عبد الله بن عمر بن حرام، والد الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله قد أسقط عنك الجهاد، وكان أعرج، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله لا أرجع حتى أطأ بعرجتي الجنة، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله، وخرجوا معه صلى الله عليه وآله إلى أحد، فاستشهد عمرو، واستشهد عبد الله، فجاءت بهما هند على بعير، وأحدهما عدل الآخر، فمرَّت على ملأ فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله ملمحاً إليها: إن منكم مَنْ لو أقسم على الله لأبرَّه، ودفنتهما في قبر واحد.[٢]

٦- كان مصعب بن عمير من بني عبد الدار، وهم من وجهاء قريش، وكانوا حملة لوائها، وكان مصعب من فتيان مكة المنعمين المترفين، الذين يضرب المثل بجمالهم وترفهم ونعومة عيشهم، فلما صدع رسول

(١) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٤ ص٢٧١.

(٢) بحار الأنوار ج٢٠ ص١٣٠.

الله ﷺ بالإسلام اعتنقه، وتنازل عن ترفه ونعيمه، وأصابه ما أصاب المسلمين من العنت والضيق، فافترش الأرض، ولبس الخلق من الثياب، فحاول ذووه ثنيه عن معتقده، ووعدوه ما شاء من اللذات، فأصرَّ على مبدأه؛ وبعثه النبي ﷺ إلى يثرب قبل هجرة النبي ﷺ، ليعلمهم القرآن، ويمهد لمجيئه ﷺ، فأثر في أهل يثرب، وأقنع أسيادها بالإسلام، لأنه كان مثالاً للشاب الرسالي المخلص، وتنازل عن كل شيء حتى ذاته، طالباً ما عند الله تبارك وتعالى حتى أستشهد في أحد.

٧- خرج المسلمون للقاء الفرس في معركة الجسر، وكان على الجيش أبو عبيدة الثقفي والد المختار، ومعه من عيون الصحابة ثابت بن قيس بن شماس المعروف بخطيب الأنصار، ولما وصلوا إلى الجسر حيث يعسكر الفرس في الجبهة الأخرى من النهر استشارهم القائد فيما يفعل، فأشار ثابت بعدم العبور لتبقى الصحراء من خلفهم ملاذاً إن كانت الواقعة للفرس، وإن إنتصروا عبروا بسلام، أما إذا عبروا للفرس فسيكون العدو من أمامهم والنهر من خلفهم، لكن أبا عبيد أمر بالعبور، وقال: إننا ما جئنا لنطلب النجاة، بل أحد الحسنين: إما النصر، أو، الشهادة؛ وأمر ثابتاً أن يكون أول من يعبر، فعبر ثابت وعبر أبو عبيد والمسلمون، ودارت الدائرة عليهم، واستشهد أبو عبيد، واستشهد ثابت، ليعطينا درساً في الطاعة المطلقة للقائد، وإن كان مخالفاً له في الرأي، فإن أي خلاف معه يؤدي إلى الإختلاف والتنازع، وهما منشأ الفتن والإضمحلال والزوال،

وعَوَّضهم الله تعالى على صبرهم ووعيهم بعد فترة وجيزة بنصر مؤزر في القادسية، وفتح لهم بلاد فارس كلها.

٨- كان جويبر إنساناً معدماً، ومن الطبقة المسحوقة في المجتمع، كما يعبرون، فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً: أليست لك رغبة، يا جويبر، بامرأة تلطف حياتك، وتعينك على دنياك وآخرتك ؟، فقال جويبر: ومَنْ تقبل بالزواج مني، وأنا معدم وأسود، (وكان يوصف بأنه من قباح السودان)، فبعثه صلى الله عليه وآله إلى إمرأة ثرية من أسرة وجيهة إجتماعياً، وعزيزة في قومها، وقال له: قل لأبيها: إني رسول رسول الله صلى الله عليه وآله إليك، أخطب إليك إبنتك، وفعل جويبر ذلك، ولم يستطع وليها الجواب، ودخل عليها عارضاً الأمر، فلما علمت أنها رغبة رسول الله صلى الله عليه وآله وافقت وأطاعت[١]، لتعطينا درساً عملياً في تطبيق الحديث الشريف: (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، وَإِنْ كَانَ دَنِيّاً فِي نَسَبِه؟، قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِنَّكُمْ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)[٢]، وكانت مصداقاً للآية الشريفة (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً**)[٣].

(١) بحار الأنوار ج٢٢ ص١١٧-١٢١.

(٢) تهذيب الأحكام ج٧ ص٣٩٤.

(٣) الأحزاب: ٣٦.

٩- مَرَّ مالك الأشتر في السوق، فاستهزأ به رجل من أهل النفوس الضعيفة، الذين يغترون بحلم المقابل، ولم يكن يعرفه، فسكت عنه مالك، وهو يومئذ صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وقائد جيوشه، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله [١]؛ فقال الناس لهذا الرجل: أما عرفت هذا؟، قال: لا، ومن عسى أن يكون؟، قيل: هذا مالك الأشتر، فارتعدت فرائصه، وأيقن بالهلاك، ورأى أن لا نجاة إلا بالمضي إليه والإعتذار منه، فسأل: أين ذهب مالك؟، قيل: إلى المسجد. فجاء إليه ووجده يصلي، حتى إذا فرغ من صلاته توسل إليه معتذراً. فقال (رضي الله عنه): لا عليك، فإني ما دخلت المسجد إلا لكي أصلي لك ركعتين وأستغفر لك.[٢]

١٠- (سعد بن الربيع) من سادة الخزرج، بايع رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة قبل الهجرة، وكان من النقباء الإثني عشر، شارك في بدر، وأبلى بلاءاً حسناً، وكان من المدافعين عن رسول الله صلى الله عليه وآله حين فَرَّ عنه اصحابه في أحد، وبعد أن حَلَّ الظلام وافترق الجيشان إفتقده رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: مَنْ يستعلم لي حال ابن الربيع، أفي الأحياء هو، أم، في الأموات؟، فانتدب أحدهم، وفحص عنه فوجده يصارع الموت مرتثاً بالجراح، فقال

(١) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٥ ص٩٨، وبحار الأنوار ج٤٢ ص١٧٦، ورجال العلامة ص١٦٩.

(٢) بحار الأنوار ج٤٢ ص١٥٧.

لـه: سـأل عنـك رسـول اللهﷺ، يريـد ان يـستعلم حالـك. فقـال كلماتـه الأخيرة: أبلغ عني رسول اللهﷺ السلام، وقل له: جزاك الله خير ما جـزى نبياً عن أمته، ثم قال وأبلغ قومي من الأنصار: أن لا عـذر لكـم عنـد الله إذا خلص عدوكم إلى رسول اللهﷺ وفيكم عين تطرف [١].

هذه النماذج وأمثالها كثير، هـي التـي أنـشأها رسـول اللهﷺ، وتعـب على تربيتها في مدة (٢٣) سنة، وهـذه هـي النقلـة العظيمـة[٢] التـي قـام بهـا رسول اللهﷺ في ذلك المجتمع الذي عرفـت حالـه، ولعـل مـن الحكمـة الإلهية أن يُبعث رسولهﷺ فـي ذلـك المجتمـع المـنحط إلـى الحـضيض لتكون المعجزة أعظم، بينما لو بُعث في أمـة متحـضرة لـشكك فـي صـحة رسالته، وأنـه لـيس نبيـاً، وإنمـا هـو مـن إفـرازات تلـك الحـضارة والمدنيـة الراقية.

فما أحرانا نحن الحوزة الشريفة والسياسيين والقادة، وقد نصبنا أنفـسنا مرشدين ومـصلحين للمجتمـع، بـل مـا أحرانـا نحـن المـسلمين جميعـاً أن نستوعب هذه الدروس من حياة رسول اللهﷺ، لنفعـل كمـا فعـل، وننـتج كما أنتج، مع سهولة الأمر أمامنا بالقياس إليهﷺ، لأننـا نتعامـل مـع أنـاس تربوا فـي أحـضان الإسـلام قرونـاً طويلـة، ونهلـوا مـن نميـره، وأن الـوازع

(١) بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٧٤.

(٢) هذا الأثر العظيم له (صلى الله عليه وآله وسلم) جعله على رأس أعظـم مئـة إنـسان أثروا في تاريخ البشرية كما اختاره مؤلف الكتاب الأمريكي.

الديني موجود في بواطنهم، وما علينا إلا اثارته وتوجيهه وتهذيبه، فلماذا نحتار، ولماذا نتعثر في المسيرة، ونحن نملك هذا التراث الضخم والمعين الذي لا ينضب من التجارب.

قلة المصادر التي كتبت في السيرة من مدرسة أهل البيت عليهم السلام:

إن تقصيرنا نحن الإمامية من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في كتابة تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله غير مبرر أبداً، ولا يغني عنه الإهتمام المتزايد بسيرة المعصومين عليهم السلام، رغم أنهم عليهم السلام منه صلى الله عليه وآله ينهلون وعنه ينقلون، وما قيل فيه من مبررات فإنها غير كافية.

لقد ترتّبت على هذا التقصير نتائج كثيرة:

١- الخسارة الكبيرة بعدم الإستفادة من هذه التجربة العظيمة، والانقطاع عن هذا التراث الضخم، بكل ما يحتويه من دروس ومواقف، وأوضح شاهد على هذه الخسارة ندرة ما نستشهد به في كلماتنا بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، مع وفرتها وتنوعها، كما ستمرُّ عليه خلال هذه الدراسة، بإذن الله تبارك وتعالى.

٢- إن تاريخه صلى الله عليه وآله كُتب بيد غير أهله، فإن (أهل الدار أعرف بالذي فيه)، فأهل البيت عليهم السلام أعلم بتفاصيل حياته صلى الله عليه وآله وأنقى مصدراً، فلما كُتب تاريخه صلى الله عليه وآله بيد غير أتباع أهل البيت، حيث تجد أغلب السير النبوية

باقلامهم، نقلوا في هذه التواريخ ما ينزهون عنه المسلم العادي، وتجدهم يحطّون من مقامهﷺ، من أجل رفع عناوين يعتقدون أنها كبيرة، كحضورهﷺ مجلس الغناء، فقد رووا في مصادرهم أن النبيﷺ كان جالساً وعنده جوار يغنين ويلعبن، فجاء عمر فاستأذن، فقال النبي للجواري: اسكتن؛ فسكتن، فدخل عمر وقضى حاجته ثم خرج، فقال لهن: عدنَّ، فعدن إلى الغناء، فقلن: يا رسول الله، مَنْ هذا الذي كلما دخل قلت اسكتن، وكلما خرج قلت عدن إلى الغناء؟، قال: هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل[1]؛ وكأن رسول اللهﷺ يرضى بالباطل[2]، ولا حظ الفرق بين رواية الإمامية لحديث الإفك المشار اليه في سورة النور ونقل غيرهم، وغيرها من الشواهد، وعلى أية حال فانهم لا يعتقدون فيهﷺ سمو المرتبة التي نعتقدها، فبعضهم لا يشترط العصمة قبل النبوة، فيجوِّز أن يرسل الله تبارك وتعالى عابد وثن!! وبعضهم يشترطها في خصوص تبليغ الأحكام ويجوِّز عليه السهو والنسيان والغفلة، وينسب إليه الجهل كحادثة تأبير النخل فقد رووا ان رسول اللهﷺ مَرَّ بقوم على رؤوس النخل فقال: ما يصنع هؤلاء؟، فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح، فقال رسول اللهﷺ: ما أظن يغني ذلك شيئاً، قال: فاخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول

(١) نهج الحق ص١٥٣، نقلاً عن الغزالي في إحياء علوم الدين.

(٢) أمثال هذه الحوادث وغيرها جمعها الشيخ الاميني (قدس سره) في عدة اجزاء من كتابه (الغدير) تحت عنوان المغالاة في فضائل الصحابة.

الله بذلك قال: ان كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن[١]، وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وآله قال: لعلكم لو لم تصنعوا كان خيراً فتركوه، فنقصت. قال: فذكروا ذلك له فقال: إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر[٢] فالى هذه الدرجة من الفضول والتطفل ينزلون درجة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣- التقصير بحقه صلى الله عليه وآله علينا، وهو صاحب الحق العظيم، إلذي اليه يرجع الفضل في هداية كل شخص على وجه المعمورة، وما نعيش من خير فهو فيض بركاته ونفحات رحمته، وما ادخر لأمته في الآخرة أعظم، فقد فُسِّر قوله تعالى: (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**)[٣] بالشفاعة يوم القيامة، وورد أن الله تعالى له نصف الحشر يقول فيه: رحمتي رحمتي، ولرسول الله صلى الله عليه وآله النصف الآخر يقول فيه، أمتي أمتي، هذا الرجل العظيم الذي كان سبباً لإفاضة كل هذا الوجود كما في حديث الكساء: (ما خلقت سماءاً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا فلكاً يجري ولا ... الا من أجل هذه الأنوار الخمسة) وأصلها رسول الله صلى الله عليه وآله.

أقول: هذا الرجل العظيم تمر ذكرياته علينا من دون اهتمام يذكر، عدا ما شاهدناه في السنين المتأخرة، وإن كان ما يزال دون المستوى المطلوب.

---

(١) صحيح مسلم ج٧ ص٩٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الضحى: ٥.

٤- تـربَّصُ الأعـداء بشخـصيته صلى الله عليه وآله، للحـط مـن كرامتـه، وتـشويه سمعته، وإلصاق التهم به، لأنه أساس الإسلام، فالطعن فيه تقويض لهذا الأساس، والقضاء على الإسلام، وها هم المأجورون الأذلاء كسلمان رشدي، والقس الفلاني في الولايات المتحدة، والمخرج الفلاني في هولندا، والكاتبة الفلانية في مصر، وأمثالهم يؤلفون الكتب، ويخرجون الأفلام، التي تشوّه صورة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، وتصفه بالعناوين السيئة، ولا تنبض دماء الغيرة في عروق رجالات الإسلام للرد عليهم، وربما لا يكلفون أنفسهم بالإطلاع على تلك الكلمات، والمسلمون بين جاهل بمقامه صلى الله عليه وآله، وهم العامة الذين قدَّموا هذه الخدمة الجليلة للأعداء من مستشرقين وغيرهم على طبقٍ من ذهب بما أودعوا في كتبهم من روايات تحطّ من مقامه العظيم، وبين معرضٍ عن الإهتمام به، وهم أتباع أهل البيت عليهم السلام.

ومن خبث أولئك أنهم يمجدون علياً ويرفعونه إلى القمة، ولا يثيرون عليه أي اشكال، وهو اسمى مما يتصورون، بينما يتناولون شخص رسول الله صلى الله عليه وآله بالقدح والتشويه، وما ذاك منهم حباً بعلي، واعترافاً بفضله، وإلا لأقروا بمثله لمحمد صلى الله عليه وآله، وهو مربيه وصانع كماله، ولكن لإمتصاص غضب مفكري الشيعة وعلمائهم، الذين لهم الصولة في الكلام والجدال والفكر العميق، ولهم ألسنة حداد تدافع عن الحق، فيسترخون لهذا المدح، ويغضّون الطرف عما يُوجَّه إلى نبيهم صلى الله عليه وآله، الذي هو الأصل، وما

علي عليه السلام وشيعته إلا فرع ذلك الأصل.

ومن المؤسف أننا صرنا لا نشعر بمسئولية الرد والدفاع عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله، كشعورنا بمسئولية الدفاع عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وأئمتها الطاهرين عليهم السلام، ونظرة واحدة إلى المكتبات الشيعية تجد فيها آلاف الكتب التي تعرِّف المذهب، وتبيِّن تفاصيله، وتدافع عنه، وترد الشبهات الموجهة إليه، ومعهم حق، لكثرة ما تعرضت له مدرسة أهل البيت عليهم السلام من التشويه والدس والكذب والإفتراء والطعن، ولكن لا تجد عدد الاصابع من الكتب التي تؤدي نفس الشيء عن الإسلام ونبيه العظيم، وتحتاج إلى تأمل طويل لكي تجد كتاباً مناسباً تقدِّمه لشخص يريد أن يتعرف على الإسلام، بينما ينهضون نهضة رجل واحد للذبِّ ضد شبهة جزئية موجهة إلى هذا المذهب، أو، ذاك من هذه الطائفة، أو، تلك.

ومهما قلنا من دفاعٍ عن أنفسنا بأن الأئمة عليهم السلام هم الإمتداد الطبيعي له صلى الله عليه وآله، وهم نفسه صلى الله عليه وآله، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: (حَدِيثِي حَدِيثُ أَبِي، وَحَدِيثُ أَبِي حَدِيثُ جَدِّي، وَحَدِيثُ جَدِّي حَدِيثُ الْحُسَيْنِ، وَحَدِيثُ الْحُسَيْنِ حَدِيثُ الْحَسَنِ، وَحَدِيثُ الْحَسَنِ حَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَحَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَحَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[1].

(١) الكافي ج١ ص٥٣، ووسائل الشيعة ج٢٧ ص٨٣، وبحار الأنوار ج٢ ص١٧٨، والإرشاد ج٢ ص١٨٦، وإعلام الورى ص٢٨٥، والخرائج والجرائح ج٢ ص٨٩٤، وروضة الواعظين ج١ ص٢١٠، وكشف الغمة ج٢ ص١٧٠، ومنية المريد ص٣٧٣.

وانهم يمثلون المسار الصحيح والحقيقي للإسلام، كل ذلك صحيح، لكنه لا يغني عن الإهتمام الذي يجدر بنا أن نوليه لشخصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وتصرفاته على مختلف الأصعدة.

القرآن هو المصدر الرئيسي لدراسة سيرته صلى الله عليه وآله:

وينبغي الإلتفات إلى أن المصدر الرئيسي لدراسته سيكون هو القرآن الكريم، لأكثر من سبب:

١- إعادة تفعيل دور القرآن في حياة الأمة، وإخراجه من عزلته، وإعطاءه دور الريادة في كل عملية إصلاحية، وهو ما أشرنا اليه في كلمات سابقة.

٢- أنه صلى الله عليه وآله كان تجسيداً عملياً للقرآن، بحيث لو حَوَّلْتَ القرآن من كتاب مقروء إلى رجل يمشي على الأرض لكان هو صلى الله عليه وآله، ولو حَوَّلْتَ سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى كتاب يقرأ لكان القرآن، ومن هنا أجابت أم المؤمنين حينما سُئلت عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت باختصار: كأنه القرآن.

تصنيف الدراسة

ومن أجل التصنيف الفني للدراسة يمكن أن نقسم سيرته صلى الله عليه وآله بعدة لحاظات، فتارة نستقرىء سيرته صلى الله عليه وآله على صعيد العلاقة بربه، وأخرى علاقته بنفسه، أو، قل حياته الخاصة، وثالثة علاقته بمجتمعه وأمته، والتي

يقوم برعايتها وسياستها، ورابعة على صعيد علاقاته بخصومه في داخل المجتمع، أو، على مستوى الأمم والدول الأخرى، مع التحفظ على جعل العلاقة بربه قسماً مقابل بقية الأقسام، لأننا سنرى من سيرته صلى الله عليه وآله أنه صلى الله عليه وآله كان يعيش في كل لحظة لله، ومع الله، وفي الله، ولكنه مجرد تقسيم فني.

وهذه كلها محاور للبحث، وكل محور غني بالدروس والمواقف والنتائج الكبيرة.

ولكننا نحاول في هذه الدراسة توظيف هذه الأقسام ضمن إطارين، لتحقيق هدفين من خلال التأسي به صلى الله عليه وآله:

الأول: بناء الذات، أي تكميل النفس، وهو ما نستطيع أن نسميه بالجانب الفردي من سيرته صلى الله عليه وآله الشامل لعلاقته بربه ولعلاقته بنفسه.

الثاني: إصلاح المجتمع أو سياسة الأمة الذي يشمل سلوكه مع أتباعه وغيرهم، وطريقة تعامله مع الآخرين أفراداً ودولاً، ويمكن تسميته بالجانب الإجتماعي من سيرته صلى الله عليه وآله، وإنما إلتجأنا إلى هذا الدمج لأكثر من أمر:

١- العلاقة الوثيقة بين الأصناف، بحيث يصعب إدراج المفردة في هذا القسم، أو، ذاك.

٢- إننا شخصنا خلال تجربتنا وجود خلل كبير في تربية الأمة بهذين الإتجاهين، أعني الجانب الأخلاقي المتكفل بتهذيب النفس وإصلاحها وتطهير القلب، والجانب الإجتماعي: أي الوعي الحركي، الذي يستهدف فهم شمولية الإسلام، وقابليته على قيادة الحياة، واستيعابه لكل الفعاليات

البشرية ومتطلبات الحضارة الإنسانية؛ فبهذا التقسيم الثنائي يكون تغطية هذين الجانبين واضحاً، حيث يمثل الأول فيهما الأول، والثاني الثاني، وان الخطوة الأولى في السعي لإصلاح المجتمع والتصدي للمسئوليات العامة هو إصلاح الذات، ففي الحديث (مُعَلِّمُ نَفْسه وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بالإجْلال مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ)[1]، ولا قيمة للثاني من دون الأول، أي لا قيمة للعمل الإجتماعي مهما عظم إذا خلا من الإخلاص والهدف الحقيقي المتمثل برضا الله تبارك وتعالى.

(١) بحار الأنوار ج٢ ص٥٦، ووسائل الشيعة ج١٦ ص١٥٠، وأعلام الدين ص٩٢، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد المعتزلي ج١٨ ص٢٢٠، ونهج البلاغة ص٤٨٠.

المحور الأول

فى بناء الذات

أساس البناء المعرفة بالله تبارك وتعالى

واساس هذا البناء المعرفة بالله تبارك وتعالى، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أول الدين معرفته)[1]، وقد كانت معرفته صلى الله عليه وآله بالله تبارك وتعالى أكملها، فقد كان صلى الله عليه وآله يعيش لله ومع الله تبارك وتعالى في كل حركاته وسكناته، ويجد الله تعالى في كل شيءٍ، فما من كلمة يقولها، أو، فعل يفعله، أو، تركٍ يتركه، إلا وفيه لله سبحانه رضا، ولو خُيِّر بين فعلين اختار أرضاهما لله، ولو كان هو الأشد على نفسه، قال لتلميذه الأول أمير المؤمنين عليه السلام والمتأدب بأدبه صلى الله عليه وآله: (الْجَلْسَةُ فِي الْجَامِعِ خَيْرٌ لِي مِنَ الْجَلْسَةِ فِي الْجَنَّةِ، لأَنَّ الْجَنَّةَ فِيهَا رِضَى نَفْسِي، وَالْجَامِعَ فِيهِ رِضَى رَبِّي)[2].

كان صلى الله عليه وآله في حالة ذكر دائم لله سبحانه وتعالى، دلَّ عليه ما روي من مكارم أخلاقه، حيث تجد له في كل حالٍ ذكراً، فللأكل دعاء، وللنوم دعاء، وللتخلّي دعاء، وللوضوء دعاء، وللسفر دعاء، إذا انتبه من نومه أجال نظره في السماء، وقرأ قوله تعالى: (**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**

---

(١) نهج البلاغة ص٣٩ الخطبة (١)، نهج الحق ص٦٥، وبحار الأنوار ج٤ ص٢٤٧، وج٥٤ ص١٧٦، وج٧٤ ص٣٠٢، والاحتجاج ج١ ص١٩٨، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١ ص٧٢، وعوالي اللآلي ج٤ ص١٢٦.

(٢) الوسائل ج٥ ص١٩٩، ومستدرك الوسائل ج٣ ص٣٥٨، وبحار الأنوار ج٨٠ ص٣٦٢، وعدة الداعي ص٢٠٨.

وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآياتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[١]، وينهي يومه حين يأوي إلى فراشه بتلاوة سور المسبحات التي تبدأ بكلمات التسبيح كسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن، فكانت حياته صلى الله عليه وآله كلها عبارة عن فناء تام في الله سبحانه، وإذا إقتضت طبيعته البشرية وجسده المادي أن يعطيه حقه من نوم، أو، نحوه مما يراه صلى الله عليه وآله غفلة عن الله تبارك وتعالى، وإعراضاً عن ذكره، وتقصيراً في مقام العبودية، فكان يستغفر الله سبحانه من ذلك، حتى نزل الوعد من قبل المولى تبارك وتعالى (**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً، وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً**)[٢] وإن كان الإعتقاد فيهم أنهم عليهم السلام إذا ناموا نامت أعينهم فقط، أما قلوبهم فهي واعية متصلة ببارئها، كما هو المنقول عنهم عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (تنام عيني ولا ينام قلبي)[٣].

(١) آل عمران : ١٩٠-١٩١.

(٢) الفتح: ١-٣.

(٣).بحار الأنوار ج٧٣ ص١٨٩، والاحتجاج ج١ ص٤٣، وتفسير الإمام العسكري عليه السلام ص٤٥٢، وسعد السعود ص٢١٣، وكنز الفوائد ج٢ ص٦٣، والمناقب ج١ ص١٤٣.

كانﷺ يوظِّف كل شيء حباه الله به لطاعة الله ونيل رضوانه: نفسه وماله وولده وجاهه ومشاعره وأحاسيسه، وهوﷺ الذي يقول لأبي ذر: (يا أبا ذر ليكن لك في كل شيء نية صالحة حتى في النوم والأكل)[١]، فتعجب أبو ذر: كيف تكون هذه العملية التي هي أوضح مصداق لتلبية شهوات النفس طاعة وعبادة لله سبحانه، فشرحﷺ له: أليس فيها إدخال للسرور على أهلك، وتحصين نفسك وزوجتك من الحرام، وزيادة في عدد النسمات التي تلهج بتوحيد الله تبارك وتعالى، وكل تلك النيات يمكنك أن تجعلها طاعات وقربات إلى الله سبحانه.

تنازلﷺ عن كل شيء لله سبحانه، وأول ما تنازل عنه نفسه، فذبح شهواتها على منحر الإخلاص لله سبحانه، (والجود بالنفس اقصى غاية الجود)، وتحرَّر منها، فلم يعد لها سبيل عليه، فكان عبداً مخلصاً لله سبحانه، بل النموذج الأكمل لعباد الله المخلصين، الذين اعترف الشيطان وأقرَّ بأنه لا سبيل له عليهم ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٢].

ما عرف الله أحد مثله، وهو القائل لعليعليه السلام: (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت)[٣]، لذلك كانت له مع الله تعالى حالاً وصفهاﷺ بأنها لا

(١) أعلام الدين ص١٩٤، ومكارم الأخلاق ص٤٦٣.

(٢) سورة ص: ٨٢-٨٣.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ص١٤٥، وص٢٢٧، وبحار الأنوار ج٣٩ ص٨٤، والمناقب ج٣ ص٢٦٧.

يحتملها ملك مقرَّب ولا نبي مرسل، عندما عُرج بهﷺ إلى السماء حتى كان قاب قوسين، أو، أدنى دنواً وإقتراباً من العلي الأعلى، وكان معه الروح الأمين جبرئيلعليه السلام فتخلف عنه حينذاك وقال: (تقدَّم يا رسول الله ليس لي أن أجوز هذا المكان، ولو دنوت أنملة لاحترقت)[١].

ولمعرفته بحقيقة العبودية لله سبحانه كان كثير العبادة لا يفتر عنها، وقد قالﷺ: (قرة عيني الصلاة)[٢]، لأنها معراجهﷺ وقربانه واتصاله بالحبيب، يصلي حتى تتورم قدماه، فيقف على واحدة ويرفع الأخرى لتستريح قليلاً، فعوتب من قبل الرب (**طه، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**)[٣][٤].

إن العبودية الحقيقية هي الطاعة المطلقة لله سبحانه، ونبذ كل معبود دونه، وأية معصية هي شرك بالله العظيم لأنها ناشئة من عبادة وطاعة غيره،

---

(١) بحار الأنوار ج١٨ ص٣٨٢.

(٢) بحار الأنوار ج١٦ ص٢٤٩، وج٧٣ ص١٤١، وج٧٤ ص٧٨، وج٧٩ ص١٩٣، وص٢١١، وص٢٣٣، وج٨٣ ص٣، ص٢٣٢، وج٨٧ ص٣٤٣، وج١٠٠ ص٢١٨، ووسائل الشيعة ج٢ ص١٤٣، وص١٤٤، ج٨ ص١١٦، ومستدرك الوسائل ج١ ص٤١٩، وج٣ ص٤١، وأعلام الدين ص١٩١، والأمالي للطوسي ص٥٢٧، الكافي ج٥ ص٣٢١، والخصال ج١ ص١٦٥، وص١٦٦، وروضة الواعظين ج٢ ص٣٧٣، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٩ ص٣٤١، وعوالي اللآلي ج٣ ص٢٩٦، ومجموعة ورام ج١ ص٩١، وج٢ ص٥٣، ومعدن الجواهر ص٣١، ومفتاح الفلاح ص١٨٢، ومكارم الأخلاق ص٣٤.

(٣) طه: ١-٢.

(٤) أُنظر: وسائل الشيعة ج٥ ص٤٩١، وبحار الأنوار ج١٦ ص٨٥.

سواء كانت النفس الأمَّارة بالسوء، أو، شياطين الجن، أو، شياطين الإنس وطواغيتهم، الذين نصبوا أنفسهم أرباباً من دون الله سبحانه، أو، العرف والعادة التي يرضخ لها الإنسان ويطيعها، وإن كان في ذلك معصية الله سبحانه، أو، السلف الذي يُقدَّس أحياناً ويُتبَّع، ويُجعل هو المقياس للحق لا الحق مقياساً لصالحه من باطله، كل هذه الآلهة التي تُعبد من دون الله تعالى نبذها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأشار إليها الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[١] ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾[٢] ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى﴾[٣] ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾[٤] ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾[٥] ﴿وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾[٦] واعترض بعضهم على الإمام عليه السلام: إننا لم نعبد أحبارنا ورهباننا، قال عليه السلام: نعم، لم تسجدوا لهم، لكنهم أمروكم فأطعتم، ونهوكم فانتهيتم، وشرَّعوا لكم قوانين وأنظمة مخالفة لشريعة الله، فاتبعتموهم، وهذا هو المعنى الحقيقي للعبادة، وفي

(١) الجاثية: من الآية ٢٣.

(٢) التوبة: من الآية ٣١.

(٣) غافر: من الآية ٢٩.

(٤) الزخرف: ٥٤.

(٥) هود: من الآية ٨٧.

(٦) آل عمران: من الآية ٦٤.

الحديث (مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ، فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ، وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ)[١].

وقد تكفَّل الله تبارك وتعالى بحمايته صلى الله عليه وآله من هذه المؤثرات، وانقطاعه عن كل تلك الأسباب التي تحرف الفطرة، وتوقع في الخطأ، منذ ولادته صلى الله عليه وآله، كما ينقل لنا أمير المؤمنين عليه السلام: (ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره)[٢]، وعن الإمام الباقر عليه السلام (ووكّل بمحمد ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع، يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصده عن الشر ومساوئ الاخلاق)[٣].

ومن مظاهر هذه الرعاية ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (أذكر وأنا غلام إبن سبع سنين، وقد بنى إبن جذعان داراً له بمكة، فجئت مع الغلمان

---

(١) الكافي ج٦ ص٤٣٤، وسائل الشيعة ج١٧ ص١٥٣، وص٣١٧، وج٢٧ ص١٢٧، وص١٢٨، ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٣٠٨، وبحار الأنوار ج٢ ص٩٤، وج٢٦ ص٢٣٩، وج٦٩ ص٢٦٤، وبشارة المصطفى ص٢٢١، وتحف العقول ص٤٥٦، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج١ ص٣٠٣.

(٢) بحار الأنوار ج١٤ ص٤٧٥، وج١٥ ص٣٦١، وج١٨ ص٢٧١، وج٣٨ ص٣٢٠، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٣ ص١٩٧، والطرائف ج٢ ص٤١٣، والمناقب ج٢ ص١٨٠، ونهج البلاغة ص٣٠٠.

(٣) بحار الأنوار ج١٥ ص٣٦١.

نأخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله، فملأت حجري تراباً، فانكشفت عورتي، فسمعت نداءاً من فوق رأسي: يا محمد أرخ ازارك، فجعلت أرفع رأسي فلا أرى شيئاً، إلا أني أسمع الصوت، فتماسكت ولم أرخه، فكأن انساناً ضربني على ظهري فخررت لوجهي، وانحل إزاري، وسقط التراب إلى الأرض، فقمت إلى دار أبي طالب عمي ولم أعد)[١].

لذلك كانﷺ رافضاً منذ أيامه الأولى للأوثان التي يعبدها قومه، وللآثام التي يفعلونها، ففي سن الثانية عشرة جرى بينهﷺ وبين الراهب النصراني بحيرا حوار، فسأله الراهب واستحلفه باللات والعزى، فقالﷺ: (لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما)[٢].

إن العبودية الكاملة لله سبحانه هي معنى العصمة التي نعتبرها الشرط الأول في مقامات النبوة والإمامة، وفي الخبر (إن الله إتخذ ابراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، واتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، واتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، ثم إبتلاه بكلمات فأتمهن قال: إني جاعلك للناس إماماً) وهذه المقامات كلها قد تجاوزها رسول اللهﷺ، وإذا كانت إمامة خليل الرحمن إبراهيم محدودة فإن إمامة رسول اللهﷺ لتكميل نفوس العالمين، والإرتقاء بهم، مفتوحة وواسعة، ولا زالت تتكامل البشرية ببركاتهﷺ.

---

(١) بحار الأنوار ج١٥ ص٣٦٢، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٣ ص٢٠٨.
(٢) بحار الأنوار ج١٥ ص٤١٠.

وليعلم الإنسان أنه لا بد من إلهٍ يُعبد، وشيء يطاع، فإن لم يكن الله تبارك وتعالى كان غيره مما ذكرناه، وكفى بذلك خسراناً مبيناً أن يرمي نفسه في أحضان هذه الآلهة، التي لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فليعرف الإنسان قيمة هذه الجوهرة الثمينة التي حباه الله بها، وجعلها قابلة لأن ترتقي فوق مقام الملائكة المقربين: (من عرف نفسه فقد عرف ربَّه)[1]، ولا يفرِّط بها فيبيعها بثمنٍ بخس.

ولذا كانت المعرفة بالله سبحانه، أي المعرفة بحقيقته وكنه مقام الربوبية ومقام العبودية رأس الفضائل وأساس التكامل، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أول الدين معرفته)[2]، والعمل بلا علم ومعرفة لا قيمة له مهما كثُر، بينما له كل القيمة إذا كان مع معرفة وإن قلَّ، وإن الله سبحانه يقيِّم عباده في ضوء معرفتهم به تبارك وتعالى، لذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء وأشرف الخلق، لأنه أكملهم معرفة.

إن هذه الحياة الدائمة في رحاب الله سبحانه، والذكر المستمر له وعدم الغفلة عنه، ترشحت منه نتائج كثيرة رسمت ملامح شخصيته صلى الله عليه وآله،

(١) بحار الأنوار ج٢ ص٣٢، وج٥٨ ص٩٩، وج٩٢ ص٤٥٦، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج٢٠ ص٢٩٣، وعوالي اللآلي ج٤ ص١٠٢، ومتشابه القرآن ج١ ص٤٤، ومصباح الشريعة ص١٣، وغرر الحكم ص٢٣٢.

(٢) نهج البلاغة ص٣٩ خطبة(١)، وبحار الأنوار ج٤ ص٢٤٧، وج٥٤ ص١٧٦، وج٧٤ ص٣٠٢، والاحتجاج ج١ ص١٩٨، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١ ص٧٢، وعوالي اللآلي ج٤ ص١٢٦.

وكانت العلة وراء كل تصرفاته وسلوكياته، وهنا أودُّ إلفات نظر القادة والمصلحين إلى سنة إلهية، تختصر علينا الطريق وتزيدنا بصيرة في العمل، وأُحيل التفاصيل إلى كتب أخرى: كـ(دور الأئمة في الحياة الاسلامية)، و(شكوى القرآن)، و(شكوى الإمام) ونحوها. فقد ذكرتُ في أكثر من مناسبة:

الالتفات إلى العلل أهم من المعلولات:

أنه ينبغي على كل مصلح يريد أن يتأسى بقيادة القادة وسادة السادة ويسعى للتغيير في النفس والمجتمع أن يلتفت إلى جانب العلل قبل جانب المعلولات، وإذا فكر بعكس ذلك فانه سيتعب نفسه ويضيِّع جهوده، ولا تتحقق إلا نتائج بسيطة لا تناسب حجم الجهد المبذول، ومثاله في طب الأبدان: أن الطبيب الحاذق لا يكتفي بمعالجة الأعراض والظواهر كارتفاع درجة الحرارة، أو، الألم وعدم الشهية ونحوها، وإنما يشخِّص العلة الحقيقية وراء هذه الأعراض فيعالجها، ولو اكتفى بمعالجة الأعراض والآثار والمعلولات دون العلة فهو ليس بطبيب، ونفس الكلام يأتي في طب النفس والمجتمع، فإذا كان المجتمع يعاني من تسلط الاشرار، وما أكثر إبتلاء أمتنا الإسلامية عبر التاريخ والى اليوم بهذا البلاء، فليس من الحكمة أن تعمل لإزالة الأشرار بالسلاح ونحوه، مع بقاء السبب لوجودهم، وهو إنتفاء الإخلاص لله سبحانه في العمل، وإبتعاد الأمة عن

تطبيق الشريعة وعدم إرتقائها إلى مستوى المسئولية، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد بيَّنتْ كثيرٌ من الأحاديث العلاقة الحميمة بين ترك هذه الفريضة وتسلّط الأشرار وعدم إستجابة الدعاء، لأن شكل المتسلطين مناسب للإتجاه العام في المجتمع ومن إفرازاته، ولا يمكن له الدوام والبقاء إذا كان من سنخ مغاير، لذا لما إستشرى في المجتمع الميل إلى الدنيا وحب الدّعة والراحة، وترك العمل من أجل الله سبحانه والتضحية في سبيله، كانت النتيجة الحتمية أن لا يدوم الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام، مما إضطره إلى التصالح والمهادنة، وعلى العكس حينما تقوى إرادة الأمة وترفض الواقع المنحرف، فسوف لا تكون فرصة البقاء متاحة أمام الأشرار، قال تعالى: (**فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**)[1]، وقال تعالى: (**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**)[2]، ومن أهم أشكال العذاب تسلُّطُ الأشرار الذين يتخذون عباد الله خولاً وماله دولاً، والإلتفات إلى مثل هذه السنن الإلهية يختصر الطريق على المصلحين، وتبيِّنُ لهم برامج عملهم، وهو ما شخَّصناه بفضل الله

(١) يونس: ٩٨.

(٢) الأعراف: ١٦٥.

تبارك وتعالى في زمن الطاغية المدحور، وعملنا به بأوسع أشكاله وساحاته، حتى مَنَّ الله تعالى على الأمة بزواله، وجرياً على هذه السنة الإلهية كان الأئمة عليهم السلام يكرِّسون عملهم في عصر الأمويين والعباسيين للتغيير في جانب العلة (**إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**)[١] وحتى لو أُتيحت لهم فرصة الإستفادة من المعلولات والآثار، أعني إمكانية تسلُّم مناصب قيادية، فإنهم لم يعيروها إهتماماً، لأنها لا قيمة لها، وكالورقة في مهب الريح، ما دام العمل غير تام في جانب العلل، وحادثة الإمام الصادق عليه السلام مع أبي مسلم الخرساني حينما أسقط الدولة الأموية وطَهَّر الأرض من أدناسها، عرض تسليم الأمر إلى الإمام عليه السلام، لكن الإمام أجابه بوضوح: لستَ من رجالي، ولا الزمان زماني، لأن الأمة لم تصل إلى مستوى من التربية تؤهلها لوعي الإسلام، والحرص على تطبيقه في الحياة، والتضحية في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، بل (الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم فاذا مُحصّوا بالبلاء قلَّ الدّيانون)[٢].

ولذلك كان الأئمة عليهم السلام يميِّزون بوضوح بين شكلين من الحركات التي تحمل السلاح في وجه السلطة:

---

(١) الرعد: من الآية ١١.

(٢) من كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) قبل إستشهاده. بحار الأنوار ج٧٥ ص١١٧، وتحف العقول ص٢٤٥.

الأولى: تلك الحركات التي كانت تستهدف التغيير والإصلاح في المجتمع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحفاظ على منهج الإسلام النقي الأصيل وإحياء الوازع الديني في النفوس، كحركة زيد الشهيد عليه السلام، فكانوا يشيدون بأصحابها، وهي نادرة، كترحُّم الإمام الصادق عليه السلام على عمه زيد، وكذا الإمام الرضا عليه السلام، ودعاء الإمام الصادق عليه السلام ويداه ترتعشان على من هجا زيداً بالبيتين المعروفين:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلةٍ ولم نر مهدياً على الجذع يصلبُ

... الخ

بأن يسلط عليه كلباً من كلابه، فافترسه الأسد، وقد أدلج[1].

الثانية: الحركات التي تتوجه إلى تغيير الحكام من دون العمل على إصلاح الواقع الفاسد، فهؤلاء كان الأئمة عليهم السلام ينأون بأنفسهم بعيداً عنهم، وينهونهم عن الخروج، لعدم صلاح نياتهم، وربما تبرأوا منهم، وهذا التبرّي له عدة وجوه، أحدها ما ذكرناه من الإختلاف في وجهات النظر في أسلوب العمل.

وبالإلتفات إلى هذين الشكلين نستطيع أن نفهم إتجاهين من الروايات:

أحدهما: التي تحثُّ على الحركة والخروج على السلطات الجائرة،

(١) بحار الأنوار ج٤٦ ص١٩٢.

ومنها كتاب الإمام الحسين عليه السلام الذي أرسله إلى أشراف الكوفة: (فقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغيّر بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يُدخله مدخله)[١]، ومثل قول الإمام الصادق عليه السلام: (لوددتُ أن الخارجي يخرج من آل محمد، وعَلَيَّ نفقة عياله)[٢]، وقوله عليه السلام: (لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد)[٣].

ثانيهما: الروايات الناهية عن كل ذلك، والمحذّرة من إتّباع مثل هذه الحركات، وأنها ضالة، كحديث (كُلُّ رَايَةٍ تُرْفَعُ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ فَصَاحِبُهَا طَاغُوتٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[٤].

حيث ظهر وجه الجمع بينهما، بحمل الأولى على الشكل الأول، والثانية على الثاني، وهو ليس جمعاً تبرعياً لا دليل عليه، بل إن سيرتهم عليهم السلام ومواقفهم من تلك الأحداث تؤيد هذه النظرة.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨١.

(٢) وسائل الشيعة ج١٥ ص٥٤.

(٣) المصدر الصفحة.

(٤) الكافي ج٨ ص٢٩٥، ووسائل الشيعة ج١٥ ص٥٢، ومستدرك الوسائل ج١١ ص٣٤، وبحار الأنوار ج٢٥ ص١١٤، وج٥٢ ص١٤٣، والغيبة للنعماني ص١١٤، وص١١٥.

عودة الى الحديث عن المعرفة بالله تبارك وتعالى:

يقول أهل المعرفة: إن يعقوب عليه السلام لما بكى حتى إبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، لم يكن ذلك لأجل فقدان يوسف عليه السلام، وإن كان خطباً عظيماً، وإنما بكى لأجل التوبة من التقصير الذي ظهر منه أمام المولى، حتى عوقب بذلك، وأيُّ واحدٍ منا عندما يبتلى ببلاء، أو، يُحرم من طاعة كصلاة الليل، أو، صلاة الفجر، فعليه أن يفكّر بإصلاح ما فسد من حاله الذي أدَّى به إلى هذه النتيجة[1].

إن مقام النبوة والإمامة، وكذا ما ينوب عنهما من المرجعية، يمكن أن يُفهم على كلا المستويين، مستوى العلل، وحينئذٍ يكون كاشفاً عن تلك الدرجة من الكمال والتربية التي يصل إليها الإنسان ليستحق هذه المقامات الشريفة، ويمكن أن يُفهم في جانب المعلولات، ويكون معناه ذلك التشريف العظيم حين يختاره الله تبارك وتعالى ويصطفيه من بين عباده ليتبوأ هذه المقامات الشريفة.

ومن خطل التفكير أن تشرأبَّ الأعناق لنيل هذه المقامات دون السعي إلى تهيئة عللها، كما فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حينما قال صلى الله عليه وآله في معركة خيبر: (لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يُحبُّ الله ورسوله، ويُحبُّه الله

(١) صلاة الجمعة، الخامسة، الخطبة الثانية، للسيد الشهيد الصدر (قدس سره الشريف) في مسجد الكوفة المعظم.

ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه)[1] وقد وصفهم الأزري في هائيته:

فاستطالت أعناق كل فريقٍ ليروا أي ماجدٍ يعطاها

ولم يفكّر أحدٌ منهم بأنه هل وصل إلى المستوى الذي يؤهله للتشرف بهذه الكرامة، ولم يستحقها إلا أمير المؤمنين عليه السلام.

كلٌّ واحدٍ منا يود أن يكون من المتقين، ومن المفلحين، ومن الذين يرثون الفردوس، ومن الذين يحبهم الله، ومن السابقين السابقين، وغيرها من العناوين الشريفة، التي لها إستحقاقات عظيمة، وهذا شيء جيد وحسن أن يطمح الانسان في هذه المراتب، ويتسابق إليها، لكن هذه الإستحقاقات لا تنال إعتباطاً، وإنما لها مبادئ وعلل، فمثلاً ذكر الله تعالى مبادئ وعللاً وأوصاف لورثة الفردوس، فمن أراد أن يكون منهم فليحققها فيه، قال تعالى: (**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ**

(١) بحار الأنوار ج٢٣ ص١٨٢، وج٤٢ ص١٥٥، وج٤٤ ص٧٤، والاحتجاج ج١ ص٢٧٢، والطرائف ج١ ص٥٨، والعمدة ص١٥٤، عوالي اللآلي ج٤ ص٨٨، وكتاب سليم ص٧٩٠، ونهج البلاغة ص٢١٦.

يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[1].

وهكذا في وصف عباد الرحمن والمتقين وغيرهم، فاْسعَ إذن لتحقيق هذه المبادئ والعلل، وستكون المعلولات، وهي الأوصاف والمقامات التشريفية، نتيجة حتمية لتلك العلل.

قلتُ في أكثر من مناسبة: أن أحدكم[2] قد يتأذى لو كان مدرِّساً فترك أحد الطلبة حلقة درسه، أو، كان إمام جماعة فترك أحد المأمومين الصلاة خلفه، أو، كان مرجعاً فعدل أحد المقلدين عن تقليده، وكان عليه بدلاً من أن يتأذى من هذا المسكين، ويصب عليه جام غضبه، أن يفتش في نفسه عن العلة التي أوجبت ذلك فيسعى في إصلاحها.

كانت هذه الفكرة واضحة في ذهن رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث كانت إرهاصات بعث نبي جديد تدور في أرجاء الجزيرة، نتيجة لما بَشَّرت به الديانات السابقة، ووضعت له من علامات تحقَّق أغلبها، وكان أكثر من شخص وطائفة يتمنونها فكان اليهود (**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**)[3] وكان أبو عامر الراهب الفاسق

(١) المؤمنون: ١-١١.

(٢) الخطاب كان موجهاً لفضلاء وطلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

(٣) البقرة: ٨٩.

والد حنظله غسيل الملائكة في أحد، حنظلة الذي ترك قومه في المدينة مغضباً حينما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان مَنْ يقول (**لَوْلا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**)[1] وهو الثقفي، أما رسول الله صلى الله عليه وآله فكان تفكيره حكيماً، لأنه علم أن هذا المنصب الشريف لا يُعطى إلا بعد تربية مكثفة، وإنعزال تام عن إنحرافات المجتمع وشروره، فحبِّب إليه الإختلاء في غار حراء[2] لينفرد بالخالق، ويتفكر في المخلوقات، ويطيل التأمل في الوجود والحياة وسرهما، والهدف من وراء هذا الكون المترامي الأطراف بكل ما يحمله من دقة وتناسق وتنظيم، وتجرَّدَ عن الماديات حتى يفنى بالعظيم الذي بيده كل ذلك.

ولما تكاملت التربية التي تولاها الله تبارك وتعالى بنفسه، لعدم وجود من هو أكمل منه يربيه، وتَمَّ الأدب: (أدَّبني ربي فأحسن تأديبي)، كان من الطبيعي جداً أن يحضى بالشرف العظيم: السفارة الإلهية، والرسالة عن

(١) الزخرف: ٣١.

(٢) لاحظ أن هذا التفرغ لله سبحانه، أو، الحاجة إلى (غار حراء) المعنوي، ليست مقتصرة على حال ما قبل التصدي للمسئولية والإستعداد لها، بل هو ضروري ومهم على طول الخط، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا حلَّت العشر الأواخر من شهر رمضان طوى فراشه، وشَدَّ مئزره، وشَمَّر عن ساعد الجد للعبادة، ونقرأ في سيرة الإمام الكاظم (عليه السلام) أنه عندما سجن قال: إلهي طالما كنتُ أسألك أن تفرغني لعبادتك، وقد فعلتَ، فلك الحمد. بحار الأنوار ج٤٨ ص١٠٧.

الله سبحانه وتعالى الخالق إلى المخلوقين، وأن يكون الواسطة في الفيض الإلهي على البشرية جميعاً، والسبب في هداية الناس، وتكميل نفوسهم بالفضائل، وتطهيرها من الرذائل، وفي الحديث عن الصادق عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ نَبِيَّهُ فَأَحْسَنَ أَدَبَهُ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُ الأَدَبَ قَالَ: (إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَ الدِّينِ وَ الأُمَّةِ لِيَسُوسَ عِبَادَهُ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (**ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**) وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ مُسَدَّداً مُوَفَّقاً مُؤَيَّداً بِرُوحِ الْقُدُسِ، لا يَزِلُّ وَلا يُخْطِئُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَسُوسُ بِهِ الْخَلْقَ)[1].

وفي حديث آخر (**إِنَّ اللهَّ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْداً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيّاً**)[2]، فالخطوة الأولى: التربية المتكاملة حتى بلوغ العبودية المحضة لله سبحانه، ومن ثَمَّ إفاضة المناصب الإلهية، ولكل منصب تربيته المناسبة، فإن تكملة الحديث السابق: (**وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيّاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولاً، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلاً، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلاً قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَاماً، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ الأَشْيَاءَ قَالَ: (إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً)**[3][4].

(١) الكافي ج١ ص٢٦٦.

(٢) المصدر ج١ ص١٧٥.

(٣) البقرة: من الآية ١٢٤.

(٤) الكافي ج١ ص١٧٥، وبحار الأنوار ج١٢ ص١٢، وج٢٥ ص٢٠٥، وص٢٠٦، والاختصاص ص٢٢، وص٢٣.

هذه هي مرتبة الإمامة وسمو مقامها، فهي فوق كل منصب، لأنها قيادة البشرية نحو تكميل النفوس بالفضائل، وتخليتها عن الرذائل، فلا يقوم بها إلا من بلغ أعلى درجاتها.

ومما يضحك الثكلى أن يُعطى هذا اللقب إلى من تفصله مسافة طويلة عن كمال النفس، فكيف سيكون سبباً لتكميل الآخرين، وفي الحديث: (لا يَكُونُ السَّفِيهُ إِمَامَ التَّقِيِّ)[1] وكل مَنْ تصدر منه معصية فهو سفيه حتى يتوب، لأن: (العقل ما عبد به الرحمن)[2]، كما في الحديث، فمعصيته تبارك وتعالى سفاهة، وتغييب للعقل، وبه استدل على عصمة الإمام عليه السلام.

خصائص نفسية للنبي صلى الله عليه وآله:

وقد تحصلت إلى الآن عدة خصائص نفسية له صلى الله عليه وآله.

الأولى: الفناء التام في الله تبارك وتعالى، والعبادة الدائمة له سبحانه، بحيث يكون الله تبارك وتعالى، هدفه دائماً، والمحور الذي ترتكز عليه كل تفاصيل حياته، والإخلاص في الطاعة.

الثانية: المعرفة التامة بحقيقة الربوبية وحقوقها، والعبودية ووظائفها .

(١) الكافي ج١ ص١٧٥، وبحار الأنوار ج١٢ ص١٢، وج٢٥ ص٢٠٥، والاختصاص ص٢٢.

(٢) الكافي ج١ ص١١، ووسائل الشيعة ج١٥ ص٢٠٥، وبحار الأنوار ج١ ص١١٦، وج٣٣ ص١٧٠، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٨ ص١٨٦، والمحاسن ج١ ص١٩٥، ومعاني الأخبار ص٢٣٩.

الثالثة: عدم التصدي لموقع، أو، منصب إلا أن يولِّيه الله سبحانه إياه، وغاية ما يفعله أن يهيء في نفسه الإستعداد والأهلية للعطاء الإلهي، وعندئذ يفيض الله سبحانه على العبد ما يستحقه، فانه تبارك وتعالى لا بخل في ساحته، ولا يحجب عطاءه عن أحد، إلا أن تحجبهم الذنوب دونه، وقد طبَّق صلى الله عليه وآله ذلك على أصحابه، فكان صلى الله عليه وآله يقول: لا نولِّي الأمر أحداً يطلبه ويسعى إليه، وإنما نحن الذين نختار للأمر من نشاء.

الرابعة: الأدب الرفيع مع الله سبحانه بالتسليم المطلق له تبارك وتعالى، فلا يقترح على الله شيئاً، ولا يعزم على أمر دون أن يستاذنه تبارك وتعالى، حتى في مثل تسمية سبطيه، فحينما قال له علي وفاطمة عليهما السلام: سمِّ الوليد هذا فنحن لا نسبقك، قال صلى الله عليه وآله: ما كنت لاسبق ربي بتسميته فنزل عليه الوحي من الله تبارك وتعالى يخبره بتسميته حسناً، وكذا تسمية أخيه الحسين عليه السلام. وكان صلى الله عليه وآله لا يبتُّ في أمر حتى يقول صلى الله عليه وآله: أمهلني حتى يأتيني حبيبي جبرئيل؛ حتى في لحظاته الأخيرة حينما خيَّره ملك الموت بإذن الله بين اللحوق بالرفيق الأعلى، أو، الخلود في الدنيا، وهو على ما هو عليه من المنزلة الرفيعة، فاستمهله حتى يستأذن ربه[1]، فنزل عليه جبريل يقرأ عليه الآية الشريفة (**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى**)[2]؛ فمثَّل بذلك العبودية الحقيقية لله سبحانه، وهذا وجه

(١) الجعفريات ص٢١١.

(٢) الضحى: ٤-٥.

لفهم ما ورد: أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون وما فيه من أجلهﷺ وأهل بيته، والوجه أن الله سبحانه يقول (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**)[١] ولم تتحقق العبودية الكاملة إلا فيهﷺ وأهل بيته، فصحَّ أن خلق الجن والانس كان لأجلهمعليهم السلام. وقد أدَّب الله تعالى عباده بذلك فضلا عن رسوله الكريمﷺ، فقال تبارك وتعالى: (**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**)[٢].

الخامسة: تطبيق الشريعة في كل تفاصيل حياته، ومراجعة بسيطة لكتاب مكارم الأخلاق تعطيك الشاهد على ذلك، فكلُّ حركاته وسكناته كانت وفق الشريعة، بل كانت أفعاله عين الشريعة وتأسيساً لها .

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) النساء: ٦٥.

صفات القائد الرسالي المبنية على المعرفة بالله تبارك وتعالى

وقد قلنا إن هذه الخصائص ترشَّحت عنها نتائج كثيرة رسمت ملامح شخصيته صلى الله عليه وآله، وكانت العلة لتصرفاته وسلوكه صلى الله عليه وآله، وهي تمثّل صفات وخصائص من يتولى أمر الأمة تأسياً برسول الله صلى الله عليه وآله، ومن هذه الصفات:

الصفة الأولى: التذكُّر الدائم لقدرة الله عليه والتصرف بحاله، ومن ذلك توقعه الموت في أية لحظة، كان صلى الله عليه وآله يقول: (مَا طَرَفَتْ عَيْنَايَ إلا ظَنَنْتُ أنَّ شُفْرَيَّ[1] لا يَلْتَقِيَان حَتَّى يَقْبِضَ اللَّهُ رُوحِي، وَمَا رَفَعْتُ طَرْفِي وَظَنَنْتُ أنّي خَافِضُهُ حَتَّى أُقْبَضَ)[2]؛ إشترى أسامة بن زيد وليدة[3]، وأجَّل الثمن مدة شهر، فقال صلى الله عليه وآله: إن إسامة لطويل الأمل[4]، وكان ينهى ويحذر

(١) شُفْرُ العين: منابت الأهداب من الجفون. لسان العرب، مادة: شفر.

(٢) مستدرك الوسائل ج٢ ص١٠٩، وبحار الأنوار ج٧٠ ص١٦٦، وروضة الواعظين ج٢ ص٤٣٧، ومجموعة ورام ج١ ص٢٧١.

(٣) وليدة: الأَمة وإن كانت مسنة، وأيضاً يطلق على الوصيفة. لسان العرب، مادة: ولد.

(٤) مستدرك الوسائل ج٢ ص١٠٩، وبحار الأنوار ج٧٠ ص١٦٦، وروضة الواعظين ج٢ ص٤٣٧، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٨ ص١٢٧، ومجموعة ورام ج١ ص٥٠.

من طول الأمل، ويوصي بتذكر الموت دائماً فانه خير واعظ: قال صلى الله عليه وآله لأصحابه يوماً: (إنَّ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه وَمَا جَلاؤُهَا؟، قَالَ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَذِكْرُ الْمَوْتِ)[١]؛ ويقول عن طول الأمل: إنه ينسي الآخرة[٢]؛ وفي الحديث (يشيب المرء وتشبُّ معه خصلتان، إتباع الهوى وطول الأمل)، وهما خصلتان رذيلتان، وينبع منهما الكثير من الشرور؛ كَانَ ضَحِكُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله التَّبَسُّمَ؛ فَاجْتَازَ ذَاتَ يَوْمٍ بِفِتْيَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَإِذَا هُمْ يَتَحَدَّثُونَ وَيَضْحَكُونَ ملْءَ أَفْوَاههمْ؛ فَقَالَ: مَهْ، يَا هَؤُلاء مَنْ غَرَّهُ منْكُمْ أَمَلُهُ وَقَصرَ به فِي الْخَيْرِ عَمَلُهُ فَلْيَطَّلِعِ الْقُبُورَ، وَلْيَعْتَبِرْ بِالنُّشُورِ، وَاذْكُرُوا الْمَوْتَ فَإِنَّهُ هَادِمُ اللَّذَّاتِ[٣]. إن لذكر الموت ثمرات عديدة :

١- يحجز المرء عن عمل المعاصي وإتباع الشهوات، فان من يكون متوقعاً للموت في أية لحظة كيف يقدم على معصية وهو يعتقد أنه قد يأتيه الأجل وهو على ذلك الحال فيختم له بالشقاء، فلو فكَّر كل مَنْ يهمّ بمعصية هذا التفكير لكان خير رادع عن القيام بها .

٢- يدعوه إلى الإسراع بالخيرات، والإزدياد من الطاعات، وإغتنام كل لحظة، وإستثمار كل آن في حياته، ليتقرب إلى الله سبحانه، ما دام

(١) مستدرك الوسائل ج٢ ص١٠٤، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٠ ص٢٣، وص١٤٤، وعوالي اللآلي ج١ ص٢٧٩.

(٢) الكافي ج١ ص٤٤، وبحار الأنوار ج٧٣ ص٥٩، والأمالي للطوسي ص٥٢٢.

(٣) وسائل الشيعة ج١٢ ص١١٩.

يعتقد أنه قد لا يبقى إلى الزمن الثاني، وما دام كل رأسماله هو هذه اللحظات التي يعيشها، فلماذا لا يستثمرها في تجارة لن تبور؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام في غرر كلامه: (فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَاتُ، وَمَنْ رَاقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ)[1].

٣- عدم تسويف التوبة، بل المبادرة إليها، والقيام بكل متطلباتها، من الاستغفار، والندم، وعقد العزم على عدم العود، وأداء الحقوق، ورَدِّ المظالم إلى أهلها .

٤- عدم التكبر والغرور والطيش، ما دام يعلم أن نهايته إلى الموت والفناء، وهل يرضى عاقل أن يغتر، أو، يطغى بشيء زائل مهما كان عظيما في تصوره، فتزول اللذة وتبقى التبعة .

٥- جلاء القلوب من الرين والصدا الذي يعتريه بسبب الذنوب، كالمرآة التي تصدأ من الغبار والدخان الذي تتعرض له، فتتضائل قابليتها على عكس الصور الخارجية بوضوح، كذلك القلب الذي هو مرآة الحقائق الواقعية يتكدر بغبار الذنوب ويسوَدُّ، وجلاؤه في الموعظة وذكر الموت، كما نقلنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل قليل وكما اوصى امير المؤمنين عليه السلام ولده الحسن عليه السلام: اي بني أحي قلبك بالموعظة وأمته

(١) الكافي ج٢ ص٥٠، وبحار الأنوار ج٦٥ ص٣٥٠.

بالزهادة[١]. ومن كلمات لهﷺ في الإهتمام بذكر الموت وبيان آثاره (أكثروا ذكر هادم اللذات، فانكم إن ذكرتموه في ضيق وسَّعه عليكم، فرضيتم به، فأُثبتم، وان ذكرتموه في غناء بغَّضَه إليكم، فجدتم به، فأُجرتم؛ فان المنايا قاطعات الآمال، والليالي مدنيات الآجال، فان أحدكم إذا مات فقد قامت قيامته، ويرى ماله من خير، أو شر، وإن المرء بين يومين، يوم يومٌ قد مضى احصي فيه عمله فختم عليه، ويومٌ قد بقي فلا يُدرى لعله لا يصل اليه، وإن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف، وقلة غناء ما خلف، ولعله من باطل جمعه، أو، من حق منعه)[٢].

فالموت، يا أحبتي، آت وكل آت قريب، ومن كلمات أمير المؤمنينعليه السلام: (نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِه)[٣]، لأنه بكل نَفَس، يخطو خطوة إلى أجله، لذا ورد في بعض الكلمات: (إنك منذ يوم هبطت من بطن أمك استقبلت الآخرة واستدبرت الدنيا)[٤]. وفي رسالة بعثها الإمام الكاظمعليه السلام من سجنه المظلم إلى هارون العباسي: (أنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضي جميعاً إلى

(١) نهج البلاغة، من وصيته الى ولده الحسن (عليه السلام) عند انصرافه من صفين.
(٢) إرشاد القلوب للديلمي مع اضافات من مصادر أخرى.
(٣) نهج البلاغة ص٤٨٠، وبحار الأنوار ج٧٠ ص١٢٨، وغرر الحكم ص١٦٥، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٨ ص٢٢١.
(٤) الاختصاص ص٢٣٦ من وصايا لقمان الحكيم لابنه.

يوم ليس له انقضاء، يخسر فيه المبطلون)[١].

فلماذا إذن الإغترار بالدنيا مهما عظمت، ولماذا التنافس على أمور وهمية ليست حقيقية لأنها زائلة، كان الإمام الكاظم عليه السلام في تشييع جنازة، فوقف على القبر، ونظر إلى ذلك المكان الموحش المظلم الذي سيدفن فيه وحيداً غريباً، لا قرين معه إلا عمله، فقال عليه السلام: (إنَّ شَيْئاً هَذَا آخِرُهُ لَحَقِيقٌ أنْ يُزْهَدَ فِي أوَّلِه، وَإنَّ شَيْئاً هَذَا أوَّلُهُ لَحَقِيقٌ أنْ يُخَافَ مِنْ آخِرِه)[٢].

قال صلى الله عليه وآله لأحد أصحابه قيس بن عاصم المنقري: (يا قيس، إن مع العز ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، و إن لكل شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، وإن لكل أجل كتاباً، وإنه يا قيس، لا بد لك من قرين يُدفن معك وهو حي، وتُدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، لا يُحشر إلا معك، ولا تُحشر إلا معه، و لا تُسأل إلا عنه، ولا تُبعث إلا معه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إنْ كان صالحاً لم تأنس إلا به، وإن كان فاحشاً لا تستوحش إلا منه، وهو عملك)[٣].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٨ ص١٤٨.

(٢) وسائل الشيعة ج١٦ ص١٥، وبحار الأنوار ج ٧٠ ص١٠٣، وج٧٥ ص ٣٢٠، وتحف العقول ص٤٠٨، ومعاني الأخبار ص٣٤٣.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٤ ص١٧٧، وإرشاد القلوب ج١ ص٣٦، وأعلام الدين ص٣٣١، والأمالي للصدوق ص٢، والخصال ج١ ص١١٤، ومعاني الأخبار ص٢٣٢.

نزل جبرئيل الأمين على رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً وقال له: (يا محمد، السلام يقرئك السلام، ويقول لك: إن شئتَ صَيَّرْتُ معك جبال تهامة ذهباً وفضة، وخذ هذه مفاتيح كنوز الأرض، ولا ينقص ذلك من حظك يوم القيامة، قال: يا جبرئيل، وما يكون بعد ذلك؟، قال: الموت؛ فقال: إذن لا حاجة لي في الدنيا، دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً، فاليوم الذي أجوع فيه أتضرع إلى ربي وأسأله، واليوم الذي أشبع فيه أشكر ربي وأحمده، فقال له جبرئيل: وفقتَ لكل خير يا محمد.[1] فليكن هاجس (ثم ماذا) يراودنا دائماً حينما نغتر بالدنيا، ونزهو بالموقع، ونتنعم على حساب الآخرين .

وها قد وصلنا إلى صفة ثانية ترشحت عن المعرفة الإلهية بترابط وثيق لا يكاد ينفك، وهي :

الصفة الثانية: الإعراض عن زخارف الدنيا وزينتها وزبرجها، وهو شرط من شروط تشريفهم بهذا المنصب الجليل، كما ورد في دعاء الندبة (إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطتَ عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمتَ منهم الوفاء به، فقبلتهم وقربتهم وقدَّمتَ لهم الذكر العلي، والثناء الجلي، وأهبطتَ عليهم ملائكتك، وكرَّمتهم بوحيك، ورفدتهم بعلمك، وجعلتهم الذريعة إليك، و

(١) بحار الأنوار ج٤٢ ص٢٧٥.

الوسيلة إلى رضوانك)[١] أدَّبه بذلك ربه (**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى**)[٢]، أي لا تنظر نظر راغب إلى ما متعنا أصنافاً من الكفار، فانه لا قيمة له مقابل ما أُوتي من القرآن العظيم، الذي يقودك إلى النعيم المقيم الدائم.

وخاطَبه ربه مذكّراً بنعمة الله تعالى بإيتاء القرآن التي تندك أمامها كل نعمة، وخصوصاً الدنيوية فقال تعالى: (**وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**)[٣].

وقد صاغ صلى الله عليه وآله هذه التربية بقوله: (مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَظَنَّ أَنَّ أَحَداً مِنَ النَّاسِ أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدْ عَظَّمَ مَا حَقَّرَ اللَّهُ، وَحَقَّرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ)[٤]، وأدَّبه ربه أيضاً بقوله: (**وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...، وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا ...**)[٥]، فالحياة الحقيقية هي في رحاب الله تعالى ووسط أهل الله، في هذه الزخارف التافهة، وزَجَرَ من يخالف هذه المعايير في التعامل (**عَبَسَ وَتَوَلَّى**

(١) الإقبال ص٢٩٥، وبحار الأنوار ج٩٩ ص١٠٤، مفاتيح الجنان.

(٢) طه: ١٣١.

(٣) الحجر: ٨٧-٨٨.

(٤) الكافي ج٢ ص٦٠٤، ووسائل الشيعة ج٦ ص١٧٠، وص١٨١.

(٥) الأنعام: من الآية ٥٢، والكهف: من الآية ٢٨.

أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى)[١]. وكيف تطمح نفسه او ترنو عينه إلى شيء من متاع هذه الدنيا وهوﷺ الذي شبهها بسحابة أظلتك، ثم لم تلبث أن زالت عنك، أو، أنت ظعنت عنها، وقال الشاعر:

ألا إنما الدنيا كظل سحابة أظلتك يوماً ثم عنك اضمحلت

وفي الحديث: لو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء[٢]؛ وكيف يقبلﷺ بهذه الدنيا الفانية المليئة بالمنغصات بديلاً عن الآخرة، التي لا زوال لنعيمها ولا اضمحلال، كما مَرَّ عليك في الدعاء، بل إن أهل المعرفة يقولون: إنه لم يقبل بالآخرة أيضاً بديلاً عن الله سبحانه كما جاء عن أمير المؤمنينعليه السلام أنه قال: (الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله)[٣]، فهل تشغله الحور العين، ولحم طير مما يشتهون، والولدان المخلدون، عن (رضوان من الله أكبر وذلك هو الفوز العظيم)، وهو سر تقسيم أهل الجنة إلى أصحاب يمين، والسابقين السابقين .

يعطيهﷺ القرآن مثلاً عن حقارة الدنيا: (**وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ عَلَيْها**

(١) عبس: ١-٣.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٠، وج٦١ ص٣٢٠، والأمالي للصدوق ص٢٣٤ ج٧٠ ص٨٦.

(٣) العوالي واللآلي ج٤ ص١١٩.

يَظْهَرُونَ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْواباً وَسُرُراً عَلَيْها يَتَّكِؤُنَ، وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذلِكَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ(١)، فهذا كله لا قيمة له، ولا يصلح تعويضاً عما أعدَّ الله للمتقين، فماذا حصل عليه أهل المعاصي حتى رضوا بجهنم ثمناً (ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك)(٢).

وينبغي الإلتفات إلى أن الدنيا التي أعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وآله ليست هي الدنيا المحرمة، فهذا أوضح مصاديق العصمة ومتطلباتها، وإنما كان إعراضه عن الدنيا المحللة، التي لم يكن هناك بأس من التمتع بها: (**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ**)(٣)، وإنما زهد فيها صلى الله عليه وآله تواضعاً لله سبحانه، فإعراضه كان تعظيماً لله سبحانه وتعالى وإجلالاً له (عزت أسماؤه) أن يجعل في قلبه حباً وشغلاً غيره تبارك وتعالى؛ سمعت العقيلة زينب أباها أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنه لا يحب شيئاً سوى الله تبارك وتعالى، فقالت: وحبك أولادك؟، قال عليه السلام: تلك هي الشفقة، وربما كان هذا، أي التعلق بالأولاد، مما يراه النبي صلى الله عليه وآله ذنباً يستغفر منه، وقد وعده الله تبارك وتعالى بالمغفرة: (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما**

(١) الزخرف: ٣٣-٣٥.

(٢) بحار الأنوار ج٩٥ ص٢١٦، باب أعمال خصوص يوم عرفة وليلتها، من دعاء مولانا الإمام الحسين بن علي عليه السلام في يوم عرفة، والإقبال ص٣٤٩.

(٣) الأعراف: من الآية ٣٢.

تَـأَخَّرَ...)[١] لأنـه شـيء إقتـضته الطبيعـة البـشرية التـي فطرهـا الله تبـارك وتعالى، وفي الحديث (ان القلوب بين اصبعين مـن اصـابع الـرحمن يقلبهـا كيف يشاء)[٢]. جاءﷺ يوماً لزيارة فاطمة (سلام الله عليها)، فوجد علـى باب دارها إزاراً ملوناً، فرجع عن زيارتها، فبلغها الخبر، فتـصدقت بـه علـى المسلمين، فعاد إلى زيارتها، وضمها إلى صـدره، وهـو يقـول: ذريـة طيبـة بعضها من بعض.

الصفة الثالثة: المبدأية، وهي صفة تختصر عنـاوين كثيـرة كالثبـات على الحق، وصلابة الإرادة، وعلو الهمة، ورباطـة الجـاش، وقـوة القلـوب، وشجاعة النفس، وعدم التزلزل والتراجع مهمـا كانـت الـضغوط الخارجيـة عظيمة، ومهما كانت المغريات كبيـرة، وهـو القائـل لعمـه أبـي طالـب لمـا جاءتـه قـريش، وعرضـت عليـه عـدة عـروض مقابـل تخليـه عـن الـدعوة، فاجابهم: (والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر فـي شـمالي، علـى أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله، أو أهلك دونه)[٣].

مَرَّ مشرك في أوائل البعثة، وكان النبيﷺ واقفاً يصلي، وإلـى جنبـه إبن عمه عليعليه السلام، وخلفه زوجته خديجة، فسأل عما يدعو إليـه، وموقـف

(١) الفتح: ١- ٢.

(٢) بحار الأنوار ج٦٧ ص٥٣.

(٣) بحار الأنوار ج٩ ص١٤٣، وج٣٥ ص٨٦، وتفسير القمي ج٢ ص٢٢٨، وشرح نهـج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٤ ص٥٤، والمناقب ج١ ص٥٨.

قومه منه، فقيل له: إن هذا محمد، الذي يقول كذا وكذا، فقال: إن أمره سيظهر، وإن دعوته ستنتشر، قيل: وكيف؟، قال: لعلو همته، وقوة إرادته، وهو يواجه الدنيا بصبي وإمرأة؛ يقول صلى الله عليه وآله: (الْمُؤْمِنُ أَصْلَبُ مِنَ الْجَبَلِ، الْجَبَلُ يُسْتَقَلُّ مِنْهُ، وَالْمُؤْمِنُ لا يُسْتَقَلُّ مِنْ دِينِهِ شَيْءٌ)[1].

لم يثنه الأذى الذي تعرض له، وقد وصفه صلى الله عليه وآله: ما أوذي نبي كما اوذيت؛ يرمونه بالحجارة حتى الإدماء، ويضعون الفرث والدم عليه وهو يصلي، يشتمونه ويصفونه بألوان الأوصاف البذيئة: شاعر، مجنون، ساحر، كذَّاب، وهو صابر محتسب، ماض على بصيرة من أمره، وبينة من ربه، وبدَّلوا أسلوبهم إلى الإغراء، فجاء زعماء قريش إلى عمه وكافله أبي طالب: إن شاء محمد مالاً جمعنا له من أموالنا ما يشاء، وإن شاء ملكاً ملَّكناه علينا، فرفض كل تلك العروض، قاطعوه هو ومن معه، وعزلوه إقتصادياً وإجتماعياً، في شعب أبي طالب، لا يبيعون لهم، ولا يشترون منهم، لا يزوجونهم، ولا يتزوجون منهم، وأمضى في الحصار سنين، توفي خلاله ركناه اللذان كان يأوي إليهما، عمه أبو طالب، وزوجته خديجة، عَذَّبوا أصحابه بصنوف العذاب ليفتنوهم عن دينهم، حتى استشهد والدا عمار بن ياسر تحت التعذيب، فيمر عليهم وهو يقول: صبراً

(١) أُنظر: الكافي ج٢، ص٢٤١، وص٢٤٣، وج٥ ص٦٣، وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٧٩، ووسائل الشيعة ج١٦ ص١٥٦، ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٢١٠، وبحار الأنوار ج٦٤ ص٧٢، وص٣٦٢، وج٦٧ ص٩٢. .

آل ياسر، فإن موعدكم الجنة.

حتى تآمروا على قتله، فأحاطوا بداره في جوف الليل، وهم أربعون رجلاً من أشداء قريش، ليضربوه ضربة رجل واحد، فأذَن الله سبحانه له في الهجرة إلى المدينة، فغادر مكة مسقط رأسه، ومحل ذكرياته، ومسكن آبائه، ومثوى أحبائه، ومهوى الأفئدة، وأشرف بقاع الأرض، وله في كل موطن منها موقف رسالي يربطه برب العزة والجلال، غادرها وهو يتلفت إلى الوراء حزناً على فراقها وشوقاً إليها، فنزل عليه القرآن من ربه الرؤوف الرحيم يطيب خاطره: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾[1] كما كان معه على طول الخط يرعاه ويوجهه ويطيب خاطره ويسليه، فكان البلسم الشافي لجراح قلبه .

ثم جَيَّشوا الجيوش لقتاله وإستئصاله، ومع ذلك بقي مطمئن القلب ساكن النفس، يقول علي عليه السلام رمز الشجاعة وعنوانها: (كنا إذا اشتد البأس وحمي الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله ولذنا به)[2]، فكانت أوصافه هذه منبعاً يستقي منه أصحابه صلى الله عليه وآله. ومعيناً ينهلون منه، فهذا عليٌّ أخو رسول الله صلى الله عليه وآله، وصنوه وربيبهُ، عندما أجمعوا على مبايعته، والمدينة مضطربة بالثائرين الغاضبين، والمنافقين، والمتربصين بالإسلام والمسلمين سوءاً، وبالإنتهازيين الذين يريدون القفز إلى السلطة، فكان أول قرار له عزل

(١) القصص: من الآية ٨٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٣ ص٢٧٩.

الولاة الفاسدين، ورد المظالم إلى أهلها، فقال له خاصته: لو تركت معاوية على الشام حتى يستتب الوضع، وتستقيم لك الأمور، فإن عزله الآن يدفعه إلى التمرد والثورة والقتال؛ لكن مبدأيته التي تعلَّمها من رسول الله صلى الله عليه وآله تأبى ذلك، فقال: لا والله، لا أبيت ليلة ومعاوية على الشام؛ لأنه لا يريد أن يلقى الله تعالى وهو مسؤول عن مظالم معاوية وانحرافاته التي استشهد من أجل فضحها، فاين قادة اليوم وسياسيو الأمة وحكامها من هذه المبدأية، وهم يدوسون المبادئ والمثل العليا من أجل ما يسمونه بالمصالح بحسب ما يزعمون؟!.

الصفة الرابعة : سعة الصدر، وفي الحديث (آلَةُ الرِّئَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ)[1]، وأية رئاسة أعظم من تصديه صلى الله عليه وآله لهداية الخلق، وتكميل نفوسهم، والأخذ بأيديهم في طريق الكمال والسمو، والقرب من الله سبحانه، فلا بد أن يكون صدره واسعاً بقدر عدد البشر الذين يرعاهم أفقياً، وبقدر تباين مستوياتهم النفسية والعقلية والإجتماعية عمودياً، وهو كما ترى مدى واسع لا يؤتاه إلا ذو حظ عظيم، ومن لا يجد في نفسه هذا الإستيعاب لاستحقاقات الموقع فلا يتصدى لمثل هذه المناصب الشريفة والمقامات الشامخة.

قال صلى الله عليه وآله لعمه العباس: يابني عبد المطلب، إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ

(١) بحار الأنوار ج٧٢ ص٣٥٧، وخصائص الأئمة ص١١٠، وغرر الحكم ص٣٤٢، ونهج البلاغة ص٥٠١.

بِـأَمْوَالِكُمْ، فَـسَعُوهُمْ بِـأَخْلاقِكُمْ[١]، يقـول أنـس بـن مالـك خـادم رسـول الله ﷺ: خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، ما قال لي يومـاً لـشيء فعلتـه: لِمَ فعلته؟ ولا بشيء لم أفعله: لِمَ لَـمْ تفعلـه؟، وهـي قابليـة عجيبـة لـو درَّب الإنسان نفسه عليهـا وحـدها سـنين لمـا قـدر علـى اسـتيعابها بهـذا الـشكل، وكان بعض أصحابه يسيئون التعامل معه، ينادونه بإسمه، ويرفعون صـوتهم فـوق صـوته ﷺ، فزجـرهم الله تعـالى(**يـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لا تَرْفَعُـوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ، إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ، إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)[٢] وقـال تعـالى: (**لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً**)[٣] وكـانوا يطيلـون

(١) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٣٩٤، وسائل الشيعة ج١٢ ص١٦٠، وص١٦١، وبحار الأنوار ج٦٨ ص٣٨٣، وص٣٨٤، وج٧١ ص١٦٩، وج٧٤ ص١٨٦، وص١٧٥، ص٣٨٥، والاختصاص ص٢٢٥، وأعلام الدين ص٢٩٤، والأمالي للصدوق ص١٢، وص٤٤٦، وروضة الواعظين ج٢ ص٣٧٦، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج٦ ص٣٣٨، وج١١ ص٢١٨، وعوالي اللآلي ج٢ ص٧٤، وج٤ ص٨٠، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٥٣، مستدرك الوسائل ج٨ ص٤٤٦، وص٤٤٨، وص٤٥٣.

(٢) الحجرات: ٢-٥.

(٣) النور: من الآية ٦٣.

المكث عنده مستأنسين لحديثه صلى الله عليه وآله، وكان ذلك ثقيلاً عليه، إلا أن كرم أخلاقه تمنعهُ من إخبارهم بذلك، فنزل قوله تعالى: (**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ وَلكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**)[١].

كان صلى الله عليه وآله يعرف المنافقين باسمائهم وأعيانهم قال تعالى: (**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغانَهُمْ، وَلَوْ نَشاءُ لأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ**)[٢]، ويعلم بتصرفاتهم المشينة، كالمرجفين بأهل المدينة، والذين مردوا على النفاق، وهو صابر عليهم؛ مات زعيم المنافقين الذي نزل فيه قوله تعالى في سورة المنافقين: (**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ**)[٣] يقصد بالأذل محمد وأصحابه المهاجرين معه من مكة، فلما مات وقف صلى الله عليه وآله يصلي على جنازته، فجذبه أحد الأصحاب وقال: كيف تصلي عليه وهو رأس النفاق، وفيهم نزل قول الله: (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)[٤] قال صلى الله عليه وآله: لو علمتُ أن باستغفاري له واحداً وسبعين

(١) الأحزاب: من الآية ٥٣.

(٢) محمد: ٢٩-٣٠.

(٣) المنافقون: من الآية ٨.

(٤) التوبة: من الآية ٨٠.

مرة يغفر له لفعلتُ، وقال له بعض أصحابه، لما تبرموا بتصرفات زعيم المنافقين: لو أمرتنا بقتله، قال: أكره ان تقول العرب أن محمداً يقتل اصحابه.

هذا الحلم، وهذا القلب الكبير، والصدر الواسع، حَبَّبه صلى الله عليه وآله إلى كل من يلقاه، أو، يسمع بذكره، قال تعالى: (**فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**)[1]، ومن سعة صدره أن من بين زوجاته من كانت تنغص عليه عيشه، وتجرح مشاعره، وتطعنه في أحب وأعز الأشياء إليه، وتشكك في رسالته، فتقول له: يامحمد، أنت الذي تزعم أنك رسول الله؛ وأبوها واقف فزجرها.

طعنتاه في شرفه، حينما إتهمتا زوجته مارية القبطية، بأنها حملت ولده إبراهيم من عبد وليس منه صلى الله عليه وآله، فكانت جرحاً عظيماً في مشاعره، وأرسل علياً؛ ليقتله فلما لحق به صعد العبد النخلة فاكتشف علي انه ليس له ما للرجال وكان مجبوبا، وعيّرته نفس الزوجتين حين شرب شراباً يعجبه عند إحدى زوجاته فحرَّم على نفسه ذلك الشراب لدفع تهكمهما، فنزل قوله تعالى: (**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ**)[2].

على مثل هذه الأجواء داخل بيته كان يصبر رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن نعلم أن المنغصات والمتاعب حينما تكون من داخل البيت فانها تنكّد

(١) آل عمران: من الآية ٥٩.

(٢) التحريم: من الآية ١.

العيش، وتكدِّر القلب، وتثقل على الروح، بينما مهما عظمت الضغوط من الخارج فانه عندما يعود إلى بيت هانئ سعيد، وعواطف زوجية دافئة، فانه يُلقي همه خارج البيت، خصوصاً وانه عاش مثل هذه الزوجية السعيدة في سنينه الأولى مع خديجة، وظل يحنُّ لتلك الذكريات، ويكرم كل من يذكره بها بعد وفاتها، وهِجْرَته بسنين[١]، ولعظم هذا التنغيص انتصر له ربه بما لم ينتصر به لأي عدو، فانه تعالى هَوَّن من جميع الأعداء، ووصفهم بالضعف والهوان، أما هذا الذي في داخل البيت فقد حَشَّد الله تعالى كل منابع القوة ﴿**إِنْ تَتُوبا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ**﴾[٢] ورغم ذلك كله لم نسمع أنه صدر منه ما يدل على أنه تململ، أو، رَدَّ الصاع صاعين.

وله صلى الله عليه وآله أحاديث كثيرة تحثُّ على مداراة الناس وتحمل أذاهم، ومخاطبتهم على قدر عقولهم، فقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (أَمَرَني رَبِّي بِمُدَارَاة النَّاس، كَمَا أَمَرَني بِأَدَاء الْفَرَائِض)[٣]، وقال صلى الله عليه وآله: (ثَلاثٌ مَنْ لَمْ يَكُنَّ فِيهِ لَمْ يَتِمَّ لَهُ عَمَلٌ، وَرَعٌ

(١) راجع محاضرتنا عن ام المؤمنين خديجة بنت خويلد في ذكرى ولادتها للصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام وهي منشورة في كتاب (من وحي المناسبات).

(٢) التحريم: ٤.

(٣) الكافي ج٢ ص١١٧، ووسائل الشيعة ج١٢ ص٢٠٠، وج١٦ ص٢٠٨، وبحار الأنوار ج٢ ص٦٩، وج١٣ ص١٣٥، وج١٨ ص٢١٣، وج٧٢ ص٥٣، وص٣٩٦، وص٤٤٠، والأمالي للطوسي ص٤٨١، وص٥٢١، ومعاني الأخبار ص٣٨٥.

يَحْجُزُهُ عَنْ مَعَاصِي اللَّـهِ، وَخُلُقٌ يُـدَارِي بِـهِ النَّـاسَ، وَحِلْـمٌ يَـرُدُّ بِـهِ جَهْـلَ الْجَاهِلِ)[١].

ومن تأديب الله تبارك وتعالى لـه ﷺ (ادْفَعْ بِـالَّتِي هِـيَ أَحْـسَنُ فَـإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[٢] وقال تعالى: (وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ)[٣].

إن هذا الصدر الواسع والقلب الكبير كان نتيجة طبيعية لعدة أمور:

١- عظمة الأهداف التي يعيشها، والمشروع الإلهي العظيم الذي يـرى نفـسه جـزءاً منـه، ضـمن سلـسلة طويلـة مـن الأنبيـاء والرسـل والـصالحين، تعاهدوا على مواصلة حمل الأمانة في إقامة الحق والعـدل للبـشرية، فـسمو الهدف يشغل القائد الرسالي عن الإلتفات إلى ذاته، والتأثر لهـا، والإنفعـال بملابساتها.

٢- العـالم العلـوي الحقيقـي الـذي يحيـا فيـه بعيـداً عـن هـذا العـالم المحسوس، مما يجعله لا يقيم لتصرفات أهل الدنيا وزناً، ومما يقرِّب هـذه الفكرة ما روي: أن الإمام الهادي عليه السلام لما اسـتجلبه المتوكـل العباسـي مـن مدينة جده ﷺ إلى سامراء، أنزله خان الصعاليك، وكأنه أراد أن يستصغر

(١) الكافي ج٢ ص١١٦، ومـن لا يحـضره الفقيـه ج٤ ص٣٥٨، ووسـائل الـشيعة ج١٢ ص١٢، وص٢٠٠، وج١٥ ص٢٤٦، وبحار الأنوار ج٧٢ ص٤٣٧، وج٧٤ ص٥١.

(٢) فصلت: من الآية ٣٤.

(٣) القصص: من الآية ٥٤.

شأن الإمام عليه السلام، فدخل عليه وهو في ذلك الحال أحد شيعته وتألم لهذه الحال، وقال للإمام عليه السلام: جُعِلْتُ فداكَ، في كُلّ الأمُور أرَادُوا إطْفَاءَ نُورِكَ وَالتَّقْصيرَ بكَ حَتَّى أنْزَلُوكَ هَذَا الْخَانَ الأَشْنَعَ، خَانَ الصَّعَاليك!! فَقَالَ: هَاهُنَا أنْتَ يَا ابْنَ سَعيد، ثُمَّ أوْمَأَ بيَده وَقَالَ: انْظُرْ، فَنَظَرْتُ، فَإذَا أنَا برَوْضَات آنقَات وَرَوْضَات بَاسرَات، فيهنَّ خَيْرَاتٌ عَطرَاتٌ وَوِلْدَانٌ كَأَنَّهُنَّ اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ وَأَطْيَارٌ وَظبَاءٌ وَأَنْهَارٌ تَفُورُ، فَحَارَ بَصَري وَحَسَرَتْ عَيْني، فَقَالَ: حَيْثُ كُنَّا فَهَذَا لَنَا عَتيدٌ، لَسْنَا في خَان الصَّعَاليك [1].

٣- أهمية النتائج والعاقبة الحسنة التي يتوقعها، فكلما تسامى عن ردود الفعل العاطفية، وعن الإنتصار لنفسه وانانيته، كان جزاؤه عند الله تعالى أعظم، قال تعالى: (**وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)[2]، (**أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**)[3].

٤- عظمة الله في عينه، التي صغَّرت ما دونه، كما وصف أمير المؤمنين المتقين، وهو صلى الله عليه وآله سيدهم: (عَظُمَ الْخَالِقُ في أَنْفُسهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ في أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ

(١) الكافي ج١ ص٤٩٨، وبحار الأنوار ج٥٠ ص١٣٢، وص٢٠٢، والاختصاص ص٣٢٤، والإرشاد ج٢ ص٣١١، وإعلام الورى ص٣٦٥، وبصائر الدرجات ص٤٠٦، وروضة الواعظين ج١ ص٢٤٦، وكشف الغمة ج٢ ص٣٨٣، والمناقب ج٤ ص٢١١.

(٢) التغابن: من الآية ١٤.

(٣) النور: من الآية ٢٢.

كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ)[١].

٥- وعد الله تبارك وتعالى بانه هو الذي يأخذ بحق المؤمنين وينتصر لهم، إن صدقوا فيما عاهدوا الله من الإخلاص له ونكران ذاتهم، (إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)[٢].

فهو يستحي أن يعيش لحظة لنفسه، فإذا أحب فلله، وإن أبغض فلله، وإذا تألم فلله، وإذا فرح فلله؛ حينما تمكَّن أمير المؤمنين عليه السلام من عمرو بن عبد ود العامري فارس فرسان قريش في معركة الخندق، وعلا صدره ليجهز عليه، ثارت بينهما غبرة، ففوجئ المسلمون بقيام علي عليه السلام عنه من دون أن يقتله، ثم عاد إليه وقطع رأسه، فسُئل عن ذلك قال عليه السلام: لما علوت صدره بصق اللعين في وجهي، فتركتُ قتله لئلا يكون غضباً لنفسي، فلما هدأت عدتُ إليه وذبحته خالصاً لله سبحانه[٣].

الصفةالخامسة: التواضع، كان صلى الله عليه وآله لا يتميز عن أصحابه بمأكل،

(١) نهج البلاغة ص٣٠٣ خطبة ١٩٣، وبحار الأنوار ج٦٤ ص٣١٥، وص٣٤١، وج٦٥ ص١٩٢، وج٧٥ ص٢٣، وص٢٨، وص٧٣، وأعلام الدين ص١٣٨، والأمالي للصدوق ص٥٧٠، وتحف العقول ص٦٥٩، والتمحيص ص٧٠، وروضة الواعظين ج٢ ص٤٣٨، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٠ ص١٣٢، وصفات الشيعة ص١٨، وكتاب سليم ص٨٤٩، وكشف الغمة، ج١ ص١٠٠، وكنز الفوائد ج١ ص٩٠، ومكارم الأخلاق ص٤٧٥.

(٢) الحج: ٣٨.

(٣) أُنظر: مستدرك الوسائل ج١٨ ص٢٨.

ولا بملبس، ولا بمجلس، وإذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل، وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ عَلَى الأَرْضِ، وَيَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ، وَيَعْتَقِلُ الشَّاةَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ عَلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ.(١) وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ.(٢)، بحيث أن الأعرابي إذا دخل المسجد يطلب رسول الله ﷺ يقول: أيكم محمد(٣)، هكذا كان كأي واحد من أصحابه .

تقدَّم منا أن تخليه عن الطيبات المحللة كان تواضعاً لله سبحانه وتعظيماً لشأنه، وهو ﷺ حينما يتواضع ليس تكلفاً بل حقيقة وعن معرفة، لأن التواضع المحمود على قسمين:

الاول: تواضع من يرى لنفسه شأناً ما، ولكنه يتواضع لما بلغه من حسن التواضع، والأجر الذي يُعطى للمتصف به، والحمد والثناء على صاحبه، فيتواضع.

الثاني: تواضع المعرفة بحقيقة العبودية، وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، تواضع الفقر والحاجة والإضطرار، فهو

(١) وسائل الشيعة ج١٢ ص١٠٨، ومستدرك الوسائل ج١٦ ص٢٢٧، وبحار الأنوار ج١٦ ص٢٢٢، وص٢٢٩، والأمالي للطوسي ص٣٩٣، ومكارم الأخلاق ص١٦.

(٢) مستدرك الوسائل ج٨ ص٢٦٩.

(٣) أُنظر: بحار الأنوار ج٤١ ص٢٣٠، وج٤٣ ص٣٣٣، وج٩١ ص٥، والقصص للرواندي ص٢٩٥.

لا يرى لنفسه قيمة ولا شأناً، فيكون التواضع طبيعة له وعلى القاعدة، وليس إستثناءاً يتكلفه، لأنه لا يملك شيئاً يتعالى به، أو، يتكبر، أو، يطغى من أجله، فتكون هذه الصفات عنده سالبة بانتفاء الموضوع، ومثله لا يحتاج إلى دليل على حسن التواضع ومدح صاحبه ليتواضع، هذا المستوى من المعرفة بالله تعالى عبر عنه سبطه الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: (إلهي مَنْ كانت محاسنه مساوي، فكيف لا تكون مساويه مساوي، ومن كانت حقائقه دعاوي، فكيف لا تكون دعاويه دعاوي)[1] (إلهي أنا الفقير في غناي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري، إلهي أنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي)[2]، وجَسَّد مثل هذا التواضع نبي الله موسى، حينما أوحى الله سبحانه إليه في إحدى مناجاته، أنه: ياموسى، إذا أتيت إلى المناجاة الآتية فاصطحب معك مخلوقاً أنت افضل منه، وحاول موسى عليه السلام وهو النبي الكريم، وأحد أولي العزم من الرسل، أن يجد من البشر من يراه دونه فلم يجد، فنظر في الحيوانات فلم يجد، إلى أن عثر على كلب أجرب فقاده معه، وفي أثناء الطريق أطلقه، تواضعاً لله تبارك وتعالى ان يجد نفسه شيئاً عند الله تعالى، فلما جاء إلى المناجاة أوحى الله سبحانه إليه أنه: حسناً فعلت حين أطلقت الكلب، ولو

(١) بحار الأنوار ج٩٥ ص٢٢٥، والإقبال ص٣٤٨.

(٢) بحار الأنوار ج٩٥ ص٢٢٥، والإقبال ص٣٤٨.

جئتَ به لكنتُ محوتك من ديوان النبوة[١].

هكذا ينبغي للمؤمن أن ينظر إلى نفسه نظرة إزدراء، وإستهانة، وتوبيخ، وتحقير، لتندفع باستمرار نحو الكمال، يؤدبنا الحديث الشريف في هذا السياق: بأنك لا تستطيع أن تجزم أنك أفضل من أحد غيرك، لأن هذا الغير لا يخلو أما أن يكون مسلماً، أو، غير مسلم، فان كان مسلماً فهو لا يخلو أما أن يكون أكبر منك، فحسناته أكثر منك، أو، أصغر سناً منك فسيئاته أقل منك، وإن كان غير مسلم فلا تدري لعل الله يختم له بالحسنى، وأنت لا تعلم بخاتمتك، بمثل هذا التفكير يكبح الإنسان نفسه، ويذوِّب أنانيتها وكبرياءها.

الصفة السادسة: الرحمة ورقة القلب، والرأفة بالمؤمنين، ومشاركتهم في آلامهم وهمومهم، يصفه القرآن الكريم بانه (**عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ**)[٢] فيؤلمه ويعز عليه أن يصيب العَنَتَ[٣] أحداً من المؤمنين، وهو حريص عليكم، فكان يودُّ أن يؤمن جميع الناس، ويدخل كل البشر الجنة، ويتحسَّر على مَنْ لم يؤمن ويحزن، حتى نزل قوله تعالى: (**فَلَعَلَّكَ باخِعٌ**)[٤] ، أي قاتل نفسك على آثارهم، أي بعد

(١) أُنظر: عدة الداعي ص٢١٨.

(٢) التوبة: من الآية ١٢٨.

(٣) العَنَتُ: دخول المَشَقَّة على الإنسان، ولقاء الشدة. لسان العرب، مادة: عنو.

(٤) الكهف: من الآية ٦.

توليهم عنك، (**إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً**)[١]، وقال تعالى: (**لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**)[٢] وقال له ربه: (**فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ**)[٣] وكانت رحمته تسع حتى الكفار والمشركين، فحينما كانوا يؤذونه أشد الأذى كان يقول: اللهم إغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[٤].

ويرق قلبه على الحيوانات، إصطاد أحد أصحابه عصفوراً، لهواً وعبثاً، فقالﷺ له: هل أنت محتاج للحمه؟، قال: لا؛ قالﷺ: إستعد للمساءلة، فان هذا العصفور سيخاصمك عند رب العزة والجلال ويقول: خذ حقي من هذا، فانه قتلني من غير حاجة للحمي. كانﷺ خارجا مع جيش له واثناء سيرهم راى طائرا يحلق فوق رؤوس الجيش لا يفارقهم فجمع اصحابه وسالهم هل تعرفون من امر هذا الطائر شيئا فقال احدهم نعم يارسول الله مررنا اثناء مسيرنا بعش هذا الطائر ووجدت فيه افراخا فاخذتها فهذه الام تتبعهم وتحوم حولهم فاوقف حركة الجيش وامر ذلك الرجل بارجاع الصغار إلى عشهم.

فلا عجب أن يقف سبطه الحسينعليه السلام يوم الطف يبكي على هؤلاء

---

(١) الكهف: من الآية ٦.

(٢) الشعراء: ٣.

(٣) فاطر: من الآية ٨.

(٤) بحار الأنوار ج٩٥ ص١٦٧، والإقبال ص٢١٢، وص٢١٣، ومجموعة ورام ج١ ص٩٩، وص١٨٦، ونهج الحق ص٣٠٨.

القوم الذين يقاتلونه، لأنهم يدخلون النار بسببه، وهو الذي جاء رحمة وهداية لهم، فكانﷺ رحمة لكل المخلوقات، وبهذا وصفه ربه: (**وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ**)[١]، فهوﷺ رحمة لكل العوالم، وليس فقط لعالم البشر دون غيره، فهو مظهر الرحمة الإلهية، أظهر الله تعالى من خلاله رحمته لمخلوقاته (**فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**)[٢].

كان كثيراً ما يبكي رقة ورحمة، فتجد روايات كثيرة تحكي عنهﷺ أنه رأى كذا فبكى، وسمع كذا فبكى، وقيل له كذا فبكى، خصوصاً حينما ينظر إلى أهل بيته الأطهار علي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام، ويتذكر ما يجري عليهم فيقول لهم: (أنتم المستضعفون بعدي)[٣]، وكانﷺ يروى لأصحابه قصص الرحمة والرحماء، كالأم التي غُرِّرَ بولدها أحد ليقتلها ويأتيه بقلبها، ففعل المغرور، وفي طريقه عثر بحجر، فناداه قلب الأم: ولدي، فديتك، هل أصابك من ضرر؛ أو، تلك الأم التي رماها الطغاة وولدها في الأخدود، فرفعته إلى أعلى بيدها لتحميه من النار، غير مكترثة بجسمها المحترق، وينتقل بهم من هذه الأمثلة إلى

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) آل عمران: من الآية ١٥٩.

(٣) بحار الأنوار ج٢٤ ص١٦٨، وج٢٨ ص٥٠، وج٣٦ ص٣٢٥، وج٧٩ ص١٦٨، وشواهد التنزيل ج١ ص٥٥٥، وعيون أخبار الرضاعليه السلام ج٢ ص٦١٠، ومعاني الأخبار ص٧٩.

سعة رحمة الله تعالى، ويقول لهم: إن جزءاً من مئة جزء من رحمة الله وزعها على مخلوقاته، فبها يتراحمون.

وقد جعل الإمام الباقر عليه السلام هذه الرحمة شرطاً لولاية أمر الأمة، ففي الخصال عنه عليه السلام قال: (إن الإمامة لا تصلح إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن المحارم وحلم يملك به غضبه، وحسن الخلافة على من ولي حتى يكون له كالوالد الرحيم)[١]، قال صلى الله عليه وآله لأصحابه يوماً: (حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّه: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: أَمَّا حَيَاتِي فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: (**وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**)[٢] وَأَمَّا مُفَارَقَتِي إِيَّاكُمْ فَإِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ اسْتَزَدْتُ اللَّهَ لَكُمْ وَمَا كَانَ مِنْ قَبِيحٍ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ)[٣].

كان معروفاً بالرحمة والرقة حتى مع أعدائه، وقد استغلوا كرم أخلاقه هذا، تأسياً بكرم الله تعالى حينما يوقف عبده المذنب ويقول له: (**ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**)[٤] حتى عصيته، وتمردت عليه، فعلَّمه العذر والجواب بنفس السؤال ليقول العبد العاصي: غرني كرمك.

---

(١) الخصال ج١ ص١١٦، والكافي ج١ ص٤٠٧، وبحار الأنوار ج٢٥ ص١٣٧، وج٢٧ ص٢٥٠.

(٢) الأنفال: من الآية ٣٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه ج١ ض١٩١، وسائل الشيعة ج١٦ ص١٠٩.

(٤) الإنفطار: من الآية ٦.

كان النضر بن الحارث بن كلدة من أشد قريش عليه صلى الله عليه وآله: يستأجر الجواري ليغنين بهجاء الرسول صلى الله عليه وآله، أُسر في بعض المعارك، وجيء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال النضر: إستبقني للصبية؛ فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وأُطلق سراحه، فعاد الملعون إلى عمله القبيح، وهو يقول: ضحكتُ على محمد وخدعته؛ فأُسر في معركة بدر وعاد إلى نفس المقالة، فقال صلى الله عليه وآله: هيهات، لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين؛ وأمر بضرب عنقه، فلما وصل خبره إلى أخته رثته بأبيات تذكر فيها شفقة النبي صلى الله عليه وآله ورقته وتعتب عليه، أنه أما كان من الممكن إبقاءه لأطفاله، وإن صدر منه ما يستحق القتل، ومما قالت :

أمحمد ولأنت نجل نجيبةٍ في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق[1]

فلما وصلت الأبيات إلى رسول الله صلى الله عليه وآله رقَّ قلبه، وقال: لو بلغني هذا الكلام قبل أن أقتله لأبقيتُ عليه، هكذا كان صلى الله عليه وآله يحبّ هذه الصفة ويشجعها ويستجيب لها.

وكان صلى الله عليه وآله يوصي بما ينشر الرحمة في القلب ويزيل قساوته، كالمسح على رأس اليتيم فمن وصاياه لعلي عليه السلام: يا علي، مَنْ مسح يده على رأس يتيم ترحماً له، أعطاه الله عز وجل بكل شعرة نوراً يوم القيامة[2].

(١) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٤ ص١٧١-١٧٢.
(٢) مكارم الأخلاق ص٤٤٤ من وصية النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

الصفة السابعة: الإحساس الوجداني بالتسديد الإلهي، وشموله بالرعاية الربانية، وعدم انقطاع اللطف الإلهي عنه. وهذا قد يكون بعدة أشكال:

منها: الوحي المباشر، كما حصل لرسول الله صلى الله عليه وآله.

أو، بالإلهام والتحديث، كما كان يحصل للأئمة المعصومين، المعبَّر عنه بالنكت في القلب.

أو، يكون من خلال تحقق علامات وجدانية باطنية يحسها الشخص حين إختياره لقيادة الأمة وولاية أمرها وحمل امانة الانبياء، قال تعالى: (**وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ، وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلاَ الإِيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، صِراطِ اللهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**)[1].

ويبقى هذا العطاء الإلهي مستمراً ومحسوساً، مادام في هذا الموقع، إن كان تلبُّسه به حقيقياً لا ادعاءاً وتقمصاً.

ومن دون الإطمئنان لهذا التسديد المعبَّر عنه باللطف والتوفيق، بأي شكل من أشكاله، فلا يجوز له أن يتبوأ هذا المنصب، فإن الشيطان قد يسوِّل له، ويحسِّن حاله لدى نفسه، فيعتقد بالجهل المركب أنه للولاية أهل، وتعمي نفسه الأمَّارة بالسوء قلبه وعقله، فيكون من (**الأَخْسَرِينَ أَعْمالاً، الَّذِينَ**

(١) الشورى: ١٥-٥٣.

ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً[١].

في كتاب التوحيد عن الإمام الصادق عليه السلام: (ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله أن جبرئيل من قبل الله عز وجل إلا بالتوفيق)[٢] وفي تفسير العياشي عن زرارة: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك مما ينزغ به الشيطان؟، قال: فقال: إن الله إذا إتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكان يأتيه من قبل الله عز وجل مثل الذي يراه بعينه)[٣] لاحظ هذه التعابير عن الإحساسات الوجدانية.

وفي الكافي باسناده عن أبي بصير قال: سَأَلْتُ أَبَا عَبْد اللَّه عليه السلام عَنْ قَوْل اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى (**وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلا الإِيمانُ**)[٤].

قَالَ: خَلْقٌ مِنْ خَلْق اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمُ مِنْ جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ، كَانَ مَعَ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وآله يُخْبِرُهُ وَيُسَدِّدُهُ، وَهُوَ مَعَ الأَئِمَّة مِنْ بَعْده)[٥] ونقل الطبرسي عن الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام: (أن المراد من هذا الروح ملك

---

(١) الكهف: من الآية ١٠٣-١٠٤.

(٢) التوحيد ص٢٤٢، وبحار الأنوار ج٥ ص٢٠٣، وج١٨ ص٢٥٦، وتفسير العياشي ج٢ ص٢٠١.

(٣) تفسير العياشي ج٢ ص٢٠١، وبحار الأنوار ج١٨ ص٢٦٢.

(٤) الشورى: من الآية ٥٢.

(٥) الكافي ج١ ص٢٧٣، وبحار الأنوار ج١٨ ص٢٦٤، وج٢٤ ص٣١٨، وج٢٥ ص٥٩، وص٦١، وبصائر الدرجات ص٤٥٥، وص٤٥٦، وتأويل الآيات ص٣٥٣.

أعظم من جرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يصعد إلى السماء، وإنه لفينا)[١]، وقد تقدَّم في أول الكتاب عن نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام: ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره).

وهذه الصفة، أعني الإطمئنان إلى توفيق الله تعالى ولطفه، ضرورية إذا علمنا أن الولاية على البشر لا تكون إلا لله ولرسوله وللأئمة الطاهرين عليهم السلام، ولمن أذن الله له أن يتصرف في شؤون عباده، عن الإمام الجواد عليه السلام: (المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه)[٢] فكيف بمَنْ يلي أمور المؤمنين؟

ومن هذه العلامات إستشعار هيبة وخشية إضافية لله سبحانه عند تشريفه بمنصب إلهي كبير، عَنْ هَارُونَ بْنِ الْفَضْلِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مَضَى أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام، فَقِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ عَرَفْتَ؟، قَالَ: لأَنَّهُ تُدَاخِلُنِي ذِلَّةٌ لِلَّهِ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهَا)[٣] وهذه الذلّة لله التي أشار اليها

(١) أُنظر: الكافي ج١ ص٢٧٣، وبحار الأنوار ج١٨ ص٢٦٥، وج٢٥ ص٦١، وبصائر الدرجات ص٤٥٧.

(٢) تحف العقول ص٤٥٧، مستدرك الوسائل ج٨ ص٣٢٩، وج١١ ص١٣٥، وبحار الأنوار ج٧٢ ص٦٥، وص١٠٣، وج٧٥ ص٣٥٨، والمحاسن ج٢ ص٦٠٤.

(٣) الكافي ج١ ص٣٨١، وبحار الأنوار ج٢٧ ص٢٩٢، وج٥٠ ص١٤، وص١٣٥، وبصائر الدرجات ص٤٦٧، ودلائل الإمامة ص٢١٩.

الامام عليه السلام ناشئة من الدفقة الجديدة من المعرفة التي أُلقيت إليه عليه السلام، لما أصبح إماماً فعلياً قائماً بالأمر، فأفاض الله تبارك وتعالى عليه رعاية وتسديداً، وعناية اضافية لم يكن محتاجاً إليها لقيام سلفه الطاهر عليهم السلام بالأمر دونه.

ويدل عليه ما ورد عن عبيد بن زرارة وجماعة معه، قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: (يَعْرِفُ الَّذِي بَعْدَ الإِمَامِ عِلْمَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ فِي آخِرِ دَقِيقَةٍ تَبْقَى مِنْ رُوحِهِ)[1].

وليس هذا العطاء من طرف واحد، أي من قبل الله سبحانه، وان كان تعالى هو المبتدئ بالفضل، وإنما هو عطاء متبادل، باعتبار أن العبد كلما ازدادت مسئوليته، فتزداد همته للطاعة، ومراقبته لله سبحانه، وإمساكه بزمام نفسه، منطلقاً من شعوره المتزايد بالمسئولية، فمثلاً يوجد شعور بدرجة ما لدى كل مؤمن بالمسئولية أمام الله تعالى، تدفعة إلى الالتزام بمستوى من الإيمان والورع والتقوى، فإذا ارتدى الزي الديني مثلاً إندفع أزيد إلى الإلتزام، لأنه يشعر أنه قد تصاعدت درجته ظاهراً لدى الناس، فلابد أن يتكامل، ويتحسن باطنه بنفس الدرجة، وإلاَّ فانه يصبح منافقاً ظاهره خير من باطنه، فإذا تصدى لإمامة الجماعة إزداد شعوره بالمسئولية تجاه الله تعالى في تكميل نفسه، وتطهير قلبه، ليكون بمستوى الموقع الجديد الذي يفترض فيه العدالة وحسن الظن لدى من يأتم به، فإذا أصبح مرجعاً دينياً

(١) الكافي ج١ ص٢٧٤، وبحار الأنوار ج٢٧ ص٢٩٤، وبصائر الدرجات ص٤٧٧.

يتصرف بشؤون المسلمين، ويأتمنونه على الحلال والحرام في المال والعرض والنفس، ويتخذونه طريقاً للتعبد بشريعة الله تبارك وتعالى، فإنه يفترض أن يكون على درجة عالية من العدالة، يراها الناس قريبة من العصمة، لأنها المرتبة التي يعتقدون أنه قد وصلها .

هذه الهيبة والخشية أحَسَّ بها رسول الله صلى الله عليه وآله حين نزل عليه الوحي؛ فعاد إلى بيته مثقلاً بالمسئولية التي أُلقيت عليه، خاشعاً متصدعاً قلبه من خشية الله، الناتجة من المعرفة به سبحانه، التي أُفيضت عليه، فتدثَّر بثيابه، فنزل قوله تعالى: (**يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ**)[1] هذه المسئولية الكبيرة هي التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وآله حينما سُئل عن إسراع الشيب إليه قال صلى الله عليه وآله: شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون[2]؛ فقيل في تفسيره: انه لمَا ورد فيها من الآية الشريفة: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ)[3] وهو صلى الله عليه وآله يعلم أن هذه الإستقامة أحَدُّ من السيف، ادق من الشعرة.

هذه العناية الإضافية ليست خاصة برسول الله صلى الله عليه وآله، بل عامة لكل من يتولى أمور المسلمين بإذن الله تعالى، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (مَا مِنْ لَيْلَة جُمُعَة إِلاَّ وَلأَوْلِيَاء اللَّه فِيهَا سُرُورٌ؛ قُلْتُ: كَيْفَ ذَلِكَ، جُعِلْتُ

(١) المدثر: ١-٢.

(٢) أُنظر: وسائل الشيعة ج١ ص١٧٢، ومستدرك الوسائل ج٤ ص٢٤٢، وبحار الأنوار ج١٦ ص١٩٢، وج٨٩ ص١٩٨، والأمالي للصدوق ص٢٣٣، والخصال ج١ ص١٩٩، وروضة الواعظين ج٢ ص٤٧٥، وعوالي اللآلي ج١ ص١٨٨.

(٣) هود: من الآية ١١٢.

فدَاكَ؟، قَالَ: إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ وَافَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْعَرْشَ، وَوَافَى الأَئِمَّةُ عليهم السلام، وَوَافَيْتُ مَعَهُمْ، فَمَا أَرْجِعُ إِلاَّ بِعِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، وَ لَوْلا ذَلِكَ لَنَفِدَ مَا عِنْدِي)[1] والشاهد الآخر على هذا التعميم قول الإمام الصادق عليه السلام: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نَحْنُ فِي الأَمْرِ وَالْفَهْمِ وَالْحَلالِ وَالْحَرَامِ نَجْرِي مَجْرى وَاحِداً، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ عليه السلام فَلَهُمَا فَضْلُهُمَا)[2].

إن من علامة إختيار القائد للأمة إستشعاره هذه المنن الإضافية، وإحساسه الوجداني بالفيوضات الإلهية، ليس على صعيد العلم والمعرفة بالله سبحانه، بل في سائر الملكات النفسية الشريفة: كالورع، والتقوى، والشجاعة، والصبر، والحلم، وكظم الغيظ، والكرم، والقناعة، والغنى عما في أيدي الناس، وقطع الأمل عما سوى الله تبارك وتعالى، وهي أمور تُحَسُّ بالوجدان، ويعتبر تحققها إذنا من قبل الله سبحانه، وإختباراً منه تبارك وتعالى لهذا المنصب الشريف، وعندئذ يرعاه الله بعنايته، ويسدد خطاه، ويجري الخير عليه، وإذا تهالك على هذا المنصب وتنافس عليه فسيتخلى الله سبحانه عنه، ويوكله إلى نفسه تطبيقاً للحديث (من اختاره الله سبحانه لأمر أعانه الله عليه، ومن اختار لنفسه وكَّله الله إليها).

---

(١) الكافي ج١ ص٢٥٤، وبحار الأنوار ج٢٢ ص٥٥٢، وج٢٦ ص٩٠، وبصائر الدرجات ص١٣١.

(٢) الكافي ج١ ص٢٧٥، وبحار الأنوار ١٦ ص٣٦٠، وج٢٥ ص٣٥٧، وج٣٩ ص٩٢، والاختصاص ص٢٦٧، وبصائر الدرجات ص٤٨٠.

ولأن هذا الأمر وجداني غير قابل للإستدلال؛ أذكر المزيد من الشواهد على كون هذه الحالة الوجدانية التي يسكبها الله تعالى في قلب من يختاره شرطاً للإذن في التصدي للمواقع الشريفة، ومنها ما ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، أنك تقف على الباب، وتستأذن، فإذا خشع قلبك، ودمعت عيناك، فهي علامة الإذن بالدخول.

وينقل عن بعض أهل المعرفة أنه قدم للزيارة فقرأ الإستئذان ورجع ولم يدخل، وكررها ثانياً، ودخل في الثالثة، فقيل له في تفسير ذلك، قال: لأنني لم أحصل على الإذن في الدخول إلا في الثالثة، بهذه العلامات الوجدانية.

وصحيح أنه لا يمكن إقامة الدليل على هذه الأفكار، وإن ذكرتُ أكثر من شاهد عليها، لكن الأمور ليست دائماً تثبت بالبرهان، فان بعضها يثبت بالوجدان، ويُعلم بالعلم الحضوري لا الحصولي، ويكون من الصعب إقامة البرهان عليها، وهي عند أهلها واضحة جداً، لكنها غير واضحة طبعاً عند من يفهم المرجعية وقيادة الأمة على أنها مرتبة علمية فقهية صرفة، يتأهل لها من يجيد النقض والإبرام وحبك الدليل، وكأننا في أروقة أكاديمية علمية بحتة، ولسنا في ممارسة ميدانية واسعة تتجاوز حدود الدولة التي يعيش فيها المرجع، ولم يعلم أن هذه الدرجة العلمية أحد شروط قيادة الأمة وليس الوحيد، وأهم منه هذه الملكات النفسية والقلبية، أما من نال هذه الدرجة العلمية فهو: باحث، وعالم، ومدرِّس،

ومرجع فتوى على صعيد الفقه الفردي، لكنه ليس قائداً يتولى أمور الأمة.

الصفة الثامنة: الحياة في ظل القرآن، فما من قائد ومصلح يسعى لإنجاح مسيرته إلا ويجب عليه أن يعيش مع القرآن بكل كيانه ويتزود منه، فإنه (**تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ**)[١]، و(**ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ**)[٢]، وقد أثبت إعجازه في إحداث تلك النقلة الكبيرة، وقد تحدَّثنا عن الدروس المستفادة من الحركة الإصلاحية التي قادها رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن الكريم في كتاب (شكوى القرآن)، وتحدَّثنا هناك أيضاً عن دور القرآن في توجيه القائد ورعايته، والمهم هنا أن نتعرف على اهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن، ومرافقته له، وما هي الآثار المترتبة على حياة القائد في كنف القرآن، قال الإمام السجاد عليه السلام: (لَوْ مَاتَ مَنْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَمَا اسْتَوْحَشْتُ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ مَعِي)[٣].

لقد أُمر رسول الله صلى الله عليه وآله بتلاوة القرآن وقيام الليل إستعداداً لتحمل هذا القول الثقيل، فقال تعالى: (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً،**

(١) النحل: من الآية ٨٩.

(٢) الأنعام: من الآية ٣٨.

(٣) الكافي ج٢ ص٦٠٢، وسائل الشيعة ج٥ ص٣٣١، ومستدرك الوسائل ج٣ ص٤٦٣، وبحار الأنوار ج٤٦ ص١٠٧، وج٨٣ ص٦٦، وج٨٩ ص٢٣٩، وتفسير العياشي ج١ ص٢٣.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً، إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً[1]، ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وآله بتلاوته، بل كان يطلب من عبد الله بن مسعود أن يقرأ القرآن عليه، فيعتذر ابن مسعود إليه صلى الله عليه وآله، بانه نزل عليك يا رسول الله ونحن اخذناه منك، فيقول صلى الله عليه وآله: أحب أن أسمعه منك؛ يريد أن يمتّع سمعه وبصره به، فيقرأ إبن مسعود، وعينا رسول الله صلى الله عليه وآله تفيض من الدمع، وهكذا كان يتفاعل مع القرآن، قرأ سورة الرحمن يوماً على المسلمين وهم منصتون، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الجن كانوا أحسن جواباً منكم لما قرأتُ عليهم (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قالوا: لا ولا بشيء من آلائك ربنا نُكذّب)[2].

كان صلى الله عليه وآله إذا قرأ القرآن أثَّرَ في مستمعيه، وأشعرهم وكأنَّ، الآيات المباركة، تنزل على قلوبهم مباشرة، قرأ سورة الزمر على شاب نقي القلب طاهر السريرة، فلما وصل إلى قوله تعالى: (**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا، قالُوا بَلى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ، قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ، وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ، وَقالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ**

(١) المزمل: ١-٦.

(٢) بحار الأنوار ج١٨ ص٧٨، والمناقب ج١ ص٤٧.

الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ، وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ[١] شهق ذلك الشاب شهقة كانت فيها نفسه؛ وإذا قرأ صلى الله عليه وآله قوله تعالى في نهاية سورة القيامة: (**أَلَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى**)[٢] قال صلى الله عليه وآله: سبحانك اللهم وبلى[٣].

قال صلى الله عليه وآله: (تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتي يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَاحِبَهُ فِي صُورَةِ شَابٍّ جَمِيلٍ شَاحِبِ اللَّوْنِ، فَيَقُولُ لَهُ الْقُرْآنُ: أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَأَظْمَأْتُ هَوَاجِرَكَ، وَأَجْفَفْتُ رِيقَكَ، وَأَسَلْتُ دَمْعَتَكَ، أَوُلُ مَعَكَ حَيْثُمَا أُلْتَ، وَكُلُّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَأَنَا الْيَوْمَ لَكَ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَةِ كُلِّ تَاجِرٍ، وَسَيَأْتِيكَ كَرَامَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَبْشِرْ، فَيُؤْتَى بِتَاجٍ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيُعْطَى الأَمَانَ بِيَمِينِهِ، وَ الْخُلْدَ فِي الْجِنَانِ بِيَسَارِهِ، وَيُكْسَى حُلَّتَيْنِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ اقْرَأْ وَارْقَهْ، فَكُلَّمَا قَرَأَ آيَةً صَعِدَ دَرَجَةً، وَيُكْسَى أَبَوَاهُ حُلَّتَيْنِ إِنْ كَانَا مُؤْمِنَيْنِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمَا: هَذَا لِمَا عَلَّمْتُمَاهُ الْقُرْآنَ)[٤].

إن الحياة في كنف القرآن كفيلة باطلاع القائد وتزويده بما لا غنى عنه !

---

(١) الزمر: ٧١-٧٥.

(٢) القيامة: ٤٠.

(٣) بحار الأنوار ج٨٢ ص٦١، ج٨٩ ص٢١٧، وص٢١٩، ووسائل الشيعة ج٦ ص٧٣، وص٧٤.

(٤) الكافي ج١ ص٦٠٣، ووسائل الشيعة ج٦ ص١٦٥، وص١٧٩ .

سيرى عظمة الله سبحانه تتجلى في آياته، وقوانينه، وسننه، وقدرته على كل شيء، فالأرض جميعاً في قبضته، والسماوات مطويات بيمينه، والعزة لله جميعاً، والقوة والملك لله، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، ويحول بين المرء وقلبه، ولا يملك شيء لشيئ نفعاً ولا ضراً إلا بإذنه، فعندئذ يتصاغر أمامه ما دونه مهما عظم ظاهراً، أو حاول أولياؤه تعظيمه والنفخ في صورته، فاذا قدرة الله تلقف ما يأفكون، فلا إرم ذات العماد، ولا فرعون ذو الأوتاد، ولا صاحب الكنوز التي تنوء مفاتحها بالعصبة أولي القوة، فاذا كانت قوته متصلة بهذا السبب فلا يخشى شيئاً إلا الله سبحانه.

وسيرى وعد الله بالنصر، ولكن بعد أن مَسَّهم البأساء والضَرَّاء وزُلزلوا ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾[1]، وإن لا بد من الفتنة والإبتلاء ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الم ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[2]، لكن الذي يهوِّن الخطب أنه كله بعين الله سبحانه، ذلك بأنه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَئُونَ

(١) البقرة : ٢١٤.

(٢) العنكبوت : ١-٣.

مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلا إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)[1].

وسيرى من علو الإيمان الذي يعمر قلبه، والمعارف والمعاني التي تملأه إلى هذه البشرية التائهة، التي تلهث وراء السراب، تعيش لأغراض زائفة، وتمنّي نفسها بأماني باطلة، يزينها لهم أولياء الشيطان، يتنافسون ويتقاتلون على شيء لا يبقى لهم، يصنعون لأنفسهم آلهة يصطلحون على عبادتها، ويقيمون لها الطقوس، ويذبحون لها القرابين، ويهدرون على أقدامها المليارات، كما في الحروب التي يشعلها الطواغيت، لإشباع شهواتهم ونزواتهم، ويسوقون لها البشر رغبة، أو، رهبة.

وسيرى أنه ليس وحده، ولا أن ما يعانيه بدعاً من الحوادث، ولا أن تجربته مقطوعة وفريدة، ولا أنه وحده في هذا الطريق حتى يستوحش وإن قَلَّ سالكوه، بل إنه قد سبقه على هذا الخط اللاحب الشريف أنبياء عظام وأولياء كرام، عانوا أكثر مما عانى، وصبروا على أشد مما صبر عليه السلام، وواجهوا من مجتمعاتهم أعظم مما يواجه، والصورة نفس الصورة: (أمة مهتدية، وكثير منهم فاسقون).

وسيرى تكريم الله لخلقه حين خاطبهم بنفسه، ووجَّه إليهم كلامه مباشرة، وأرسل لهم رسالة، فكيف يعتني برسالة الحبيب؛ لذا ورد عن المعصومين عليهم السلام: (الْقُرْآنُ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ، فَقَدْ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ

(١) التوبة : ١٢٠.

يَنْظُرَ فِي عَهْدِه وَأَنْ يَقْرَأَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسِينَ آيَةً)[١].

وسيرى أن كل شيء في هذا الكون بقدر (**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ**)[٢] وعلى سُنَّة وقانون (**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً**)[٣] فلا مجال للعبث ولا اللهو، ولا للصدفة العمياء التي طالما تشدَّق بها الملحدون (**وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**)[٤] فمن وراء خلق الإنسان هدف، فلا بد أن يكرِّس حياته لتحقيق هذا الهدف، ويعيش بكل ما أُوتي لتحقيقه.

وسيجد في كنف القران الطمأنينة (**أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**)[٥] وهدوء البال، وشفاء الصدر، والهدى والبركة، وكل خير وصف القرآن نفسه به.

وسيجد في القرآن الوعد الإلهي بالإمداد والقوة الغيبية، وأن الله معه، وكفى به ناصراً ما دام هو مع الله (**إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ**

(١) الكافي ج٢ ص٦٠٩، وسائل الشيعة ج١ ص١٩٨، وعدة الداعي ص٢٩١، وعوالي اللآلي ج٤ ص٢٢.

(٢) القمر: ٤٩.

(٣) فاطر: من الآية ٤٣.

(٤) الذاريات: ٥٦.

(٥) الرعد: من الآية ٢٨.

وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ، نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ، وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ[1] وآيات كثيرة عن نزول السكينة في قلوب المؤمنين، والإمداد بالملائكة، ربما نفرد لها فصلاً خاصاً بعنوان (القرآن والقائد).

فإذا وجد القائد ذلك، كما وجدها رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه ستشتدُّ عزيمته، ويقوى قلبه، وتزداد همته، وتظهر حكمته، وسيكون مصدراً للعطاء والخير لنفسه والأمة، كما ترشَّحَ كل ثمر طيب عن القادة الذين تربوا في مدرسة القرآن وعاشوا في كنفه.

الصفة التاسعة: التحلّي بالأخلاق الفاضلة، وتهذيب النفس، وتطهير القلب من الرذائل، وهي من أعظم صفاته صلى الله عليه وآله، وقد عظَّم الله سبحانه هذه الصفة فيه صلى الله عليه وآله، وخلَّدها في القرآن الكريم (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)[2]، وجعلها صلى الله عليه وآله سبباً لبعثته الشريفة (**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ**)[3] ونظمها الشاعر :

ومكارم الأخلاق كانت تشتكي نقصاً فتمَّ بأحمد النقصانُ

و(حسن الخلق) له معنيان (ضيق) و(وواسع)، فالأول: يُراد به حسن

(١) فصلت: ٣٠-٣٣.

(٢) القلم: ٤.

(٣) مستدرك الوسائل ج١١ ص١٨٧، وبحار الأنوار ج٦٨ ص٣٨٢، ومكارم الأخلاق ص٨

التعامل مع الآخرين، والثاني: يُراد به مطلق الملكات الفاضلة، وهي على قسمين:

الأول: الجوانحية، ونعني بها صفاته الشخصية الذاتية، وملكاته النفسية والعقلية والقلبية، كالإخلاص لله تبارك وتعالى، والعلم، ونكران الذات، والتخلّي عن الحسد والعجب والكبر وعدم الحقد على الآخرين، والرحمة والرقة والكرم والشجاعة والحلم والحزم والصبر، وغيرها.

الثاني: الجوارحية، أي المرتبطة بسلوكه الخارجي، وهي على صنفين:

أ- الفردية: وهي أعماله وسلوكياته الخاصة به، كالإلتزام بالنوافل الراتبة، وخصوصاً صلاة الليل، والكون على طهارة دائماً، وإطالة السجود، والبكاء خوفاً من الله سبحانه، او شعوراً بالتقصير بين يديه، وتألماً على ما حصل من مصائب على أولياء الله تبارك وتعالى، وأهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله.

ب- الاجتماعية: وأعني بها تعامله صلى الله عليه وآله مع غيره، وسلوكياته العامة، كالإحسان إلى الآخرين، والصبر على أذاهم، وقضاء حوائجهم، والتواضع لهم، ومداراتهم، وإدخال السرور عليهم، ويمكن أن تدرس هذه الآداب والأخلاق ضمن عدة دوائر، أولها دائرة بيته وأهله ثم أمته، مجتمعه وخصومه، وتصرفاته كقائد دولة ضمن دولته مع الدول الأخرى، وهكذا.

وكما ترى فإن الدخول في تفاصيل هذا الفهرس السريع يتطلب مجلدات، يمكن أن يتصدَّى لها مفكرونا وكتابنا وعلماؤنا، مما لا يسع

التطرق اليه في بحثنا هذا، على أن الصنف الثاني هذا يدخل في المحور الثاني من بحثنا، أي المحور الاجتماعي، ويتناوله علماء الأخلاق في آداب العِشْرة، أما الصنف الأول والقسم الأول فيدخلان ضمن المحور الفردي، أي ما يتعلق ببناء شخصية القائد ومؤهلاته، وأخلاق القسم الأول هي الأهم، لأنها الأصل، أما القسم الثاني بصنفيه فهي من آثار ورشحات وملازمات القسم الأول وهي طريقة القرآن في تربيته البشر وهدايتهم وتكميل نفوسهم، فإنه إذا حصل في القلب والنفس والعقل تلك الملكات حصلت تصرفات القسم الثاني تلقائياً، وعلى السجية، لذا كان القسم الأول هو الأهم والأسرع في التكامل، لأنها تربية مباشرة للقلب، حتى يتحقق القلب السليم، حيث (**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ، إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَّ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**)[1]، مضافاً إلى خصيصة أخرى تميز القسم الأول وهي: أن مفردات هذه الأخلاق خالية من الشوائب، ومن محبطات الأعمال، أما الثانية فيمكن أن يشوبها الرياء، ومجاملة الآخرين، وطلب السمعة والجاه والأنا، وحب المدح والثناء، فتتجرد عن القيمة والمصداقية، ولا يترتب عليها الأثر المطلوب، لأنها لا تكون منتجة إلا إذا ترشَّحت عن الأولى، وكانت ناشئة عن إخلاص لله سبحانه، فالجهاد مثلاً الذي هو أشَقُّ أعمال الجوارح وأثقلها إذا كان لغير الله سبحانه كطمع في مال، أو جاه، أو طلباً للمدح والثناء، فيكون وبالاً على صاحبه، ويقال له يوم القيامة: خذ أجرك ممن عملت له .

(١) الشعراء: ٨٨-٨٩.

لذا تجد العارفين والأخلاقيين يهتمون بتربية قلوبهم، وإذا اهتموا بأعمال الجوارح فلأنها تؤدي الى تصفية القلب، لذا يسمون (أرباب القلوب).

إن الحديث عن هذه النقطة يحتاج الى مجلدات عديدة، لأنه يستوعب كتب الأخلاق كلها.

وأولها الآيات الشريفة التي وردت فيها الإشارة إلى الخصال الحميدة، وما من قوم مدحهم الله تعالى كالمؤمنين، والمفلحين، والمتقين، والتوابين، والمتطهرين، وعباد الله، وعباد الرحمن، إلا ورسول الله صلى الله عليه وآله أكملهم وأشرفهم، فحينما يقول الله تبارك وتعالى (عباد الرحمن ... قواماً)[1].

وحينما يقول الله تبارك وتعالى (قد افلح المؤمنون .... خالدون)[2] فإن رسول الله صلى الله عليه وآله يجسد الصورة المثلى والكاملة لتلك الصفة الحميدة .

ويليها الكلمات التي وردت عن المعصومين في ذلك، فعندما يصف أمير المؤمنين عليه السلام المتقين، فيفترض أن القائد الذي يلي أمر الأمة هو أشرفهم وأكملهم، وفيه ما فيهم، وزيادة، لأننا نقول إن الإمام أكمل الخلق، وجامع لصفاتهم الحميدة كلها، وولي أمر المسلمين، وقائدهم، ومرشدهم، وهاديهم، هو إمام بالحمل الشايع، أي عملياً، وعلى أرض الواقع، وإن لم يكن منصوصاً عليه بالإسم، فإنه يؤدي وظيفة الإمام، وإن لم يكن إماماً بالحمل الأولي، فيجب أن يكون متصفاً بأكمل صفات

(١) الفرقان : ٦٣-٦٧.

(٢) المؤمنون : ١-١١.

المسلمين وأعلاها مرتبة.

وتحفل جوامع الحديث بامثال هذه الكنوز كـ(تحف العقول) و(الخصال) و(المحاسن) و(وسائل الشيعة) وغيرها.

وثالثها ما ذكره علماء الأخلاق في كتبهم، وهي كثيرة، ومتداولة وكتب الآداب المعنوية .

ونحن نقتصر هنا على إختيار بعض كلمات قادة الإسلام في هذا الصدد، محيلين الباقي إلى مواضعها، فلنستمع إلى القائد الأكمل رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي القائد البديل، الذي يعدُّه لخلافته، وهو أمير المؤمنين ليربيه ويعدَّه: (يَا عَلِيُّ، أُوصِيكَ فِي نَفْسكَ بِخِصَالٍ، فَاحْفَظْهَا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَعِنْهُ، أَمَّا الأُولَى فَالصِّدْقُ، وَلا تَخْرُجَنَّ مِنْ فِيكَ كَذِبَةٌ أَبَداً، وَالثَّانِيَةُ الْوَرَعُ، وَلا تَجْتَرِئْ عَلَى خِيَانَةٍ أَبَداً، وَالثَّالِثَةُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَالرَّابِعَةُ كَثْرَةُ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، يُبْنَى لَكَ بِكُلِّ دَمْعَةٍ أَلْفُ بَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ، وَالْخَامِسَةُ بَذْلُكَ مَالَكَ وَدَمَكَ دُونَ دِينِكَ، وَالسَّادِسَةُ الأَخْذُ بِسُنَّتِي فِي صَلاتِي وَصَوْمِي وَصَدَقَتِي، أَمَّا الصَّلاةُ فَالْخَمْسُونَ رَكْعَةً، وَأَمَّا الصِّيَامُ فَثَلاثَةُ أَيَّامٍ فِي الشَّهْرِ، الْخَمِيسُ فِي أَوَّلِهِ، وَالأَرْبِعَاءُ فِي وَسَطِهِ، وَالْخَمِيسُ فِي آخِرِهِ، وَأَمَّا الصَّدَقَةُ فَجُهْدَكَ، حَتَّى تَقُولَ قَدْ أَسْرَفْتُ، وَلَمْ تُسْرِفْ، وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ اللَّيْلِ، وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ الزَّوَالِ، وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ الزَّوَالِ، وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ الزَّوَالِ، وَعَلَيْكَ بِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَعَلَيْكَ بِرَفْعِ يَدَيْكَ فِي صَلاتِكَ وَتَقْلِيبِهِمَا، وَعَلَيْكَ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ، وَعَلَيْكَ بِمَحَاسِنِ الأَخْلاقِ فَارْكَبْهَا، وَمَسَاوِي

الأَخْلاقِ فَاجْتَنِبْهَا، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَلا تَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَكَ)[١].

ومن هذه المحاسن ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في وصف أخ له في الله، قال: (كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّه، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِه، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِه، فَلا يَشْتَهِي مَا لا يَجِدُ، وَلا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ، وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِه صَامِتاً، فَإِنْ قَالَ بَذَّ[٢] الْقَائِلِينَ، وَنَقَعَ[٣] غَلِيلَ السَّائِلِينَ، وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً، فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ، وَصِلُّ وَادٍ، لا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً، وَكَانَ لا يَلُومُ أَحَداً عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِه حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ، وَكَانَ لا يَشْكُو وَجَعاً إِلاَّ عِنْدَ بُرْئِه، وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ، وَلا يَقُولُ مَا لا يَفْعَلُ، وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ، وَكَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَيُخَالِفُهُ، فَعَلَيْكُمْ بِهَذِه الْخَلائِقِ فَالْزَمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ)[٤].

(١) الكافي ج٨ ص٧٩، ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص١٨٨، وتهذيب الأحكام ج٩ ص١٧٥، ووسائل الشيعة ج١٥ ص١٨١، وروضة الواعظين ج٢ ص٤٨٣، ومجموعة ورام ج٢ ص٥٠.

(٢) بذَّ القوم يَبُذَّهم بذّاً: سبقهم وغلبهم وكل غالب باذٌّ. لسان العرب، مادة : بذذ.

(٣) نَقَعَ: شَرِبَ حتى نَقَعَ أي شَفى غليله ورَوِيَ. لسان العرب، مادة : نقع.

(٤) نهج البلاغة ص٥٢٦، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي حديد ج١٩ ص١٨٣، وغرر الحكم ص١٢١، وبحار الأنوار ج٦٤ ص٣١٤، وأعلام الدين ص١٤٧.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (إنَّ لأَهْلِ الدِّينِ عَلامَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا: صِدْقَ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءَ الأَمَانَةِ، وَوَفَاءَ الْعَهْدِ، وَصِلَةَ الأَرْحَامِ، وَرَحْمَةَ الضُّعَفَاءِ، وَقِلَّةَ الْمُوَاقَعَةِ للنِّسَاءِ، أَوْ، قَالَ: وَقِلَّةَ الْمُوَاتَاةِ للنِّسَاءِ، وَبَذْلَ الْمَعْرُوفِ، وَحُسْنَ الْجِوَارِ، وَسَعَةَ الْخُلُقِ، وَاتِّبَاعَ الْعِلْمِ، وَمَا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ، إِلَى أَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ نَفْسُهُ مِنْهُ فِي شُغُلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ افْتَرَشَ وَجْهَهُ، وَسَجَدَ للَّهِ بِمَكَارِمِ بَدَنِهِ، يُنَاجِي الَّذِي خَلَقَهُ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِهِ، أَلا فَهَكَذَا فَكُونُوا)[1].

الصفة العاشرة: قوة العاطفة، وكان صلى الله عليه وآله ذا أحاسيس مرهفة، وعاطفة جياشة يهتز للمواقف، كان إذا نظر إلى إبنته الزهراء عليها السلام بكى، وإذا نظر إلى سبطيه الحسنين بكى، لما يجري عليهم من مصائب، وفي خطبته التي خطبها على المسلمين في آخر جمعة من شعبان، مستقبلاً شهر رمضان، لما قام علي عليه السلام فسأله عن أفضل الأعمال في شهر رمضان، بكى صلى الله عليه وآله، فقيل له: مم بكائك، يارسول الله ؟، قال: مما يستحل من حرمتك ياعلي، في هذا الشهر العظيم[2].

(١) وسائل الشيعة ج١٥ ص١٩٠، والكافي ج٢ ص٢٣٩، وبحار الأنوار ج٦٤ ص٢٨٩، وج٦٦ ص٣٦٤، والأمالي للصدوق ص٢٢١، وصفات الشيعة ص٤٦.

(٢) أُنظر: بحار الأنوار ج٤٢ ص١٩٠، وج٩٣ ص٣٥٦، والإقبال ص٢، والأمالي للصدق ص٩٣، وروضة الواعظين ج٢ ص٣٤٥، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج١ ص٢٩٧، وفضائل الأشهر ص٧٧.

وعندما جاد المسلمون بسبعين شهيداً في معركة أحد، وكثرت الناعية في دور الأنصار قالﷺ: وحمزة لا بواكي عليه، فأمر الأنصار نسائهم أن يذهبن لندبة حمزة، والبكاء عليه، قبل أن يندبن موتاهن[١]، وجرت سيرة أهل المدينة على ذلك.

إذا مَرَّ على آل ياسر وهم يعذبون في أوائل البعثة، تأثر لهم، وقال: صبراً آل ياسر، فان موعدكم الجنة[٢].

وكانﷺ يحثُّ على ما يرقق القلب، ويثير العاطفة، كتقبيل الأبناء، ومرة قال له قيس بن عاصم المنقري: إن لي عشرة أبناء ما قبلت واحداً منهم يوماً، فقال رسول اللهﷺ: ما ذنبي اذا كان الله قد نزع الرحمة من قلبك.

ومما يؤجج العاطفة المسح على رأس اليتيم، وهو من الأسباب المهمة لترقيق القلب، تلك العاطفة التي عَبَّر عنها أمير المؤمنينعليه السلام:

ما إن تأوهت من شيء رزئت به كما تأوهت للأطفال في الصغر
قد مات والدهم من كان يكفلهم في النائبات وفي الأسفار والحضر[٣]

---

(١) أُنظر: مستدرك الوسائل ج٢ ص٣٨٤، ومسكن الفؤاد ص١٠٧.

(٢) أُنظر: شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٣ ص٢٥٥، وج ٢٠ ص٣٦، وإعلام الورى ص٤٨، وبحار الأنوار ج١٨ ص ٢١٠.

(٣) أُنظر: بحار الأنوار ج٣٣ ص٤٧، وج٤١ ص٢٢١، وبشارة المصطفى ص٧١، والخرائج والجرائح ج٢ ص٥٤٤، والمناقب ص٣٣٥.

وكان أول ما يبدأ بالعطاء عوائل الشهداء في صفين، وكان من شروط الإمام الحسن عليه السلام على معاوية في وثيقة الصلح أن يخصص مرتَّبات ثابتة لذوي الشهداء في صفين.

وقال صلى الله عليه وآله في وصيته لعلي: (ياعلي، أربع خصال من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وبعد الأمل، وحب الدنيا)[١] كان صلى الله عليه وآله إذا وعظ الناس بكى، فيتأثر به الحاضرون، ففي ذات يوم كان صلى الله عليه وآله يحدث أصحابه فقال: (رجلان من أمتي جيئا بين يدي ربي، فقال أحدهما: يا رب خذ لي بمظلمتي من آخر؛ فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته، فقال: يا رب، لم يبق من حسناتي شيء، فقال: يا رب، فليحمل من أوزاري، ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: إن ذلك اليوم ليوم تحتاج الناس فيه إلى من يحمل عنهم أوزارهم...)[٢].

وحينما وقعت معركة مؤتة، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتابعها مباشرة من على منبر مسجده الشريف، والمسلمون ينظرون إلى أسارير وجهه، وهو يشرح لهم الواقعة، حتى بكى، فقال صلى الله عليه وآله: لقد استشهد جعفر، وأخذ الراية زيد بن حارثة، ثم بكى، قال صلى الله عليه وآله: لقد استشهد زيد، وأخذ الراية عبد الله

(١) تحف العقول ص١٠، ووسائل الشيعة ج١٦ ص٤٥، وبحار الأنوار ج٦٧ ص٥٢، وج٧٠ ص١٦٤، وج٧٤ ص٥١، وص٦٦، وج٩٠ ص٣٣٠، والخصال ج١ ص٢٤٣، ومكارم الأخلاق ص٤٣٦.

(٢) بحار الأنوار ج٧٤ ص١٨٢، وأعلام الدين ص٣٣٧.

بن رواحة، ثم بكى، وقال: لقد استشهد عبد الله، ثم ذهب إلى دار جعفر، فمسح على رأس ولده عبد الله، وأمر ابنته فاطمة، فصنعت لأهل جعفر طعاماً، وجلس معهم يؤنسهم، ويطيب خاطرهم[١].

في معركة بدر لما أسر المسلمون سبعين رجلاً من قريش، لم ينم النبيﷺ تلك الليلة، لأنه عرف أنين عمه العباس بين الأسرى؛ وبكاؤهﷺ عند تلاوة القرآن معلوم ومشهور.

وكذلك عُرف الأئمة الطاهرون قادة الإسلام العظماء بالعاطفة الجياشة، والتأثر العميق، فمثلاً أمير المؤمنينعليه السلام يقف على منبر الكوفة يؤبِّن أصحابه الذين استشهدوا في صفين، فيقول: (أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟، أَيْنَ عَمَّارٌ ؟، وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ ؟، وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ؟، وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّة، وَأُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَة ؟ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِه عَلَى لِحْيَتِه الشَّرِيفَة الْكَرِيمَة فَأَطَالَ الْبُكَاءَ، ثُمَّ قَالَعليه السلام: أَوِّه عَلَى إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ)[٢].

وحينما دنت الوفاة من الإمام الحسنعليه السلام كان يبكي، فسئل عن

(١) أُنظر: بحار الأنوار ج٢١ ص٥٣.

(٢) نهج البلاغة ص٢٦٠ خطبة ١٨٢، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٠ ص٩٩، وبحار الأنوار ج٣٤ ص١٢٦.

سبب ذلك، قال: لهول المطلع، وفراق الأحبة[١].

وقد اهتم الأئمة بتأجيج العاطفة لدى الأمة، واستشعارها في حركتهم الرسالية، وإظهار مظلوميتهم، والدفاع عن حقهم، كبكاء فاطمة الزهراء عليها السلام على أبيها صلى الله عليه وآله، وكبكاء آل الحسين عليه السلام عليه بعد معركة الطف، وكرموا الشعراء الذين كان لهم الدور الكبير في إثارة العاطفة الواعية، كدعبل الخزاعي، والكميت الأسدي، وذكرنا تفاصيل الموضوع في كتاب (دور الأئمة في الحياة الإسلامية).

إن قوة العاطفة لا عيب فيها، بل هي خصلة حسنة، وإنما العيب فيما لو اتبعها صاحبها من دون تعقُّل ولا روية، أو، قل: إن الخطأ في أن تكون العاطفة وحدها هي المحرك للإنسان، أما إذا إنضمت إلى العقل فسيتكامل العمل، ومن هنا لا نرى خللاً في أن تكون العاطفة عند المرأة أقوى من الرجل، والتعقُّل عند الرجل أكثر من المرأة، لكي ينسجم مع أدوارهما ومسئوليتهما في الحياة، فإننا نحتاج إلى العاطفة كما نحتاج إلى العقل، وأحدهما يكمل الآخر، وقد تفعل العاطفة ما لا يفعله العقل.

فإنك ترى غنياً لو تحدثت معه أياما عن وجوب دفع الخمس من

(١) الكافي ج١ ص٤٦١، ومستدرك الوسائل ج٧ ص٢٦٠، وبحار الأنوار ج٦ ص١٥٩، وج٤٣ ص٣٣٢، وج٤٤ ص١٥٠، وج٧٩ ص١٧٥، والأمالي للصدوق ص٢٢٢، وروضة الواعظين ج٢ ص٤٥١، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج١ ص٣٠٣، ومكارم الأخلاق ص٣١٦.

أمواله، وأقمت الأدلة والبراهين القاطعة لم يتحرك إلى التنفيذ والتطبيق، لكن موقفاً عاطفياً لمريض يئن تحت وطأة الألم، أو، امرأة ضعيفة وأطفالها البائسين بلا مأوى في الشتاء القارس، أو، أيتام يتضورون جوعاً ولا معيل لهم، أقول: لكن موقفاً مثل هذا يهزه بعنف، ويدفعه إلى العطاء، أزيد مما طالبته به.

لقد عوقب يعقوب النبي عليه السلام بفقدان ولده يوسف عليه السلام، لأن عاطفته لم تتحرك حينما تعشى، وجارٌ له جائع، فلم يشمله برعايته بحسب ما ورد في بعض الروايات.

لقد اتضح مما تقدم أن لقوة العاطفة ورقة القلب عدة ثمرات:

١- أنها خطوة مهمة في طريق التكامل، لذا يركز المربّون وعلماء الأخلاق وتهذيب النفوس على تحصيل هذه الخصلة وتصيّد مواردها ويأمرون بالبكاء، أو، التباكي على الأقل (أما خوفاً من الله سبحانه وخشية منه، أو، لتذكر أهوال يوم القيامة، أو، فَرَقَاً مما أَلَمَّ به من المعاصي والذنوب، أو تألما على مصائب أهل البيت عليهم السلام.

٢- أنها تمثل دافعاً مهماً لأفعال الخير، كالكرم، والإحسان إلى الغير، والإيثار، والسعي في قضاء حوائج الناس، فان العاطفة إذا تهيجت، والنفس إذا تأثرت، تحرك صاحبها للقيام بهذه الخصال المحمودة أكثر من الدليل والبرهان.

وفي الحديث الشريف: (لو شق جوف المؤمن لوجد على قلبه

سطران من نور، لو وزنا لم يرجح أحدهما على الآخر مثقال حبة من خردل، أحدهما الرجاء والآخر الخوف)[١] وفي الحديث (خَفِ اللَّهَ خَوْفاً لَوْ جِئْتَهُ بِبِرِّ الثَّقَلَيْنِ خِفْتَ أَنْ يُعَذِّبَكَ اللَّهُ، وَارْجُ اللَّهَ رَجَاءً لَوْ جِئْتَهُ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ رَجَوْتَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ)[٢]، فالخوف والرجاء كلها محركات عاطفية.

٣- أنها محرك كبير للأمة نحو الهداية والصلاح، والثورة على الظلم، وتغيير الواقع الفاسد، خصوصاً في مجتمعنا، الذي يكمن فيه الولاء للدين وللنبي وآله الأطهارصلى الله عليه وآله، مهما أبعدته التيارات المنحرفة عن الله سبحانه، فتهييج عاطفته، وتحريك ولائه، عنصر قوة في تعبئة الجماهير وتوجيهها.

وقد وظفها القران الكريم كأسلوب من أساليب الجذب والهداية، حينما وعد المؤمنين بحور عين، وأنهار من خمر لذة للشاربين، ولحم طير مما يشتهون، ونحوه.

الصفة الحادية عشرة: الأبوية: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله مخاطباً أمير

(١) عدة الداعي ص٣٤، وإرشاد القلوب ج١ ص١١.

(٢) وسائل الشيعة ج١٥ ص٢١٧، الكافي ج٢ ص٦٧، وبحار الأنوار ج١٣ ص٤١٣، وج٦٧ ص٣٥٢، وص٣٨٤، وج٧٥ ص٢٥٩، إرشاد القلوب ج١ ص١٠٥، والأمالي للصدوق ص٦٦٨، وتحف العقول ص٣٧٥، وجامع الأخبار ص٩٨، والقصص للجزائري ص٣٢٥، والقصص للراوندي ص١٩١.

المؤمنين عليه السلام: (يا علي، أنا وأنت أبوا هذه الأمة)[1]، والأبوية من الصفات المهمة في القائد والمصلح والمسؤول، لأنها تعني الكثير من الخصال الحميدة التي تُنجح العمل، ومنها حب رعاياه كما يحب أبنائه، والإخلاص لهم، وبذل الوسع من أجل إسعادهم، وصناعة مستقبل زاهر لهم، ومن مظاهر هذه الصفة التضحية من أجلهم، وإيثارهم على نفسه، فيجوع ليشبعوا، ويتحمل المتاعب والآلام، ويقتحم الصعاب والمخاطر، وسهر الليالي، من أجل أن يرتاحوا ويتنعموا.

وهذا الوصف ركَّزت عليه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، حينما بَيَّنت لأصحاب رسول الله حالهم لو وفوا لرسول الله، وأخذوا بوصيته في اتخاذ امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام اماماً وهادياً وخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله (ولأصدرهم بِطاناً، ونصح لهم سراً وإعلاناً، و

(١) بحار الأنوار ج١٦ ص٩٥، وج١٦ ص٣٦٤، وج٢٣ ص١٢٨، وص٢٥٩، وج٢٦ ص٢٦٣، وص٣٤٢، وج٣٦ ص٥، وص٨، وص١١، وص١٤، وص٢٥٥، وج٣٨ ص٩١، وص١٥١، وج٣٩ ص٩٣، وج٤٠ ص٤٤، وص٥٣، وج٦٦ ص٣٤٣، والأمالي للصدوق ص١٤، وص٣٣١، وص٦٥٧، وبشارة المصطفى ص٥٥، وص١٦٠، وتأويل الآيات الظاهرة ص١٣٥، وتفسير الإمام العسكري (عليه السلام) ص٣٣٠، وروضة الواعظين ج٢ ص٣٢٢، وسعد السعود ص٢٧٥، وعلل الشرائع ج١ ص١٢٧، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج٢ ص٨٥، وكمال الدين وتمام النعمة ج١ ص٢٦١، وكنز الفوائد ج٢ ص١٣، ومئة منقبة ص٤٦، ومتشابه القرآن ج١ ص٢٢٩، ومعاني الأخبار ص٥٢، وص١١٨، والمناقب ج٣ ص١٠٥.

لم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحضى منها بنائل، غير رَيِّ الناهل، وشبعة الكافل)[١].

لاحظ المثل الذي اختارته (سلام الله عليها) وهو: شبعة الكافل، فإن كافل الأسرة يكتفي بالقليل، وربما لا يأخذ لنفسه شيئاً، والمهم عنده أن يرى أولاده ورعاياه راضين مكتفين سعداء.

الصفة الثانية عشرة: عدم خلق المبررات للتقاعس عن المسئولية، كالإعتذار بقلّة الأنصار، أو، قلة الإمكانيات، أو، عدم وجوده على رأس الهرم، وقمة القيادة الدينية، أو السياسية.

فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أعلن دعوته لقريش (قولوا لا اله الا الله تفلحوا)[٢]، وهو وحيد ليس معه إلا علي وخديجة عليهما السلام، ومضى في عمله الدؤوب.

أدَّبه بذلك ربه، فقال تبارك وتعالى: (**فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِّ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُّ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُّ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً**)[٣] فأمر صلى الله عليه وآله أن يقاتل، وأن يمضي في مشروعه ولو وحده، ولا تكلَّف إلا فعل نفسك، ولا يهمك، ولا يقعدك عن الجهاد تقاعس أصحابك، فاعمل وحدك.

---

(١) الإحتجاج ج١ ص١٠٨.

(٢) أُنظر: بحار الأنوار ج١٨ ص٢٠٢، والمناقب ج١ ص٥٦.

(٣) النساء: ٨٤.

وهكذا قَدَّم الأئمة المعصومون كل ذلك النشاط العظيم، والدور الواسع في حياة الأمة، مما ذكرناه في كتاب (دور الأئمة في الحياة الإسلامية)، مع التضييق الشديد، وقلة الأنصار، وضعف الإمكانات.

نعم، إن المبررات المذكورة تقلّل من فرص العمل، وتحدُّ النشاط، إلا أنها لا يمكن أن تبرر التقاعس المطلق، والخلود إلى الدعة والسكون.

الصفة الثالث عشرة: الحذق والفراسة، ودقة النظر في الأمور، وهوﷺ القائل: (اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[1] فكيف به وهو سيد المؤمنين، وأكملهم.

وقد بَيَّنَ الله تبارك وتعالى أحد مظاهر هذه الصفة فيهﷺ، بقول عز من قائل: (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ)[2]، فكانﷺ من الفطنة والفراسة بحيث يعرف باطن المنافقين من خلال كلماتهم، وقد قال أمير المؤمنينعليه السلام:

(١) الكافي ج١ ص٢١٨، ووسائل الشيعة ج١٢ ص٣٨، وص١٢٤، ومستدرك الوسائل ج٨ ص٣٤٠، وبحار الأنوار ج٢٤ ص١٢٣، وص١٢٨، وص١٣١، وج٢٥ ص٢١، وص١٣٤، وج٣٨ ص٧٩، وج٦٤ ص٦١، وص٧٤، وص٧٥، وج٦٥ ص٣٥٥، والاختصاص ص١٤٣، وص٣٠٦، وإرشاد القلوب ج١ ص١٣٠، والأمالي للطوسي ص٢٩٤، وبصائر الدرجات ص٣٥٥، وتأويل الآيات الظاهرة ص٢٨٠، وتفسير العياشي ج٢ ص٢٤٧، وشواهد التنزيل ج١ ص٤٢٢، وعلل الشرائع ج١ ص١٧٣، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج٢ ص٢٠٠، والمسائل العكبرية ص٩٣، ومعاني الأخبار ص٣٥٠.

(٢) محمد: من الآية ٣٠.

(الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِه)[١].

إن هذه الصفة مهمة في شخصية المتصدي لمسئولية اجتماعية، أما إذا كان ساذجاً قصير النظر فسيكون مصيدة سهلة للمنافقين والأعداء والانتهازيين، ومن السهل اختراقه وتمرير المخططات عليه.

وكانت هذه السذاجة عند بعض من تولى قيادة الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، باباً جَرَّ الويلات على الإسلام والمسلمين، وما زلنا نعاني من آثارها، خُذْ، مثلاً، ما فعله كعب الأحبار اليهودي، الذي أظهر إسلامه، كيف كان ينفذ خططه الهدَّامة، ويخترق قيادة المسلمين بخبث ودهاء ومكر، مستغلاً سذاجة المتصدي لها، وعزل القيادة الحقيقية الواعية المسددة من قبل الله سبحانه، فدسَّ في تعاليم الإسلام أفكاراً وأعمالاً منكرة[٢]، وكان كلما أُكتشف دوره الخبيث يتخلص هذا اليهودي الماكر

(١) نهج البلاغة ص٤٩٧، وص٥٤٥، ومستدرك الوسائل ج٩ ص٢٢، وص٢٩، وج١٨ ص٢٦٠، وبحار الأنوار ج١ ص١٦٥، وج٤٠ ص١٦٣، وج٦٨ ص٢٧٦، وص٢٨٣، وص٢٨٥، وص٢٩١، وج١٠١ ص٣٦٩، والإرشاد ج١ ص٣٠٠، وأعلام الدين ص٨٤، والأمالي للصدوق ص٤٤٦، والأمالي للطوسي ص٤٩٤، وخصائص الأئمة ص١٠٦، والخصال ج٢ ص٤٢٠، وروضة الواعظين ج١ ص١٠٩، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٨ ص٣٥٣، وج١٩ ص٣٤٠، وعوالي اللآلي ج١ ص٢٩٤، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٥٣، وغرر الحكم ص٢٠٩، ومعدن الجواهر ص٦٧، والمناقب ج٢ ص٤٨.

(٢) راجع كتاب (الغدير) للأميني، المجلد السابع، وكتاب (النص والاجتهاد) للسيد شرف الدين.

من تلك المواقف المفاجئة: باننا وجدنا ذلك في كتبنا، ويجد في إعجاب الخليفة به ملاذاً يحميه، وتنطلي الحيلة على الساذج، وينتهي كل شيء، حتى هيأ الفرص لصنيعته آل أبي سفيان وآل أبي معيط، الذين لعنهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فولاّهم أجزاء مهمة من بلاد المسلمين، ثم رتَّب محاولة الاغتيال للخليفة الثاني، ليتسارع خَطُّ انحدار الأمة، وإبتعادها عن صراط الحق المستقيم.

إن هذه الصفة مهمة في قادة الإسلام، لأنهم ملتزمون بالمبادئ الإنسانية، والتعاليم الإلهية، التي ترفض أساليب المكر والخداع والخبث والتضليل، في حين أن عدوهم يستعمل هذه كلها، ويتقنها ولا يتورع عنها، ولا يستطيع المسلم أن يصبح كغيره، فلا بد أن يكون واعياً لمخططاتهم.

وقد اُتهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنه أقل دهاءاً من معاوية، وأنه عاجز عن مجاراته في الخطط، فقال عليه السلام: (وَاللَّه مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ، وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ اللَّه مَا اُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَلا اُسْتَغْمَزُ[1] بِالشَّدِيدَةِ)[2].

حاول المشركون أن ينتزعوا اعترافا من رسول الله صلى الله عليه وآله بآلهتهم،

(١) أي لا استضعف بالقوة الشديدة، والغمز الرجل الضعيف. لسان العرب، مادة غمز.

(٢) نهج البلاغة ص٣١٨ خطبة ٢٠٠، وبحار الأنوار ج٣٣ ص١٩٧، وج٤٠ ص١٩٣، وج٧٢ ص٢٩١، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٠ ص٢١١.

لكي لا يستطيع بعد ذلك أن يسخف عقائدهم، وينبذ أصنامهم، فجاؤوه بأنصاف الحلول، وقالوا له نعبد إلهك الواحد يوماً، وتعبدون آلهتنا يوماً آخر فنزل النص الإلهي القاطع والحازم (**بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ، وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ، وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ، وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**)[1].

وحينما اختار أهل الكوفة أبا موسى الأشعري ليكون مفاوضاً لعمرو بن العاص في حرب صفين، نهاهم أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه يعرف دهاء ومكر ابن العاص، وسذاجة الأشعري، وقال عليه السلام: ارموهم بعبد الله بن العباس؛ لكنهم أصرُّوا على الأشعري، فوقع في الفخ، وخدعه ابن العاص.

وحاول المأمون العباسي أن يحقق عدة أهداف في تنصيب الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ولياً للعهد، كإعطاء المشروعية لخلافته، وإخماد الثورات، وعزل الإمام عليه السلام عن قواعده، وإظهار أهل البيت عليهم السلام كمحبين للسلطة والدنيا[2]، متظاهراً أنه يُريد إرجاع الحق إلى أهله، وإنصاف أهل البيت عليهم السلام، لكن الإمام كان واعياً لأهدافه، فرفض قبولها، حتى هدَّدوه بالقتل، فقبل بشرط أن تكون ولايته شكلية، ولا يتدخل في شؤون الدولة، وهكذا كان موقف الإمام الصادق عليه السلام مع حركة العباسيين، الذين حاولوا كسبه، والمتاجرة بشخصه الشريف على ان ينادوا

(١) الكافرون: ١-٦.

(٢)راجع كتاب (دور الائمة في الحياة الاسلامية).

باسمه، إلا أنه رفض، وانطلت الحيلة على أولاد عمه من بني الحسن، رغم تحذيره عليه السلام لهم .

وعلى هذا كان ديدن قادة الإسلام من أهل البصائر، وشواهده التاريخية كثيرة[١].

الصفة الرابع عشرة: الإلتفات وعدم الغفلة، واستفادة من الدروس والعبر من كل ما حولك، ومن كل حادث يحصل أمامك، أو تسمع به، فإن كل واحد من هذه الأمور والحوادث رزق ساقه الله إليك، لتستفيد منه علماً يضاف إلى العلوم التي تحصل بالطرق النظرية، فقد قيل للقمان الحكيم: (وقيل عيسى روح الله) ممن استفدت الحكمة؟، قال: من الجهال، فإني أرى الفعل منهم فأستنكره، فأحرص على اجتنابه؛ وفي الحديث (العاقل من إتعظ بغيره)[٢].

يمر رسول الله صلى الله عليه وآله على ماء جارٍ، والماء طهور من الخبائث المادية، فيأخذ صلى الله عليه وآله منه مثلاً ويقول: لَوْ كَانَ عَلَى بَابِ دَارِ أَحَدِكُمْ نَهَرٌ فَاغْتَسَلَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ خَمْسَ مَرَّاتٍ، أَكَانَ يَبْقَى فِي جَسَدِهِ مِنَ الدَّرَنِ شَيْءٌ؟، قالوا:

(١) كفتوى السيد المجدد الشيرازي في تحريم التنباك لمنع النفوذ البريطاني في ايران اواخر القرن التاسع عشر، ورد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء على دعوته لحضور مؤتمر بحمدون سنة ١٩٥٤، فكتب (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون).

(٢) غرر الحكم ص٢٢٥.

لا، يا رسول الله[١]؛ فانتقل بتفكيرهم إلى الجانب المعنوي، فان الحسنات مطهِّرات للقلب من الآثار السيئة للمعاصي، بصريح قوله تعالى: (**إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ**)[٢] (**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً**)[٣] فقال صلى الله عليه وآله: كذلك الصلاة، فإن أداءها خمس مرات لا يبقي من السيئات شيئاً، وقد ورد في الحديث: (الصَّلاةُ إِلَى الصَّلاةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا)[٤]؛ واستشهد بالآية الكريمة المتقدمة.

يدخل صلى الله عليه وآله الحمام ويرى الماء الساخن، فيقول صلى الله عليه وآله: (نِعْمَ الْبَيْتُ الْحَمَّامُ، يُذَكِّرُ النَّارَ، وَيَذْهَبُ بِالدَّرَنِ)[٥].

وقد ألفت انظارنا إلى مثل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: (أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ)[٦]، وعندما طلعت شمس يوم إصابته بسيف ابن ملجم المرادي، ونقل عليه السلام إلى داره

(١) تهذيب الأحكام ج٢ ص٢٣٧، ووسائل الشيعة ج٤ ص١٢، ومستدرك الوسائل ج٣ ص١٥، وبحار الأنوار ج٧٩ ص٢٣٦، والأمالي للمفيد ص١٨٩.

(٢) هود: من الآية ١١٤.

(٣) النساء: ٣١.

(٤) مستدرك الوسائل ج٣ ص١٦، وص٩٠، وبحار الأنوار ج٧٩ ص٣١٩، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٠ ص٢٠٦.

(٥) الكافي ج٦ ص٤٩٦.

(٦) نهج البلاغة ص٢٦٦ خطبة ١٨٣، ومجموعة ورام ج١ ص٦٧، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٠ ص١٢٢، وبحار الأنوار ج٨ ص٣٠٦.

خاطبها: (ياشمس نشدتك بالله، هل طلعت وعين ابن أبي طالب نائمة).

هكذا كانوا (صلوات الله عليهم) يستفيدون من كل حالة حولهم مهما كانت طبيعية ومألوفة، إلى حالة مع ربهم.

كم واحد منا استفاد هذه المعاني من هذه المشاهد التي تتكرر علينا يومياً.

وكان أحد العلماء قد تعرَّض لتهم باطلة وتشنيع من قبل الحاسدين، وهو يسير قُدماً في مرضاة الله سبحانه، ويقدم العطاء النافع لنفس هذا المجتمع الذي يحاربه، وكان يتألم لهذه المبادلة غير المنصفة، وفي طريقه رأى شجرة مثمرة، والناس يرمونها بالحجارة، وهي تهدي إليهم من ثمراتها، فتعلَّم الدرس من هذه الشجرة، كيف يحاربها الناس وهي تدر عليهم الخيرات، فاطمأن قلبه، ورضي بما قسم الله سبحانه .

روي أن شخصاً مَرَّ بأحد أئمتنا عليهم السلام، وهو مشمِّرٌ عن ساقيه، مجتهداً في العبادة، فقال له: هَوِّن عليك يا ابن أخي، فإنك صبي لم تبلغ التكليف؛ فقال عليه السلام: إليك عني، فإني رأيت أمي إذا أرادت أن تسجر التنور فإنه لا يشتعل إلا بصغار الحطب؛ فاستفاد من هذا الدرس البسيط للموضوع الأعظم وهي نار جهنم، ومثل هذه الدروس نافعة في وعظ النفس والآخرين، كالنساء اللواتي اغتررن بجمالهن، ونعومة أجسادهن، فلتجرب إحداهن لو أن زيتاً مقلياً، أو، ماءاً حاراً سُكب على هذه البشرة الناعمة، أتراها تطيقه، فكيف تطيق ناراً وقودها الناس والحجارة، سجرها جبار

السماوات والأرض لغضبه، إذا كانت لا تتحمل ناراً أشعلها مخلوق ضعيف للعبه او غايته المحدودة، وهي الكلمة التي قالها أمير المؤمنين عليه السلام لأخيه عقيل، عندما طلب منه زيادة فوق عطائه، فأحمى له حديدة، وقربها منه، فأنَّ من حَرِّها[1].

أراد البهلول أن يعطي درساً لهارون العباسي فتسلل إلى كرسيه، وجلس عليه، ففاجأ الحراس الذين انهالوا عليه بالضرب، لجرأته على مقام الخليفة، ولما جاء هارون سأل عن سبب ضرب البهلول، فقيل له فأخذ يخفف عنه، لكن البهلول قال: إني لم أتألم لنفسي، ولكن لك، فإني جلستُ في مقام غير مقامي لحظات، فنالني هذا العذاب، فكيف بك وأنت تجلس هذا المجلس مدة طويلة وهو ليس لك.

إذا دخلتَ إلى سوق الحدادين أخذتَ منه درساً، فهذا الحديد الذي يضرب به المثل من القوة والصلابة والبأس الشديد، على تعبير القران، فانه ينكسر، وينفتح بكثرة الطَرْق فاستفد منه عدم اليأس من تكرار المحاولة حتى تحصل النتيجة، ولا تتراجع من أول محاولة فاشلة، أو ثانيها.

واستفد من المثال باتجاه آخر بأن لا تحوم حول الشبهات والمعاصي فإنك مهما تحصل من حصانة وقوة مناعة، فإن هذا الإحتكاك المستمر يوشك أن يورِّط الإنسان، ويضعف مقاومته، فمن قول له صلى الله عليه وآله: (إنَّ لكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ حَلالُهُ وَحَرَامُهُ، وَالْمُشْتَبِهَاتُ بَيْنَ ذَلِكَ، كَمَا لَوْ

(١) نهج البلاغة : جـ٣، من كتاب له (عليه السلام) الى احد عماله.

أنَّ رَاعياً رَعَى إلَى جَانبِ الْحِمَى، لَمْ تَثْبُتْ غَنَمُهُ أنْ تَقَعَ فِي وَسَطِه، فَدَعُوا الْمُشْتَبِهَات)[١].

ولا أريد أن أطيل بهذه المواقف والعبر فإنها كثيرة حولنا .

الصفة الخامس عشرة: عدم الإغترار بالمنصب والجاه، وكثرة الأتباع، وحَذَّرﷺ من ذلك بقوله: (إنما أهلك الذين من قبلكم خفق النعال من ورائهم).

خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمنينَعليه السلام وَهُوَ رَاكِبٌ، فَمَشَوْا مَعَهُ، فَقَالَ: أَلَكُمْ حَاجَةٌ؟، فَقَالُوا: لا، وَلَكِنَّا نُحِبُّ أنْ نَمْشِيَ مَعَكَ، فَقَالَ لَهُمْ: انْصَرِفُوا، فَإنَّ مَشْيَ الْمَاشِي مَعَ الرَّاكِبِ مَفْسَدَةٌ للرَّاكِبِ، وَمَذَلَّةٌ لِلْمَاشِي، قَالَ: وَرَكِبَ مَرَّةً أُخْرَى فَمَشَوْا خَلْفَهُ، فَقَالَ: انْصَرِفُوا، فَإنَّ خَفْقَ النِّعَالِ خَلْفَ أَعْقَابِ الرِّجَالِ مَفْسَدَةٌ لِقُلُوبِ النَّوْكَى[٢]. وسيساهم هؤلاء الأذلاء في إفساد قلب هذا المتبوع، ويدخلونه جنهم.

فإن أعظم الأمراض القلبية: حب الجاه، والتسلُّط، والرئاسة، والملك ، وولاية امر الامة، وسائر العناوين البراقة، وقالﷺ: (آخر ما يُنزع من قلوب الصدِّيقين حَبُّ الجاه)، وهو داء أهلك الكثيرين، وأوردهم النار عن علم وعن عمد، وبئس الورد المورود.

---

(١) وسائل الشيعة ج٢٧ ص١٦٧.

(٢) وسائل الشيعة ج١١ ص٤٩٤، وص٤٩٥، وبحار الأنوار ج٤١ ص٥٥، وج٧٣ ص٢٩٩، والمحاسن ج٢ ص٦٢٩.

وهذا هارون العباسي يصف لولده المأمون الإمام الكاظم عليه السلام، بأنه إمام القلوب، وهارون إمام الأبدان بالقهر والإكراه، فيقول له ولده: إذن، لماذا لا تسلِّم له الأمر، قال: ويلك، إن الملك عقيم، ولو نازعتني فيه أنت، لأخذت الذي فيه عيناك[١].

وقريش حينما عصت رسول الله صلى الله عليه وآله في الخليفة من بعده، إنما إندفعت تحت تأثير هذا الداء، حيث قال قائلهم (أبت قريش أن تجمع النبوة والخلافة لبني هاشم)، وبين أيديهم قوله تعالى: (وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)[٢][٣].

إن هذا الداء إذا تمكَّن من قلب القائد، أو، المتصدي للمجتمع، بأي موقع كان، فإنه سيؤدي به إلى الإنحدار، وسيكون منشأً لعدة رذائل قلبية، (أولها): الرياء، فإنه يبدأ بالتصنُّع والتكلُّف، ليستهوي قلوب الناس، وسيكون هدفه رضا الناس، لا رضا الله تبارك وتعالى، وسيسير وفق أهواء الناس ومشتهياتهم، ويخشى الناس، أي انفضاض الناس من حوله، ولا يخشى الله، وقد حذَّر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله من هذه النتيجة (**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**)[٤]، وما

---

(١) أُنظر: بحار الأنوار ج٤٨ ص١٢٩، والإحتجاج ج٢ ص٣٩٢، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص٩١.

(٢) الأحزاب: من الآية ٣٦.

(٣) أُنظر: بحار الأنوار ج٣١ ص٧١، وص٧٥.

(٤) الأحزاب: من الآية ٣٧.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليجامل أحداً على حساب الحق، ولكنها على أية حال نتيجة مهمة، يجب أن يحذّره الله تعالى منها، وعندئذ ستكون الناس هي المحركة والموجهة للقائد بحسب رغباتها، وليس هو الذي يحركها، قال تعالى: (**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ**)[1]، وقال تعالى: (**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَالأَرْضُ**)[2]، وهنا تزداد المشكلة سوءاً، فإنه حينما يريد أن يفعل فعلاً فسوف لا يفكر بما يرضي الله سبحانه، أو، تقوم عليه حجة شرعية، بل يفعل ما يرضي الناس، ويزيد من خفق النعال خلفه، وسيبدأ القائد بالخداع والتضليل، والوعود الخلابة، كما يفعل الساسة اليوم، حتى في الدول الغربية، التي تتصور أنها النموذج الأرقى للعالم المتحضر، بلا حياء، من أجل جمع أكبر عدد ممكن من الأصوات، ونحن نعلم أن أغلب العامة همج رعاع ينعقون مع كل ناعق، وتنطلي عليهم أبسط شبهة، تنقل مواقفهم من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال، وتسيِّرهم العواطف والأهواء، وتخدعهم العناوين البراقة.

لذلك لم يكن تعيين ولي الأمر بالإنتخاب الشعبي، وإنما بالنص بالنسبة للمعصومين، وباختيار (أهل الخبرة) بالنسبة لنوابهم عليهم السلام، من المجتهدين الجامعين للشرائط، ويُفترض في أهل الخبرة فضيلة ودرجة عالية من العلم اولاً، ودرجة معمقة من الورع، والسيطرة على الأهواء

(١) الأنعام: من الآية ١١٦.

(٢) المؤمنون: من الآية ٧١.

والنفس ثانياً، وقدرة كافية على التمييز والتفضيل ثالثاً.

فالمفروض في القائد أن يستهدف ما عند الله سبحانه، وبتعبيرنا أن يفعل ما يراه حجة بينه وبين الله سبحانه، سواء رضي الناس أم أبوا، قال علي عليه السلام: (لا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً)[١]؛ وإلا فما فائدة كثرة الأتباع حولك، وأنت تزداد غياً وبُعداً عن الله سبحانه.

ولو تأملنا كلام المعصومين الهداة لوجدنا فيها خيراً عميماً ولما زلت اقدامنا في موقف.

ففي دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة (إلهي ماذا وجد من فقدك، وماذا فقد من وجدك، خسرت صفقة عبد لم تجعل لها من حبك نصيباً)[٢] فما قيمة كثرة الأتباع في هذه الصفقة الخاسرة.

جاء وجهاء المشركين ومترفوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالوا له: لو طردت عنك هؤلاء الفقراء لاتبعناك، لأننا لا نستطيع أن نجلس معهم، فتنزَّل قوله تعالى: (**وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**)[٣].

(١) نهج البلاغة ص٤٠٩، من كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١٦ ص١٤٨، وبحار الأنوار ج٣٤ ص٢٤، وج٩٧ ص٣٦١.

(٢) بحار الأنوار ج٩٥ ص٢٢٦، والإقبال ص٣٤٩.

(٣) الأنعام: ٥٢.

إن هذا الداء، وهو السعي لزيادة الأتباع، قد تفشَّى إلى مراكز عديدة كمرجعية التقليد، أو خطيب المنبر، أو إمام المسجد، أو المدرس في الحلقات العلمية، وأصبح هو المعيار، وانطمست المعايير الحقيقية، ولو وقف الأمر إلى هذا الحد لأمكن السكوت عليه، لكن الداهية العظمى أن يكون ذلك هدفاً يسعى إليه، ويغفل عن الله سبحانه، وعندئذ لا يهمه الأسلوب الذي يؤدي إلى هذه النتيجة، وهذا انحدار مريع في تفكير القيادة ومنهجها.

وقد تنقلب الموازين، فتكون هذه الكثرة الكاثرة هي الدليل عنده على أنه على الحق، ويبدأ بمغالطة نفسه فضلاً عن مغالطة الآخرين، وينسى ان عدد مريدي لاعب رياضي، أو مغني هم أكثر من أتباعه، فما الحق الذي نالوه من هذه الكثرة.

قال صلى الله عليه وآله: (كَيْفَ بِكُمْ إِذَا ... لَمْ تَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَلَمْ تَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ؟، فَقِيلَ لَهُ: وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، فَقَالَ: نَعَمْ، وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمُنْكَرِ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ ؟ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ؟، قَالَ: نَعَمْ، وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَراً، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفاً)[1].

(١) الكافي ج٥ ص٥٩، وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٧٧، ووسائل الشيعة ج١٦ ص١٢٢، ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٣٣٥، وبحار الأنوار ج٥٢ ص١٨١، وج٧٤ ص١٥٥، وج٩٧ ص٧٤، وص٩١، وتحف العقول ص٤٩، وروضة الواعظين ج٢ ص٣٦٥، وقرب الإسناد ص٢٦، ومجموعة ورام ج٢ ص١٢٤.

الصفة السادس عشر: النجاح في اجتياز الإبتلاءات التي لا بُدَّ منها في هذه الدنيا، وإجراءاً لسنن الله تبارك وتعالى في مخلوقاته، ولكل مسئولية وموقع ابتلاءات وامتحانات لا بُدَّ من تجاوزها، والغرض منها تأهيل الشخص لذلك المقام الذي يريد الله تبارك وتعالى أن يعطيه إياه، قال تعالى: (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ**)[١]، وقال تعالى: (**الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**)[٢].

وتتصاعد شدة الإبتلاء كلما إزداد المقام أهمية لذا ورد في الحديث الشريف: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ بِمَنْزِلَةِ كِفَّةِ الْمِيزَانِ كُلَّمَا زِيدَ فِي إِيمَانِهِ زِيدَ فِي بَلائِهِ**)[٣].

وهناك بلاءات ناتجة من كون الإنسان في هذه الدنيا المليئة بالأسقام والعلل، وهذه عامة لكل البشر.

وأخرى أخص منها للمؤمنين، باعتبارهم يرجون ما عند الله سبحانه، وهكذا تضاف بلاءات جديدة كلما تقدم الإنسان خطوة نحو التكامل.

---

(١) البقرة: ٢١٤.

(٢) العنكبوت: ١-٢.

(٣) الكافي ج٢ ص٢٥٣، ووسائل الشيعة ج٣ ص٢٦٣، ومستدرك الوسائل ج٢ ص٤٣٣، وص٤٣٦، وبحار الأنوار ج٦٤ ص٢١٠، وص٢٤٣، وج٧٥ ص٣٢٠، وإرشاد القلوب ج١ ص١٢٣، وأعلام الدين ص١٢٥، والأمالي للطوسي ص٦٣١، وتحف العقول ص٤٠٨، والتمحيص ص٣١، وجامع الأخبار ص١١٥.

فنبي الله إبراهيم تجاوز امتحانات العبودية أولاً، حتى استخلصه الله لنفسه، ثم اجتاز امتحانات النبوة، ثم الرسالة، وبقيت عليه امتحانات الإمامة، فقال تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً**﴾[1] وقد تقدم أول البحث تفسير الآية، بأنها بعد أن حصل على كل تلك المراتب المتقدمة.

إن الإبتلاء يصقل الشخصية، ويظهر معدنها الأصيل، كما أن النار تفتن المعادن وتنقيها من الشوائب وتظهر المعدن النقي فكذلك الابتلاء يُظهر النقائص في الشخص حتى يسعى نحو علاجها وفق السنن الإلهية، وهي إضافة إلى ذلك ترفع درجات المبتلى حينما ينجح فيها.

والإختبارات على مستويات ثلاثة، أقلها، المصائب والصعوبات التي تعترض الإنسان كفقد الأعزاء والأحباء، أو، المرض والفقر والجوع والأذى والألم، وأعلى منها امتحان الصبر على اجتناب المحرمات، وترك الشبهات، والورع عنها، وعدم التسامح فيها، وأعلى منها اختبار الصبر على الطاعة، والمداومة عليها، وتكريس النفس لها، وعدم التقصير فيها، وهذه أرقى الدرجات بحسب تقسيم الأحاديث الشريفة.

وقد أدَّى رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الإمتحانات بنجاح، وظل مجاهداً كادحاً حتى لاقى ربه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (يَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى

(١) البقرة: من الآية ١٢٤.

يَلْقَى رَبَّهُ)[١]؛ يعني بالمؤمن نفسه الشريفة، ولم يقابلها صلى الله عليه وآله بالصبر فحسب، ولا الرضا بقضاء الله فحسب، ولا السرور بما اختاره الله تبارك وتعالى له فحسب، وهذه كلها مراتب متدرجة في الكمال، وإنما كان موقفه الشكر على رعايته تبارك وتعالى له صلى الله عليه وآله، والتفاته إليه، وأخذه وهو العلي العظيم الغني عن العالمين بيده، نحو رفيع الدرجات.

وإلى هذه الرعاية أشار ربه تبارك وتعالى ليذكره بأن الذي تكفله وهو يتيم ضعيف، ثم وهو وحيد بين طواغيت قريش، سوف يستمر في رعايته واللطف به إلى آخر حياته، وفي الآخرة، (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: وَالضُّحى، وَاللَّيْلِ إِذا سَجى، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى، وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى، وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدى، وَوَجَدَكَ عائلاً فَأَغْنى، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)[٢]، فبدأ حياته يتيم الأب، ثم فقد أمه وهو رضيع، فكفله جده عبد المطلب، الذي لم يلبث أن توفي وهو صبي في الثامنة، ثم اشتغل بالرعي وبالتجارة والكسب، وبعد البعثة

(١) نهج البلاغة ص٤٨ خطبة (٣)، وبحار الأنوار ج٢٩ ص٤٩٧، وج٣٠ ص٨٠، والإحتجاج ج١ ص١٩١، والإرشاد ج١ ص٢٨٧، وإرشاد القلوب ج٢ ص٣١٤، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١ ص١٥١، والطرائف ج٢ ص٤١٧، وص٤٢٠، وعلل الشرائع ج١ ص١٥٠، ومعاني الأخبار ص٣٦٠، والمناقب ج٢ ص٢٠٤، ونهج الحق ص٣٢٦.

(٢) الضحى: ١-١١.

عانى ما عانى من أذى قريش، وصفوه بألوان الصفات المشينة، وضعوا الفرث والدم على رأسه الشريف، ورموه بالحجارة حتى أدموه، ويعود إلى الدار وهو ينزف دماً، وتحمَّل الجوع والحرمان، فكان يشدُّ حجر المجاعة على بطنه، وينام خاوياً.

أُهدي طعام إلى الزهراء (سلام الله عليها) فأبت أن تنال منه قبل أبيهاصلى الله عليه وآله، فذهبت به إليه فقالصلى الله عليه وآله: لم يدخل جوف أبيك شيء من الطعام منذ ثلاثة أيام.

فقد سنده أبا طالب وحبيبته وأنيسته خديجة خلال ثلاثة أيام وهو يعاني شدة الحصار في الشعب.

تحمَّل الأذى من بعض زوجاته، وكنَّ يوجهن له كلاماً جارحاً، والقرآن شاهد على هذه الأذايا والبلايا، حتى اتهم في عرضه وشرفه، وأن إبراهيم ليس إبنه، فنزلت سورة النور تفضح هؤلاء الخائضين بحديث الإفك.

مات ولده الوحيد إبراهيم فكان غاية رَدِّ فعله (تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ، وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)[1]، ولم يبالغ حيث صادف كسوف الشمس، فقيل: إنها كُسفت لموت إبراهيم

(١) الكافي ج٣ ص٢٦٢، ووسائل الشيعة ج٣ ص٢٨٠، ومستدرك الوسائل ج٢ ص٤١٣، وص٤٦٢، وبحار الأنوار ج١٠ ص٣٣، وج١٦ ص٢٣٥، وج١٧ ص٢٨٠، وج٢٢ ص١٥٧، وص٢٦٤، وص٤٥٨، وج٢٤ ص٢٦٣، وج٦٥ ص٥٤، وج٧٤ ص١٤٢، وج٧٩ ص٩٠، والإحتجاج ج١ ص٢١٥، وتأويل الآيات الظاهرة ص٨٠٢، وتحف العقول ص٣٧، ومكارم الأخلاق ص٢٢.

فقال صلى الله عليه وآله: (إنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّه، يَجْرِيَانِ بِأَمْرِه، مُطِيعَانِ لَهُ، لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِه)[١]؛ وأوذي بعصيان أصحابه له، وتمردهم على أوامره، كتخلفهم عن جيش أسامة، وعلم منهم انقلابهم على وصيه، ومنعوه من كتابة وصية لايضلون بعدها أبداً، في رزية يوم الخميس[٢].

هذا بعض ما امتُحن به رسول الله صلى الله عليه وآله على المستوى الأول.

أما على المستوى الثاني، أي الصبر عن المحرمات، فقد تقدَّم أنه صلى الله عليه وآله جاهد نفسه وروضها، لتعزف عن الدنيا المحللة، أزيد من الحاجة، فكيف بالمحرمة، والى مثل هذه التربية للنفس اشار تلميذه الاول امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (وإنما هي نفسي اروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الفزع الاكبر)[٣] وقال عليه السلام (... حتى تهشّ الى القرص مأدوماً بالملح)[٤] !!

وأما على المستوى الثالث، فقد تقدم أيضاً الحديث عنه، وكيف

(١) الكافي ج٣ ص٢٠٨، وص٤٦٣، ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٥٤٠، وتهذيب الأحكام ج٣ ص١٥٤، ووسائل الشيعة ج٧ ص٤٨٥، وص٤٩١، ومستدرك الوسائل ج٢ ص٤٦٢، وج٦ ص١٦٨، وبحار الأنوار ج٢٢ ص١٥٥، وج٧٨ ص٣٨٠، وج٧٩ ص٩١، وج٨٨ ص١٥٥، وص١٦٣، والمحاسن ج٢ ص٣١٣، والعوالي اللآلي ج١ ص٢٠٦، وج٢ ص٢٢١، ومسكن الفؤاد ص١٠٣.

(٢) راجع تفصيل هذه الحوادث في كتاب (النص والاجتهاد) للسيد شرف الدين.

(٣) نهج البلاغة، من كتاب له الى احد عماله.

(٤) نفس المصدر، ونفس الموضوع.

أنه صلى الله عليه وآله وقف بين يدي ربه حتى ورمت قدماه، ونزل قوله تبارك وتعالى: (طه، ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى)[١] (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ)[٢].

وإنما أستعيد هذه الأحداث والأفكار لأقول: إن الله سبحانه عندما يريد ان يهيء شخصاً، أو، مجتمعاً لقيادة البشرية وهدايتها وإصلاحها، فإنه تبارك وتعالى سيعرض هذا الشخص، أو هذه الأمة للإبتلاءات المطلوبة، فإن وفوا باستحقاقاتها واجتازوها بنجاح اختيارا فسيؤتيهم الله كفلين من رحمته، وسيمنح الناجح المرتبة التي أهلها له، وإن تراخى وتسامح وتهاون، والمفروض أن يجتاز هذه الإمتحانات، فسيضطره الله سبحانه إلى بعض البلاءات.

مثلاً قد يحتاج المصلح والقائد إلى أن يمر بفترة عزلة وتربية مركزة لنفسه، بعيداً عن النشاط الإجتماعي، فينفر هذا الشخص من الإنعزال ولا تطيقه نفسه، فيبتليه الله بالسجن رغماً عليه، لتتحقق له هذه الثمرات.

ويتعرض المجتمع لبلاء يحتاج لرفعه إلى مقدار من التضحيات، فيبخل بها، ويؤثر الدعة والراحة، فتكلّفه السنن الإلهية خسائر أضعاف ما بخل بها، ومن دون أن تتحقق له نتيجة إيجابية.

---

(١) طه: ١-٢.

(٢) المزمل: من الآية ٢٠.

فتصوروا لو أن الأمة وقفت مع أمير المؤمنين ضد الإنحراف والباطل، وقد يكلّفها ذلك شيئاً من التضحيات في سبيل الله، ولكنها تنعم في النهاية بسلطة الحق، لكن الأمة آثرت الخضوع والذلة فوقعت، بحسب سنن الله تعالى، ببلاء تطول مدته تحت وطأة الباطل، يسومها سوء العذاب، ودفعت اضعاف تلك التضحيات من دون ان يتغير حالها.

ومن ذلك ما ورد عن ابي عبد الله عليه السلام قال: ايما رجل من شيعتنا اتى رجلاً من اخوانه فاستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر الا ابتلاه الله بأن يقضي حوائج عدة من اعدائنا يعذبه الله عليها يوم القيامة.

وعن ابي جعفر عليه السلام: من بخل بمعونة اخيه والقيام له في حاجته ابتلى بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر[1].

وقد يبخل المكلف بدفع الخمس، ويحلو المال في عينيه، ويعز عليه دفعه في طاعة الله، فيخسر أضعافه في معصية الله، ومن ورائه عذاب شديد؛ وقد يبخل الإنسان بنفسه، أو بصحته، أو براحته، حينما يدعوه الواجب، ويؤثر الكسل والراحة، فيقع في بلاء يكلفه أكثر من ذلك، مع التفاوت الكبير في النتائج التي يحصل عليها بين البلاء الإختياري والإضطراري، فإن الأول أقل كلفة أولاً، وأعظم أجراً ثانياً، وأشد تأثيراً في تحقيق التكامل، والنتائج المطلوبة فردياً وإجتماعياً ثالثاً. وهذا الموضوع يستحق أفراده

(١) الحديثان من وسائل الشيعة ج١٦، باب تحريم ترك معونة المؤمن عند ضرورته.

بالبحث، وهي المقارنة بين تكاليف عبادة الله سبحانه وعبادة غيره، سواء أكانت أهواء النفس، أو، الطواغيت، أو، المصالح ونحوها.

ومراعاةً لخصوصية هذا البحث الذي يستعرض دروساً للقادة والمصلحين الرساليين فيجب الإشارة إلى بلاء وصعوبات وشدائد تواجه من يسعى لإصلاح المجتمع وتغييره خاصة، بلاء من نوع خاص لا يفهمه إلا من يعيشه ومن يتصدى لهذه المسئولية، ذلك البلاء الذي يثقل على النفس حتى يضيق الصدر فيشعر بالحرج والضغط، قال تعالى: ﴿كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2].

﴿وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[3].

وهذا الحرج غير مختص برسول الله صلى الله عليه وآله، بل هو أمر يتعرض له كل من يواجه المجتمع البعيد عن الله سبحانه، ويريد أن يعيده إلى عبادة الله، ويخرجه من عبادة الطاغوت بكل أشكاله، لذا جاءت التوصية له صلى الله عليه وآله ﴿فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ

(١) الأعراف: ٢.

(٢) الحجر: ٩٧-٩٩.

(٣) النحل: ١٢٧-١٢٨.

مـا يُوعَـدُونَ لَمْ يَلْبَثُـوا إِلاَّ سـاعَةً مِـنْ نَهـارٍ بَـلاغٌ فَهَـلْ يُهْلَـكُ إِلاَّ الْقَـوْمُ الْفاسِقُونَ)[١].

وقـد كَـرَّس القـرآن الكـريم جـزءاً كبيـراً منـه لعـرض طبيعـة هـذه المواجهة بين المعسكرين، والأسلحة المستعملة فيها، وميـزان القـوى لكـل منهما، وأساليب المعسكر الكافر، ليجد المصلح أن الحرب نفس الحـرب، والناس نفس الناس، والأساليب نفس الأساليب، حتى ان الله تبارك وتعـالى يثير الاستغراب من اجتماع اجيالهم المختلفة علـى هـذا الموقـف المعـادي للحق وأهله (**أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**)[٢].

كل ما كان هناك أن الأدوات والمـصاديق والعنـاوين قـد تغيـرت (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِـنْ قَـبْلِكُمْ مَـسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ**)[٣] وكانت النتيجة نفس النتيجة دائماً (**وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبـادِيَ الـصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هـذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ**)[٤] (**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ

(١) الأحقاف: ٣٥.

(٢) الذاريات : ٥٣.

(٣) البقرة: ٢١٤.

(٤) الأنبياء: ١٠٥-١٠٦.

وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ)[١].

ولمزيد من البيان والتفصيل نقول: إن الله سبحانه يقسِّم من خلال القران الكريم نظام حياة البشر إلى نوعين: الإسلام والجاهلية، وهذا التقسيم ليس مختصاً بفترة نزول القرآن، أي عصر البعثة الشريفة، بل هي حالة مستمرة لأن الجاهلية ليست فترة زمنية مرت وانتهت إلى الأبد بظهور الإسلام، بل هو نظام حياة يمكن أن تعيشه البشرية في كل زمان ومكان، لأن لكل من القسمين صفاته ومميزاته، فمتى تحققت هذه السمات وجد هذا المجتمع، وقد فصلنا شرح ذلك في كتابنا (شكوى القرآن).

فالمجتمع المسلم هو المجتمع الذي يطبق شريعة الله سبحانه في كل تفاصيل حياته، ابتداءاً من الإعتقادات إلى النظم والتشريعات، إلى الأخلاق والأعراف والقيم والموازين التي تسود فيه، أما أن يسمي المجتمع نفسه مسلماً، والسلطة العليا فيه ليس لله سبحانه وتعالى ولرسوله والائمة الاطهار عليهم السلام والعلماء الجامعين لشرائط النيابة العامة عن الامام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ولا القوانين والتشريعات التي تحكمه إلهية، ولا الأعراف والتقاليد التي تسيِّره ويعيش تحت ضغطها مستفادة من شريعة الله سبحانه، ولا القيم والموازين التي يقيم بها حياته مأخوذة من الله سبحانه، ولا الآصرة التي تربط أفراده هي وحدة المعتقدات الإلهية الحقيقية، وإنما هي الجنس، أو اللون، أو العشيرة، أو

(١) القصص: ٥-٦.

الوطن، أو القومية، أو الشعارات المختلفة، فهذا ليس مجتمعاً مسلماً، وإن سمَّى نفسه كذلك، لأن هذه الأمور لا تقوِّم إنسانية الإنسان، وليست عناصر ذاتية فيها، بل هي أمور خارجة عن إرادته؛ بل إنسانية الإنسان بروحه وفكره، وما يحمله من عقائد وتصورات، ترسم له منهج حياته، وهو يبقى إنساناً إذا سلخناه من لونه ووطنه وجنسه وعشيرته، ولكنه لا يبقى إنساناً إذا جردناه من روحه وعقله وفكره، وإنما يصبح كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

والمجتمع الجاهلي هو من فقد خصائص المجتمع المسلم، فالسلطة ليست لله، وإنما لعباده، والتصورات والأعراف التي تحكمه شيطانية ما أنزل الله بها من سلطان، فيكون بعضهم أرباباً لبعض، يشرعون لهم، والباقون عبيداً لهم ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَّ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهَّ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1] ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهَّ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2] فينقسم المجتمع إلى مستضعفين ومستكبرين، وتابعين ومتبوعين، ويكون الولاء لغير الله سبحانه، وانما لعناوين يبتدعونها، وآلهة يصطلحون على عبادتها، وأداء مراسيم الطاعة

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) التوبة: ٣١.

والولاء لها، كالعشيرة والوطن والقومية والجنس واللون وربما الرياضة او الحزب او اي انتماء آخر، التي قد علمتَ أنها عناصر ذاتية في إنسانية الإنسان، وتكون الأعراف والتقاليد والنظم الإجتماعية المتبعة من وضع البشر، لا الخالق سبحانه وتعالى.

لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله والجاهلية ضاربة بأطنابها في عموم الأرض، فالأمم التي تسمي نفسها متحضرة كالروم والفرس كانت مستعبدة لطواغيتها، يسيرونهم وفق أهوائهم، ويقدمون القرابين البشرية بلا حساب من أجل نزوة لهذا المتسلط، أو حُلُم مَرَّ بخياله، أو شهوة أراد تحقيقها، والأموال تصرف على ملذاتهم، أما الناس فغارقون في مستنقع الرذائل الخلقية، من شرب الخمر والزنا والتطفيف بالمكيال، وغيرها من الفواحش.

أما العرب فحدِّث ولا حرج عن جاهليتهم المعروفة للجميع، وفي مواجهة هذه الجاهلية أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله دعوته إلى توحيد الله سبحانه وتعالى (قولوا لا اله الا الله تفلحوا)[1]، فكان أن وقف الجميع في وجهه وقفة رجل واحد، فما الذي حصل وقد كان الأحناف يعلنون هذه الكلمات بين ظهراني المشركين بلا نكير من أحد؟، الذي حصل أن أهل الجاهلية فهموا أن هذه الكلمة الصغيرة في عدد حروفها، كبيرة وواسعة جداً في معانيها، لأنها تلغي سلطنة العباد على العباد، وتلغي الإمتيازات والفروق الطبقية، وتذوِّب كل العناوين، ليصبح الجميع سواسية، تجمعهم

(١) أُنظر: بحار الأنوار ج١٨ ص٢٠٢، والمناقب ج١ ص٥٥.

عبادة الله الواحد الأحد، وتهدم كياناتهم الإجتماعية والإقتصادية، التي أقاموها على أسس غير مشروعة، كما أنها تقلب الموازين والأعراف التي درجوا عليها وتوارثوها، وتقيم بدلاً منها نظاماً لم يألفوه، ولا يوافق أهواءهم ونفوسهم الميالة للشهوات، فثاروا ووقفوا في وجهه صلى الله عليه وآله، وعبئوا كل قوتهم لمقاومته صلى الله عليه وآله، وجندوا الناس كلها ضده صلى الله عليه وآله، بما فيهم بعض أفراد أسرته كعمه أبي لهب وزوجته أم جميل حمالة الحطب، وخلطوا عليهم الأوراق لئلا يتضح أمامهم الحق، فوصفوه بالخارج عن طريقة الآباء والأجداد، وأنه سَبَّ آلهتنا، وسفَّه أحلامنا، ومن يقبل أن يرمي السلف كله في سلة المهملات، وتسب آلهته، وتسفه وتحقر الأعراف والتقاليد التي دأبت على تطبيقها الأجيال.

فكيف يستطيع أن يُفهمهم الحقيقة، ويقنعهم بالإنصات إليه، مع هذا الضجيج حوله، وهو وحيد أمام هذا الزخم المتلاطم، فكان من الطبيعي أن يوصف بأنه مجنون.

فهذه المواجهة، أي مواجهة الجاهلية بأبعادها الواسعة، من العدد الذي يغطي كل المجتمع، إلى الأعراف والتقاليد الموروثة المستحكمة التي لا يمكن الخروج عنها مهما كلَّف الثمن، إلى الأرباب البشرية التي استعبدت البشر، وسنّت لهم القوانين، وفرضتها عليهم، إلى النفوس الأمارة بالشهوات التي تستعصي على من يريد أن يملك زمامها.

فنفس الشعور بهذه المواجهة الواسعة مع المجتمع البعيد عن الله

سبحانه، والسعي إلى تغييره وإصلاحه، أول هم ثقيل و(حرج) على التعبير القرآني، يتلجلج في صدر المصلح الكبير.

وهذا التشويه لشخّصية المصلح، وإحاطتها بالضباب الكثيف الذي يمنع الرؤية الصحيحة مع ما يرافقها من تزييف الحقائق، وهو أول سلاح يُستعمل في المواجهة، هَمٌّ ثقيل، وحرج آخر يلقي بكلكله على الروح، وقد يشعر القائد بالإحباط واليأس، من التغيير من اول خطوة بعد ان مسخوا شخصيته اما المجتمع واصبح مرفوضاً حتى عند اقرب الناس اليه.

ثَمَّ يأتي دور الأسلحة الأخرى في المواجهة، مما مَرَّ ذكرها من تعذيب المؤمنين برسالتهﷺ او سجنهم او قتلهم او التآمر على قتل القائد نفسه، فماذا أعدَّ المؤمن المتصل سببه بالله لهذه المواجهة، وبماذا تسلَّح ؟ لقد تسلَّح بالوعود الإلهية بالتثبيت والنصر، وإنزال السكينة والإمداد الإلهي ووراثة الأرض ومَنْ عليها، وإن الله كاف عبده، ويجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وهذه بعض الآيات التي تضمنت تلك الوعود الإلهية (**ومن اصدق من الله قيلا**)[1] قال تعالى: (**وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ**)[2]، (**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَاضْرِبُوا**

(١) النساء: من الآية ١٢٢.

(٢) هود: ١٢٠.

مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ)[١]، (ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ)[٢]، (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ)[٣]، (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ وَما جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)[٤]، (وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ)[٥]، (أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ)[٦]، (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهَ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً)[٧]، (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[٨]، هذا غير مثل قوله تعالى:

(١) الأنفال: ١٢.

(٢) التوبة: ٢٦.

(٣) محمد: ٧.

(٤) آل عمران: ١٢٣-١٢٦.

(٥) الأنبياء: ١٠٥.

(٦) الزمر: ٣٦.

(٧) الطلاق: جزء من الآية ٢ - ٣.

(٨) البقرة: ١٣٧.

(ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)[١] فبعد هذا سوف لا يشعر القائد بالعنت والتعب والحرج في الصدر، على تعبير القرآن، وهل تحتاج بعد هذا إلى ما يزيل عنك هموم التبليغ والتغيير ؟

وأرقُّ تعبير عن رعاية الله سبحانه لعباده العاملين على إعلاء كلمته، وإخراج البشر من عبادة العبيد إلى عبادة الله سبحانه، قوله تعالى: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ)[٢] أي أنك في رعايتنا وعنايتنا وحراستنا، وهي الكلمة التي كانت تهوِّن على الإمام الحسين عليه السلام ما يحلُّ من عظائم الأمور، قال عليه السلام: (هَوَّن ما نزل بي أنه بعين الله سبحانه)[٣].

هذه جاهلية الأمس، وهذه صورة المواجهة معها، فهل تغيرت حال البشر اليوم عنها ؟، ولا أريد أن أتكلم عن العالم الذي يسمي نفسه بالمتحضر، فإنه غارق في وحل الجاهلية إلى شحمة أذنيه، فمعبوده المادة والمصالح الإقتصادية، حيث تشتعل الحروب، وتسحق الشعوب من أجل المصالح والنزوات والشهوات.

(١) التوبة: ١٢٠.

(٢) الطور: ٤٨.

(٣) بحار الأنوار ج٤٥ ص٤٥، وفلاح السائل ص٨٣، واللهوف ص١١٥.

والآلهة تحولت من أصنام حجرية تؤدَّى لها الطقوس، وتهدر بين أقدامها الأموال، ويتسابق على نيل رضا أربابها الناس، تحولت إلى آلهة جديدة هي الرياضة والفن، فبدل أن تتوجه القلوب إلى الله سبحانه، وتتوحد على طاعته، أصبحت العيون متجهة إلى ملاعب كرة القدم، ودور الأزياء، لمعرفة ما تقدمه من جديد، وبدلاً من أن يكون الولاء لله ولرسوله ولأمير المؤمنين أصبح الولاء للعشيرة وللقومية وللفريق الفلاني.

وأما الأعراف والتقاليد المتحكمة فليست من صنع الشريعة، وإنما فرضها البشر القاصر العاجز، والويل لمن يخرج عنها، حتى لو كانت على خلاف الشريعة، لأنه العار، ودخول النار عندهم أولى من ركوب العار، عكس ما نادى به الامام الحسين عليه السلام: (الموت أولى من ركوب العار، والعار أولى من دخول النار)[1]، وأصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، فالمسلسلات التلفزيونية تمجِّد الحب، وتدعو إليه، وتنبذ (المتزمتين الرجعيين) الذين يقفون في طريق الحب وأهله، وأبطال الشاشة هم المتمردون على الأخلاق الإجتماعية العامة، والشجاع هو الأكثر إعتداءاً على الآخرين، والذي ينقضُّ بالسلاح على كل أحد يقف في طريقه.

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص١٩٢، وص١٩٦، وج٤٥ ص٥٠، وج٧٥ ص١٢٨، وأعلام الدين ص٢٩٨، وكشف الغمة ج٢ ص٣٢، وص٣٦، واللهوف ص١١٩، ومثير الأحزان ص٧٢، والمناقب ج٤ ص٦٨، وص١١٠.

والدين أفيون الشعوب، لأنه يصادر حريات الإنسان، ويمنع عليه أن يمارس أعماله كيف يشاء، فلا مانع إذن من أن يصدر قرار رسمي بإباحة الإتصال الجنسي بين أفراد الجنس الواحد.

أما الظلم فعلى أشده، يمتصون خيرات الشعوب، ويتركونهم يموتون جوعاً، ليترهلوا هم من التخمة والترف الزائد، ويحرقون اللحوم والأغذية حفاظاً على أسواقهم وأسعارهم، وغيرها كثير مما لا يغيب عن الملتفت.

ومجتماتنا الإسلامية ليست بعيدة عن هذه الحياة الجاهلية، بعد أن أقنعها الغرب الكافر بأن تخلع عنها لباس الدين، لأنه يعرقل مسيرتها، ويمنع تطورها، فلتنبذه وتتبع الغرب، فتخلت عن أحسن ما عندها، وأخذت من الغرب أسوأ ما عنده، وأصبحوا له عبيداً أذلاء، فمن يسعى إلى أن يعيد للمجتمع صبغته الإلهية (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عابِدُونَ)[1] فسيواجه عين ما واجه رسول الله ﷺ وأولوا العزم من الرسل قبله.

وما دامت المواجهة نفسها فليتسلح بما يتسلح به المؤمنون السابقون، ولكي لا نبخس الناس أشيائهم فلا بد أن نقول بتفاؤل: إنه رغم ذلك توجد ثلة مؤمنة وعت الشريعة وطبقتها في حياتها، وثلة أخرى يعيش

(١) البقرة: ١٣٨.

الدين في ضمائرها، ولا تحتاج إلى أزيد، ممن يحركها ويحتضنها، فالمهمة أيسر مما واجه رسول الله صلى الله عليه وآله، وفرص النجاح أكبر (وَفِي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ)[١] والحديث كما ترى ذو شجون وتفصيل لا يتسع لها درس واحد، لكن ما ذكرنا مجرد إلفات نظر (وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ)[٢].

(١) المطففين: من الآية ٢٦.

(٢) الحاقة: من الآية ١٢.

المحور الثاني

في سياسة الأمة

لم تصدر من سماحة الشيخ اليعقوبي ضمن هذا المحور الا محاضرتان هما (كيف خطط رسول الله ﷺ للخلافة من بعده) و(ماذا خسرت الأمة حينما ولّت أمرها من لا يستحق) ولذلك اكثر من سبب:

١- انشغال سماحته بالشؤون العامة الواسعة.

٢- اكتفاؤه بما صدر منه في كتاب (دور الأئمة في الحياة الإسلامية) الذي تكفل ببيان العشرات من اوجه نشاط المعصومين عليهم السلام في حياة الامة والأئمة هم الامتداد الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله والمظهرين لعلمه وسيرته المباركة، فحركتهم انعكاس لحركته الشريفة صلى الله عليه وآله.

وقد طبعتا مع تخريج الروايات والأخبار الواردة فيها والشرح والتعليق عليها في كتاب مستقل عنوانه (من وحي الغدير) ونحن نقتصر هنا على ذكر الأصل باذن الله تعالى.

كيف خط رسول الله صلى الله عليه وآله للخلافة من بعده[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الامامة وولاية امر الناس ضرورة اجتماعية لا يختلف فيها اثنان وقد اطبق عليها جميع العقلاء ولا يمكن لحياة المجتمع ونظام معاشه ان يستقيم بدون امام ورئيس يدير شؤون الامة ويدبر امورها. وقد اجمع علماء الاسلام على ضرورة وجود امام واذا كان بينهم خلاف ففي الصغرى اي في التفاصيل والتطبيق لا في اصل احتياج الامة فابناء العامة يقولون بالشورى او ان الامر لمن غلب حتى لو قهر الأمة بالسيف وتقمّص امامتها قهراً ونحن نقول انها بالنص وانها حق جعله الله تبارك وتعالى لمن اجتمعت فيه شروطها، سواء سمحت له الظروف بالقيام فعلاً بالامر او صودرت حريته ومُنِع من ممارسة دوره كاملاً كما في الحديث الشريف (الحسن والحسين امامان ان قاما وان قعدا) اي قاما بالامر او قعدا عنه لاي سبب من الاسباب.

وقد اهتم رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الامر بدقة فكان لا يُخرج سرية الا عليها امير مهما قلّ افرادها بل في الحديث اذا خرج اثنان للسفر فليؤمرا

---

(١) محاضرتان القاهما الشيخ محمد اليعقوبي على طلبة الحوزة العلمية، في النجف الاشرف بمناسبة عيد الغدير يومي ١٦، ١٧ ذي الحجة ١٤٢١ وقد اضاف اليهما بعض الزيادات الضرورية.

احدهما، وكانﷺ اذا خرج لغزوة لا يترك المدينة بدون خليفة له بل روي في حديث (امام فاسق خير من عدم امام) لانه به تحفظ الثغور وتقوم مصالح العباد وجوزّوا دفع الزكاة والخراج اليه وجعلوها مبرئة للذمة كأنها واصلة اليهم.

لذا كان من مسؤوليات حامل الرسالة ووظائفه بل اهمها على الاطلاق تعيين الخليفة والامام البديل لعدة مصالح مهمة:

١- ديمومة الرسالة واستمراريتها في اداء دورها فان اية رسالة مهما كانت تمتلك من نقاط قوة -كرسالة الاسلام- تموت بموت صاحبها فانه من المقطوع به ارتباط الرسالات والدعوات بحامليها المقيمين عليها المدافعين عنها المستوعبين لاسرارها لذلك فانها تنتهي بنهاية صاحبها الا ان يواصل الطريق من هو جدير بحملها وانت ترى الرسالات السماوية -وهي اكمل الدعوات- حُرِّفت وشُوِّهت بعد فترة يسيرة من غياب اصحابها.

٢- قطع الطريق امام غير المؤهلين لهذا المنصب الالهي فان الامرة والزعامة خصوصاً الزعامة الدينية بما لها من قدسية وهيبة وجاه من اهم ما تنزع اليه النفس الامارة بالسوء ففي الحديث (آخر ما ينزع من قلوب الصديقين حب الجاه) اذن سيكون المتربصون بها كثيرين والحالمون بها والساعون الى تحصيلها اكثر. وقد اعترفوا انه ما عانت الامة من شيء كما عانت من مسألة الامامة والخلافة وهذا واضح تاريخياً.

٣- صيانة الامة من التشتت وحمايتها من التمزق فان من شأن تعدد

المتصدين لهذا المنصب ان تتعدد الاحزاب والفرق الموالية لهم وكل يجرُّ النار الى قرصه فيتمزق امر الامة وتصبح طرائق قددا وها هي الاجيال بعد الاجيال تدفع ثمن التيه والضياع وآل امرها الى الانحلال لذا قال تعالى (**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**) (**فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**) وحبل الله الممدود الى الخلق هما الثقلان كتاب الله واهل بيت نبيه صلوات الله عليهم اجمعين كما دلت عليه النصوص الشريفة[1]. وقد اشارت الزهراء سلام الله عليها الى هذه الفكرة المهمة في خطبتها فقالت: (وجعل امامتنا نظاماً للملة) اي بها تنتظم امورهم وتستقر.

٤- ان حامل الرسالة لا يستطيع ان يستمر بمشروعه حتى النهاية ويقدم كل ما عنده قبل ان يطمئن الى وجود البديل لانه قبل ذلك يخشى على مستقبل الرسالة فاذا احرز اجتماع الشروط في الشخص البديل استطاع ان يتقدم بلا تردد او خوف على مستقبل الرسالة، هذا الخوف الذي اشار اليه نبي الله موسى عليه السلام لذا كان اول دعاء له (**وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ، هَارُونَ أَخِي ، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**) وفي كلمات امير المؤمنين عليه السلام : (لم يُوجِس موسى عليه السلام خيفة على نفسه بل اشفق من غَلَبَة الجُهال ودوَل الضلال)[2].

هذه امور يدركها كل عاقل ويزداد الامر وضوحاً كلما ازدادت

(١) راجع كتاب (شكوى القرآن). (المصنف)

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٤ ص٣٩. (المصنف)

اهمية الرسالة كدين الاسلام الذي جاء رحمة للعالمين وخالداً الى يوم القيامة فهو -اي الاسلام- بهذه السعة والشمول طولاً وعرضاً، وكلما تعاظم منصب الشخص الراحل والغائب عن الساحة ازدادت المسؤولية والأخطار حول المنصب واشرف موقع هو امامة المسلمين وولاية امورهم وخلافة رسولﷺ التي قدّر لها ان تشمل شرق الارض وغربها كما بشر بذلك رسولﷺ عندما كان يحفر مع المسلمين في الخندق وضرب على صخرتين فاضاءتا له ولهم واكدها القرآن (**وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً**) (**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**) فكيف لا تتناوشه المطامع وتتجاذبه الاهواء، أفمثل رسول اللهﷺ يجهل هذه الامور الواضحة وهو المتصل بسبب الى الله تبارك وتعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهو القائل: (من مات ولم يوص مات ميتة جاهلية) فهل يكونﷺ اول من يخرج عن ربقة الاسلام ويموت على الجاهلية (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) ام يقال ان هذا الحديث وارد في الوصية بالمال ونحوه للورثة وغيرهم فهل هذه الامور اهم من الوصية بالامة وحفظ كيانها من الضياع ؟!

ام يقالﷺ فوجئ باجله قبل ان يفكر بمستقبل الامة وقبل ان يستعد للتخطيط للبديل مهما كان شكله وصيغته وهو الذي نعى نفسه مراراً وصرح بقرب وفاته في حجة الوداع وحينما قال: (ان جبرائيل كان يعارضني بالقرآن في السنة مرة وعارضني في هذه السنة مرتين وما ذلك الا لدنو اجلي).

ام يقال ﷺ لم يكن حريصاً على الامة ولا مهتماً بأمرها فلتواجه قدرها بنفسها ولو آل امرها الى الفناء ولتذهب اتعابه سدى (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً) وهذا لا يصدر من ابسط الناس فالراعي لا يترك غنمه اذا خرج لحاجة او سفر حتى يعين لها راعياً ولم يفعلها الخلفاء من بعده فالاول نص على الثاني وهو يقول اني اخشى ان القى الله وقد تركت امة محمدﷺ دون ان اولي عليها احداً وجعل الثاني الأمر شورى بين ستة من اصحاب رسولﷺ وقد ارسلت اليه ام المؤمنين عائشة بعدما طُعِن: ان اوصِ من يخلفك ولا تترك امة محمد بعدك هملاً وبدون راع.

فكيف برسول ﷺ اكمل العقلاء وسيد الحكماء وهو يرى بعينه الاخطار المحدقة بالامة من الداخل والخارج ففي الداخل كان المنافقون والمرجفون في المدينة -على تعبير القرآن- والقائلون: (**لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ**) وقد ازدادت شوكتهم بعد الفتح حيث استسلم الكثير ممن يتربص بالاسلام وبنبيه السوء رضوخاً للأمر الواقع ولم يسلموا ولم يقتنعوا بالاسلام و(**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**) وكانوا يعارضون تصرفات رسول ﷺ علناً وينتقدونه ويشككون في صحة افعاله والشواهد على ذلك كثيرة كما في صلح الحديبية حينما منعوا رسولﷺ من التوقيع على وثيقة الصلح وعندما عارضوا الاحلال من الاحرام في متعة الحج وحينما منعوه من كتابة كتاب لا يضلون بعده ابداً في رزية يوم الخميس وحينما كانوا يصلّون نوافل

رمضان جماعة في المسجد وقد نهاهمﷺ عن ذلك مراراً وحينما تخلفوا عن جيش اسامة رغم لعنهﷺ للمتخلفين عنه[١].

مضافاً الى ان الانتشار السريع للاسلام وقصر فترته بالنسبة لعظمة الوظيفة التي جاء من أجلها وهي نقل امة كاملة من حضيض الجاهلية وظلماتها الى نور الاسلام وسعادته ادّى الى وجود قاعدة عريضة في المجتمع لم تصل الى درجة كافية من فهم الرسالة واستيعابها والتفاعل مع تفاصيلها وهم معرضون للانهيار والهزيمة مع اول امتحان يواجههم في حالة غيابهﷺ وقد اخبره بذلك القرآن الكريم (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**) وهو ما وقع فعلاً حين ارتدت الجزيرة ولم يبق على الاسلام الا تلك الثلة القليلة في المدينة المنورة التي عركتها التجارب وصلبت عودها الامتحانات المتتالية مع رسول اللهﷺ وقد اشارت ام المؤمنين عائشة الى هذا الانحراف الذي حصل في مسيرة المسلمين عندما كانت تحرّض على الثورة ضد الخليفة الثالث عثمان، يروي الطبري[١] كانت السيدة عائشة من اشد الناس على عثمان حتى انها اخرجت ثوباً من ثياب رسول اللهﷺ فنصبته في

(١) راجع في استقصاء هذه الموارد كتاب (النص والاجتهاد) للسيد شرف الدين. (المصنف).

(١) تاريخ الطبري ٤٧٧/٣ وقد نقلناه عن كتاب (بنور فاطمة اهتديت)/١٩٠. (المصنف)

منزلها وكانت تقول للداخلين اليها: هذا ثوب رسول الله لم يبل وقد ابلى عثمان سنته وقالوا انها كانت اول من سمى عثمان نعثلاً (اسم احد اليهود بالمدينة) وكانت تقول: (اقتلوا نعثلا ! قتل الله نعثلاً) هذا ولم يمر على وفاة رسول الله ﷺ اكثر من عقدين من الزمان.

وكان في الداخل اليهود الذين لا ينسون لرسول الله ﷺ وللاسلام القضاء عليهم وتهجيرهم من ديارهم وقتل رجالهم وسبي نساءهم وزوال دولتهم ونفوذهم في المدينة لذلك كانت هجمة التشكيكات التي بثّوها في الامة بعد وفاته ﷺ واسئلتهم المتنوعة الكثيرة التي كانت تعجز خليفة المسلمين واصحاب رسول الله ﷺ فأصيب المسلمون بالاحباط والضعف والهزيمة امامهم وكانت حملة منظمة وليست اعتباطية ظهرت فجأة بعد غياب رسول الله ﷺ واقصاء الخليفة الحق الذي كان لهم بالمرصاد رغم ابعاده عن القيادة الدنيوية لكنه كان يرى مصلحة الدين واعلاء كلمة التوحيد فوق كل شيء حتى اشتهرت كلمة الخليفة الثاني (لا ابقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن) وما علمنا انه احتاج الى احد سواه[1].

ومن الخارج كان هناك المتربصون بالاسلام شراً الذين اعيتهم الحيل في القضاء عليه حيث بدأوا بتعذيب اصحابه ﷺ وقتلهم ثم حاصروه

(١) جعل الخليل بن احمد الفراهيدي ذلك دليلاً على امامته حينما سئل ما الدليل على امامة امير المؤمنين وخلافته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: احتياج الكل اليه وعدم احتياجه للكل. (المصنف)

ومن معه في شعب ابي طالب اقتصادياً واجتماعياً ثم تآمروا على قتله فهاجر الى المدينة وبات علي في فراشه ثم جهزوا الجيوش لقتاله واستئصال امره فلم يفلحوا في القضاء عليهﷺ ولم يبق امامهم الا نهاية حياته لتموت دعوته بموتهﷺ بل حاول بعضهم فعلاً اغتياله اكثر من مرة كمحاولة رؤساء بني عامر والمحاولة التي جرت اثناء مسيره الى تبوك حيث حاول بعض المتآمرين تنفير ناقتهﷺ ليلقوه من السفح وتتقطع اوصاله وقد اعلمﷺ الصحابي حذيفة بن اليمان باسمائهم حتى سمي صاحب سر رسول اللهﷺ وكان الخليفة الثاني لا يصلي على احد حتى يصلي حذيفة ليعلم انه ليس من المنافقين.

وفي الخارج كانت ايضاً الدولتان الرومية والفارسية اللتان بدأتا تفكران جدياً في امرهﷺ بعد ان غطى نوره الجزيرة كلها من اليمن جنوباً الى تخوم الشام والعراق شمالاً بل انهﷺ بدأ التحرش بالدولة الرومية في معركة مؤتة وغزوة تبوك وارسل الرسائل اليهم يدعوهم الى الاسلام بلهجة الواثق بالنصر والمستعلي عليهم (أسلم تسلم).

كل هذه المصاعب والتحديات التي تواجه الامة بعد وفاتهﷺ كانت نصب عينهﷺ وهو صاحب القلب الرحيم الذي نذر حياته لله تبارك وتعالى ولاصلاح الانسانية وانقاذها من الظلمات الى النور وقد وصفه القرآن الكريم (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**) فكيف يترك امر الامة سدى ؟!

(فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) و(فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) فهذا الاحتمال مرفوض قطعاً.

بقي احتمالان آخران تبنّت كل واحدٍ منهما طائفة من المسلمين.

الاول: وهو الذي التزم به العامة -ايكال الامر الى الامة نفسها فهي تختار من تشاء وهو مرفوض ايضاً لعدة وجوه:

١- قصور الأمة عن تحمل مثل هذه المسؤولية وقد عجزت عن اقل من هذا الامر عندما واجهت التحديات بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بعد ان نالت تربية اضافية خلال عقود من السنين ففي خلافة امير المؤمنين عندما بدأ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتقاتلون بينهم لم يعرفوا حكم هذه الحالة وقد نسب الى ابي حنيفة قوله (انه لولا قتال علي للبغاة من المسلمين لما عرفنا حكم قتالهم الى يوم القيامة) وبعد ذلك بعقود مرّت الدولة الاسلامية بازمة مع الدولة الرومية عندما ارادت ان تسك عملة فيها شتم نبي الاسلام وتتداول في بلاد المسلمين فانقذ الموقف الامام الباقر عليه السلام وهكذا ظلّت الامة عاجزة عن حل مشكلاتها لولا وجود الأئمة عليهم السلام حتى اكتملت التربية بعد (٢٦٠) عاماً بوفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام فدخلت الأمة مرحلة (وسطية) بين الوجود الفعلي للإمام والغيبة التامة فكانت الغيبة الصغرى التي استمرت (٧٠) عاماً لتبدأ الغيبة الكبرى بعد ان رسم الائمة عليهم السلام كل المعالم الرئيسية والخطوط العامة لمسيرة الأمة وقبل هذه المراحل المتتابعة من التربية كانت الأمة عاجزة وكان هذا العجز واضحاً في الصدر الاول للاسلام لقرب عهدهم

بالجاهلية الهمجية وقلة فترة الرسالة وانشغالهم عن استيعاب تفاصيلها كما عبّر الخليفة الثاني حينما سئل عن قلة استفادته من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (الهانا الصفق بالاسواق) ويقول بعضهم كنّا نغتنم فرصة مجيء الاعرابي يسأل من رسول الله صلى الله عليه وآله لنتعلم احكام ديننا فمع عجزهم عن هذه الامور الجزئية كيف يوكل اليهم أمر الامامة التي بها قوام الامة.

٢- لو كان لهذا الامر وجود لبين رسول الله صلى الله عليه وآله تفاصيله الى الامة فيوضح صيغة الاختيار ومن الذين لهم هذا الحق وما هي شروط المرشحين للامامة وضوابط الاختيار ومن هو الحاكم فيها عند الاختلاف وهكذا ونحن نعلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله لن يغفل عن ابسط تفاصيل الشريعة كآداب المائدة واحكام التخلي فكيف يغفل عن مسالة الامامة وهي اصل الشريعة وأساسها ؟! .

٣- عدم التزام نفس الخلفاء الذين اعقبوه بمبدأ الاختيار فالاول نص على الثاني، والثاني جعله بين ستة من المهاجرين فهل تراهم اول مخالفين لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله بل ان الخليفة الثاني يقر ويعترف (ان بيعة ابي بكر فلتة (او فتنة) وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه كائناً من كان).

٤- ان هذا المنصب العظيم له مؤهلاته الدقيقة التي لا يعلمها الا المطلع على الاسرار ومن لا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الارض واولها العصمة لاشمئزاز الناس من الاخذ ممن يتورط في الذنوب وكما يظهر من الآية الشريفة (**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي**

جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) انها مرتبة فوق النبوة والرسالة ولا يبلغها الرسول الا بعد اجتيازه لامتحانات عسيرة وقد ورد في تفسيرها ان الله اتخذ ابراهيم عبداً خالص العبودية اي معصوماً قبل ان يتخذه نبياً واتخذه نبياً قبل ان يتخذه رسولاً واتخذه رسولاً قبل ان يتخذه خليلا ثم ابتلاه ربه بكلمات فاتمهن ونجح في تلك الاختبارات فاستحق التكريم الالهي (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً).

وانت لو استقرأت الآيات الشريفة وجدتها تنسب الإمامة إلى الجعل الإلهي كالآية المتقدمة وقوله تعالى (**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ**) وقوله تعالى (**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**) وقوله تعالى (**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**) لذا قال تعالى: (**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**) (**لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**) وقد اشتهر استشهادهم بالآية الشريفة و(**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**) عند كل من يطلع عن كثب على سيرة اهل البيت عليهم السلام فكأنه مرتكز في اذهانهم جميعاً ان حمل الرسالة امر مجعول من قبل الله تبارك وتعالى وليس لاحد ان يتدخل فيه.

٥- ان رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه لم يعط لنفسه الحق في تنصيب من يلي الامة وانما اوكل الامر الى الاختيار الالهي ففي سيرة ابن هشام لما دعا الرسول بني عامر للاسلام وقد جاءوا في موسم الحج الى مكة قال

رئيسهم: أرأيت ان نحن بايعناك على امرك ثم اظهرك الله على من خالفك ايكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال النبيﷺ: (الامر لله يضعه حيث يشاء). اذا كان الامر كذلك فكيف يُدعى ايكاله الى الامة.

الثاني: ولم يبق الا الاحتمال الآخر وقد تبنته مدرسة اهل البيتعليهم السلام وارسى قواعده رسول الله ﷺ واستوعبه الصفوة من اصحابه ودافعوا عنه وصرحوا به رغم الوعيد والتهديد ومضوا عليه شهوداً وشهداء وهي بعد ذلك سنة الله التي جرت في انبيائه ورسله حيث كان لهم جميعاً اوصياء فلماذا لا يكون لرسول اللهﷺ وصي (**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ**) (**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً**) وقد الفت كتب عديدة في هذا المجال بعنوان (اثبات الوصية) وأشهرها للمسعودي وهذا المسلك يقتضي تهيئة الشخص البديل واعداده ليكون مؤهلاً لمواصلة وظائف ومسؤوليات الامام والخلافة والقيادة النائبة بشكل تام وكامل وفاعل.

وهذا الاحتمال يبدو منسجماً مع النتائج التي تمخضت عن التحليل السابق وفي ضوء القابليات والمؤهلات التي اجتمعت في امير المؤمنين[1] الذي قيل في كثرة فضائله: (لقد اخفى اولياؤه فضائله خوفاً واخفاها اعداؤه حسداً وحقداً وظهر ما بين ذلك ما ملأ الخافقين) وعن احمد بن

(١) وانا الى هنا اتكلم بشكل موضوعي ووفق الظروف المنظورة بعيداً عن النصوص واقيم سلوك رسول اللهﷺ كمؤسس امة ومنشئ مجتمع مدني جديد وقائد ناجح حكيم. (المصنف).

حنبل: (ما جاء لأحد من اصحاب رسول اللهﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن ابي طالب)[1] وكان تميزه واضحاً عن بقية اصحاب رسول اللهﷺ بكل صفات الكمال وكان التفاف الواعين المخلصين من اصحاب رسول اللهﷺ حوله معروفاً في حياة رسول اللهﷺ وبعد وفاتهﷺ كسلمان وابي ذر والمقداد وعمار وعزّز ذلك الرعاية الخاصة والاعداد المركز الذي كان يحيطه بهﷺ منذ نعومة اظفاره والتي وصفها امير المؤمنين نفسه بقوله: (وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وانا ولد يضمني الى صدره ويكنفني الى فراشه ويمسني جسده ويُشمُّني عَرفه. وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبةً في قول ولا خطلة في فعل. ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر أمه يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة.

وقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت يارسول الله ما هذه الرنة ! فقال هذا الشيطان أيس من عبادته. انك

(١) مستدرك الحاكم ١٠٧/٣ بحسب كتاب (بنور فاطمة اهتديت) /١٣٦. (المصنف)

تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير)[١] وهكذا هو منه صلى الله عليه وآله حتى فارقت روحه الدنيا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (ولقد علم المستحفظون من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله اني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعةً قط. ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الابطال وتتأخر فيها الاقدام نجدة اكرمني الله بها. ولقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وان راسه لعلى صدري ولقد سالت نفسه في كفيّ فأمررتها على وجهي. ولقد وليت غُسله صلى الله عليه وآله والملائكة اعواني، فضّجت الدار والافنية ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هينمة[٢] منهم يصلون عليه حتى وارياه في ضريحه. فمن ذا أحقُ به مني حياً وميتاً ؟)[٣].

ولقد ادى عليه السلام دوره بنجاح بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ الاسلام من الضياع وكان وجوده والأئمة من بنيه بحق اماناً للامة من الانحراف بحيث يستغيث الخليفة الثاني ويتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو الحسن[٤] فكانت خلافة امير المؤمنين لمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وامامة الخلق من بعده نتيجة طبيعية ومنطقية لتسلسل التفكير اعلاه لا يسع أي منصف ان يحيد

(١) نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده، ج٢ ص١٥٧. (المصنف)

(٢) الهينمة: الصوت الخفي. (المصنف)

(٣) نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده، ج٢ ص١٧١-١٧٢. (المصنف)

(٤) اشار الى كلمته المشهورة (لا ابقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن). (المصنف)

عنها، ولم يكن النص الذي سنشير اليه -وهو حديث الغدير- هو الذي جعل من علي عليه السلام اماماً وخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يناقشوا في دلالته والمراد منه لا لشيء الا لتصحيح الواقع الذي حصل بأي ثمن كان وبأية طريقة ولو بانكار وجود الشمس في رابعة النهار. فعلي عليه السلام هو الإمام بما حمله من صفات الكمال قبل النص وانما جاء النص للاشارة اليه ولتعريفه ولقطع العذر واتمام الحجة على المخالفين ولحسم الموقف ووضع النقاط على الحروف -كما يقولون-.

ولعظمة هذه المسألة وأهميتها فقد كان التخطيط والتمهيد لها يؤرق عين رسول الله صلى الله عليه وآله ويقضّ مضجعه فانه يخشى ردود الفعل من هذه الامة وهو خوف محمود كخوف موسى عليه السلام الذي ذكره القرآن واشرنا اليه ليس شخصياً وانما على مستقبل الامة التي هي جديدة عهد بالاسلام ومازالت رواسب الجاهلية لم تنمحِ من ذاكرتها ومازال التعصب يتحكم فيها فكيف يستطيع ان يضمن ولاءها لهذا القرار الهام الذي يصعب على النفوس الحالمة بالخلافة والقلوب المملوءة حسداً وحقداً على علي عليه السلام ان تنصاع اليه كذاك الفهري الذي ما ان سمع بحديث الغدير وتنصيب علي عليه السلام خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ومبايعة المسلمين له حتى جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له هذا الامر منك ام من الله فقال صلى الله عليه وآله انه من الله فقال: ان كان هذا من الله فأمطر علينا حجارة من السماء او أئتنا بعذاب اليم فما خرج منه صلى الله عليه وآله حتى نزلت عليه صاعقة من السماء وقد ورد انه

سبب نزول قوله تعالى: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ، لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ).

وبالمقابل كان صلى الله عليه وآله لا يستطيع السكوت عن انقاذ هذا الامر وهو يرى نهايته تقترب والاعداء يتربصون بدينه الدوائر فكيف يهدأ له بال ويقرّ له قرار قبل ان تنعقد البيعة لعلي عليه السلام.

حتى اذن الله تبارك وتعالى له بالتبليغ بل امره به وطمأنه من مخاوفه هذه بانه سيعصمه من الناس وبين اهمية هذا الامر بانه وحده في كفة وباقي الرسالة كلها في كفة فقال عز من قال (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**).

فليس غريباً ان تدرج هذه الآية المباركة وآية الولاية التي سبقتها (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**) في سورة المائدة التي يستشف المتأمل فيها ان غرضها تأسيس المجتمع المسلم وبيان مميزاته الرئيسية ومقوماته واسس كيانه وعرض نقاط الفرق بين المجتمع الذي يقوم على اساس الاسلام والمجتمع الذي ليس كذلك كائنا ما كان وان سمى نفسه مسلماً فانه في مفهوم القرآن (مجتمع جاهلي) فالبينونة بين المجتمعين كاملة في الاحكام (كآيات اوفوا بالعقود وحرمة الكلب والخنزير وغيرها) وفي من له حق الولاية (فقد تكررت كثيراً آيات ولاية المؤمنين والبراءة من الكافرين) وفي الشريعة التي تنظم الحياة (أفحكم الجاهلية يبغون، ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون، هم الظالمون، هم الفاسقون)

وتمامها وعقد نظامها آية التبليغ وآية الولاية.

ثم جعل يوم الحسم هذا اعظم عيد في الاسلام ففيه كمل الدين وتمت النعمة بعقد البيعة والولاية لامير المؤمنين وامتنَّ الله تبارك وتعالى على عباده بذلك فقال عز من قائل (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**) وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله يتقبل التهاني بهذا الانجاز العظيم ويقول لاصحابه هنئوني هنئوني بابن عمي امير المؤمنين وافرد له خباءاً ليسلموا عليه ويبايعوا علياً خليفة من بعده وأميراً للمؤمنين واستأذنه شاعره حسان بن ثابت ان يقول شعراً في المناسبة فاذن له فأنشأ:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم فأسمعْ بالرسول مناديا

وفيها يقول:

فقال له: قم يا علي فانني رضيتك من بعدي اماماً وهادياً

واول من سلم عليه الشيخان وهما يقولان له: بخٍ بخٍ لك يابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة وقد نظم هذه الحقيقة التاريخية الدامغة اجيال من الشعراء جيلاً بعد جيل ومنهم عمرو بن العاص الخصم الالد لعلي بن ابي طالب في قصيدته الجلجلية التي بعثها الى معاوية يذكره ببعض الحقائق التي تناساها ومما جاء فيها:

وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مخصصة في علي
فانحلله امرة المؤمنين من الله مستخلف المنحل
وقال فمن كنت مولى له فهذا له اليوم نعم الولي
فبخبخ شيخك لما رأى عُرى عقد حيدر لم تحلل
فقال: وليكم فاحفظوه فمدخله فيكم مدخلي

(راجع كتاب الغدير في ترجمة عمرو بن العاص).

وقد جاء هذا البيان -خطبة الغدير- منه صلى الله عليه وآله متوّجاً لبيانات سابقة لا تقل عنه وضوحاً: (ان علياً مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي) وان: (علي مع الحق والحق مع علي) وانه عليه السلام وأهل بيته كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وانهم والقرآن صنوان لا يفترقان وثقلان ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي ابدا وغيرها كثير.

ان عظمة هذا اليوم لها مناشئ عديدة فهو:

١- يوم الطمأنينة على بقاء الرسالة واستمراريتها بعد ان انتقل ارتباطها من شخص رسول الله صلى الله عليه وآله فيمكن ان تموت بموته الى نوع رسول الله صلى الله عليه وآله اي الى كل من تتجمع فيه صفات وشروط الامامة فلم يعد وجودها منوطاً بشخصه صلى الله عليه وآله.

٢- وهو يوم الانتصار النهائي على مكائد الاعداء الذين لم يبق في جعبتهم من سلاح الا موت رسول الله صلى الله عليه وآله لتنتهي دعوته.

٣- وهو يوم حماية الامة من التشتت ومن الضياع بتعيين الحبل الذي ان اعتصموا به بقي ريحهم وكيانهم وانتشر امرهم وعلت كلمتهم.

٤- وهو يوم صيانتها من الانحراف بعد ان نصب لهم العلم والمحور الذي يلتفون حوله.

٥- وهو يوم أمان الارض ومن عليها من الفناء لما ورد في الحديث: (ان الارض لا تخلو من حجة ظاهر او مستور ولولاه لساخت الارض باهلها).

٦- وهو يوم الهداية الى الدين ووضوح الحق بمعرفة الحجة كما في الدعاء: (اللهم عرفني نفسك فانك ان لم تعرفني نفسك لم اعرف رسولك، اللهم عرفني نبيك فانك ان لم تعرفني نبيك لم اعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فانك ان لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني).

٧- وهو يوم الامامة التي هي اس الاسلام وسنامه فهو لا يقل اهمية عن يوم البعثة النبوية الذي انبثق فيه نور الاسلام.

لأجل هذا كله كان يوم الغدير اعظم عيد في الاسلام كما نطقت به الروايات الشريفة وفي ذلك اليوم تبلورت فكرة (التشيع) ونضجت ثمارها واينعت بعد ان كان قد زرع بذورها رسول الله صلى الله عليه وآله في مناسبات عديدة ابتداءاً من يوم الدار وانذار عشيرته الاقربين في اوائل البعثة الشريفة ولهج رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الاسم المحبب له ولأهل بيته (صلوات الله عليهم اجمعين) في مناسبات عديدة انقل بعضها من كتب العامة ليكون الخطاب ابلغ في الحجة:

١- في الدر المنثور للسيوطي ج٨/ص٥٨٩: روى بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري قال كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فاقبل علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله: (والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة) فنزل قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**).

٢- ابن حجر في الصواعق المحرقة الباب (١١) الفصل الاول: الآية الحادية عشرة:

عن ابن عباس قال: لما انزل الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**) قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (هم انت وشيعتك تأتون يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مقمحين).

٣- القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج٢ ص٦١.

عن ام سلمة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (علي وشيعته هم الفائزون يوم القيامة) ومن المصادر التي ذكرت هذه الرواية في تفسير الآية الشريفة: تفسير الطبري وروح المعاني وكفاية الكنجي الشافعي وغيرها[1].

لقد كان تخطيط رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا الأمر أي تعيين الخليفة والامتداد له على ثلاثة اشكال:

---

(١) هذه الموارد نقلتها بواسطة كتاب (بنور فاطمة اهتديت) للكاتب والمحامي السوداني عبد المنعم حسن/ص٤٩. (المصنف).

الأول: النص المباشر والواضح عليه وعدم ترك الأمر مجملاً تتقاذفه التأويلات والتفسيرات، وقد تقدم فيما مضى فكرة عنه وانصح بقراءة كتاب (المراجعات) للسيد شرف الدين للاطلاع على المزيد من الادلة والنصوص ببيان قوي وحجة دامغة مما لو دخلت فيه سأخرج عن الاتجاه العام الذي رسمته لهذا البحث.

الثاني: الاشادة بالاشخاص المخلصين الواعين الذين يعلمﷺ منهم انهم ثابتون علىالخط وواعون للهدف وراسخون في المبدأ ولا تأخذهم في الله لومة لائم ويقولون كلمة الحق مهما كان الثمن كسلمان والمقداد وابي ذر وعمار وذي الشهادتين وبلال الحبشي وأم ايمن وأم سلمة فكانﷺ يردد: (سلمان منّا أهل البيت) (ان الجنة لتشتاق الى أربعة: سلمان والمقداد وأبي ذر وعمار) (ما اظلّت الخضراء ولا اقلّت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر) (مليء عمار إيماناً من قرنه الى اخمص قدميه) و(أم ايمن امرأة من أهل الجنة) و(بلال من أهل الجنة) وقال لام سلمة (لست من أهل البيت لكنك على خير) فكانت هذه الاوسمة تخطيطاً منهﷺ للمستقبل اذا انقلبت الأمة على الأعقاب وتاهت بها السبل في بحر الظلمات فسيكون هؤلاء أعمدة نور تضيء لطلاب الحقيقة الدرب وتدلّهم على شاطئ الايمان وقد أدّوا دورهم وقالوا كلمة الحق فثبتوها في لوح التاريخ[1] لو كان هناك من يسمع بينما لم نسمع منهﷺ كلمة

(١) راجع كتاب الاحتجاج للطبرسي. (المصنف)

واحدة في اولئك الذين انحرفوا عن علي عليه السلام وخذلوه رغم ان منهم من كان له مواقف مشهورة كالزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص.

الثالث: وضع ضوابط يُعرف بها المستحقون لهذا الامر وتمييزهم عمّن هم ليسوا اهلاً له والذين يستخدمون اساليب لم يقم عليها دليل شرعي من اجلها تثبيت استحقاقهم او تشويه صورة اهل الحق وازالتهم عن موقعهم كما كانوا يقولون (ان قريش نظرت فاختارت وانها أبت ان تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم) و(ان فلان -وهو الاول- اسنّ من عليّ) و(ان علياً فيه دعابة) والله تبارك وتعالى يخاطبهم (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) ويقول تعالى (**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**) وقال تعالى (**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**) (**لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**) فما قيمة رأي احد واختياره كائناً من كان بعد قضاء الله تبارك وتعالى واختياره (**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**).

فبهذه المعايير والضوابط التي سنذكرها ان شاء الله تعالى تستطيع الامة ان تفرز هؤلاء المتطفلين مهما مارسوا من اساليب الخداع والتضليل، المتقمصين لأمرها بغير حق:

(فمنها) قوله تعالى (**لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**) والعهد هو الامامة لانها

جاءت جواباً على سؤال ابراهيم عليه السلام بعد جعله اماماً قال: (**وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**) وقد فُسّرت في الروايات الشريفة بمن سجد لصنم يوماً ما فان من فعل ذلك سفيه ولا يكون السفيه امام التقي كما في الحديث ويشهد له قوله تعالى (**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**).

(ومنها) قوله تعالى (**لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا**).

(ومنها) قوله صلى الله عليه وآله: (لا يلي امر هذه الامة طليق).

(ومنها) قوله صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها).

وقال صلى الله عليه وآله: (يا عمار تقتلك الفئة الباغية).

(ومنها) حشده صلى الله عليه وآله المعادين لخط الامامة وفيهم شيوخ قريش في جيش اسامة ذي السبعة عشر ربيعاً ولعنه من تخلف عن جيش اسامة وامر بانفاذه فوراً وكان ذلك منه صلى الله عليه وآله لاخلاء الساحة من الذين لا ينصاعون لامامة امير المؤمنين عليه السلام وبملاحظة هذه المعايير والضوابط تكتشف كيف خطط رسول الله صلى الله عليه وآله لحصر الامر بعلي عليه السلام فبعض المتصدين ممن اغضب فاطمة(عليها السلام) وماتت وهي واجدة عليهم كما اشهدتهم صلوات الله عليها على ذلك فنالوا بذلك غضب الله تبارك وتعالى وهل يلي امر الامة احد من المغضوب عليهم ثم هم من الظالمين الذين سجدوا للاصنام ردحاً طويلاً من الزمن فلا ينالهم عهد الله تعالى

فكيف يكون احدهم اماماً لمن كرم الله وجهه عن ذلك -كما يعترفون- وهم ايضاً ممن تخلفوا عن جيش اسامة فينالهم حكمه.

وبعضهم لم يقاتلوا لا قبل الفتح ولا بعده وهزائمهم في الحروب معروفة ومنهم من ولّى منهزماً في معركة احد لا يلوي على شيء ثلاثة ايام حتى بلغ تخوم الشام فقيل له ان الامر لا يستحق ذلك وقد عاد رسول الله صلى الله عليه وآله سالماً الى المدينة.

ومعاوية ومروان ممن اسلموا بل استسلموا بعد الفتح فلا يستوون مع من آمن وانفق من قبل الفتح وقاتل وهم من الطلقاء فلا يحق لهم ولاية امر الامة. وهم من البغاة لانهم قتلوا عماراً في صفين فكيف يلي امر الامة باغٍ اثيم.

فلو كانت الامة واعية لتلمست طريقها بوضوح حيث لم يترك لها رسول الله صلى الله عليه وآله عذراً فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله عاطفياً وبدافع الحب لابنته حين قال هذا الكلام وهل سمعت باحد غيور يرتقي المنبر ويثني على مزايا ابنته ؟! لا طبعاً خصوصاً في مثل رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يصفه القرآن (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى). وانما المسألة ابعد من ذلك انه يريد ان ينصب لهم ميزاناً يعرفون به الحق والباطل لو اختلطا عليهم وان كان الامر واضحاً لكن قلبه الكبير ورحمته ورأفته بالامة أبت الا ان يوالي الحجج على هذه الامة وينصب لها العلامات تلو العلامات حتى وهو على فراش المرض في رزية الخميس كما يسميها ابن عباس.

ولانهﷺ كان يعلم ان اساليب التضليل كثيرة ووسائل الضغط قوية وشرسة، فالنص -وهو الشكل الاول من التخطيط- يُؤوَّل ويُحرَّف وهذه الثلة المخلصة -وهو الشكل الثاني- يُضيَّق عليها وتحبس انفاسها فابو ذر ينفى الى الربذة حتى يموت غريباً وعمار وعبد الله بن مسعود يداس بطنه وتوجئ عنقه وام ايمن امراة اعجمية لا تقبل لها شهادة والحسن والحسين طفلان صغيران وعليّ يجر النار الى قرصه فلا تقبل له ولا لولديه شهادة، والزهراءعليها السلام تتجرع الآلام غصة بعد غصة حتى لحقت بأبيها بعد ايام وهكذا ...، لذا كان الشكل الثالث من التخطيط ضرورياً ليكون شاهد عدل مدى الاجيال، تملأ افواه مزوري الحقائق بالتراب.

ولعلك تعجب مع وضوح هذا التخطيط وقوة الحجج المتوالية التي لم تنقطع حتى وفاتهﷺ واذا بالامر يزول عن مستقره ويتقمص الخلافة غير عليعليه السلام وهو يعلم ان محل ابن ابي طالب منها محل القطب من الرحى ينحدر منه السيل ولا يرقى اليه الطير[1].

وانه لعجيب فعلاً ولو لم يكن حقيقة ثابتة اجمع عليها المؤرخون لما صدّقنا به وقد اوجدت في عين امير المؤمنين قذى وفي الحلق شجى وفي القلوب جمرة لا تطفأ الى يوم القيامة حتى ينتصف المظلوم من الظالم، ونعم الحكم الله والخصم محمدﷺ، يقول الامام الصادقعليه السلام بهذا

(١) من كلمات لأمير المؤمنين (عليه السلام) الخطبة الشقشقية في نهج البلاغة. (المصنف)

الصدد: (ان حقوق الناس تثبت بشهادة شخصين وقد انكر حق جدي امير المؤمنين وعليه سبعون الف شاهد كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خم).

وعلى اية حال فليست هذه الحالة فريدة في التاريخ بل هي تتكرر كلما تكررت ظروفها الموضوعية وما دامت النفس الامارة بالسوء الميالة لاتباع الهوى واشباع الشهوات والنزوع الى التسلط وحب الجاه وقد عشنا مثلها فالى الله المشتكى.

والذي اريده من هذا البيان ليس فقط ترسيخ هذه العقيدة والدفاع عنها وان كان هذا مطلباً مهما لكني بالاضافة اليه اقول ان العلماء وعلى رأسهم المرجعية الشريفة هم ورثة الانبياء ليس فقط في الحقوق والامتيازات وانما في الوظائف والمسؤوليات والواجبات خصوصاً وقد امرنا بالتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله بقوله تعالى (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**).

ومن تمام التأسي والوراثة اعداد البديل بغض النظر عن كونه واحداً او اكثر وتربيته وتأهيله لهذا المنصب الالهي الشريف واي تقصير فيه غير مغتفر لا عند الله سبحانه ولا عند رسوله صلى الله عليه وآله ولا اوليائه العظام ولا عند المجتمع وبعد ان يطمأن الى اكمال اعداد البديل علمياً وفكرياً واخلاقياً وعقائدياً – وهي المقومات الاربعة لشخصية العالم الديني بل كل مسلم واعٍ مخلص – يجب ان يشير اليه صريحاً وهذا هو الشكل الاول من التخطيط.

واما الشكل الثاني فيؤدى بالاشادة بمجموعة من الفضلاء الورعين المخلصين من أهل الخبرة الذين يطمأن الى استقامتهم على الطريقة وانصافهم الحق ونزاهتهم في بيانه وبصيرتهم في الامور حتى يرشدوا المجتمع باخلاص وبلا لبس واجمال وغموض الى المرجع البديل.

واما الشكل الثالث ففيه صنفان من الضوابط والمعايير والشروط فمنها شروط ثابتة وهي الاجتهاد والعدالة وغيرها من المذكورات في الرسائل العلمية ومنها شروط متحركة بحسب الزمان والمكان والظروف الموضوعية التي تعيشها المرجعية الشريفة وهذه يجب طرحها بحسب الحاجة وفي وقتها المناسب. وهذا الكلام كله على نحو الاشارة والاجمال وللتفصيل محله المناسب.

هذا بالنسبة لتكليف المرجعية وفي مقابله توجد مسؤولية على الامة يجب ان تعيها وتؤديها وهي مطالبة المرجع بتعيين البديل فاذا عينه كان من واجبهم الالتفاف حوله والاشادة به ودلالة المجتمع عليه وقد تكاملت هذه التربية عند اصحاب الائمة عليهم السلام فكانوا يسألونهم (مَنْ الحجة بعدك) و(الى من المفزع اذا حدث حادث) وهكذا واذا ذهب امام فلم يكونوا يصدّقون كل من يدعي الامامة بل يجرون له الامتحانات التي لا ينجح فيها أي امام(١) كامتحانهم لجعفر اخ الامام العسكري عليه السلام الذي ادعى الامامة بعد اخيه عليه السلام.

(١) راجع كتاب اصول الكافي/كتاب الحجة. (المصنف)

ماذا خسرت الامة حينما ولت امرها من لا يستحق[١]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لو لا ان هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق والحمد لله الذي جعلنا من الموفين بعهده وميثاقه الذي واثقنا به من ولاية ولاة امره والقوّام بقسطه ولم يجعلنا من الجاحدين المكذبين بيوم الدين، وصلى الله على رسوله والائمة الميامين من آله وسلم تسليماً كثيراً.

كانت وفاة النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين الثامن والعشرين من صفر على ما هو المشهور فتكون رزية يوم الخميس كما سماه عبد الله بن عباس يوم الرابع والعشرين من صفر أي في مثل يوم امس وكانت رزية حقاً اذا انقطع في ذلك اليوم آخر أمل لتمسك الامة بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله في

(١) محاضرة القاها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على حشد من فضلاء وطلبة الحوزة العلمية يوم ٢٥ صفر ١٤٢٣ هجرية في مسجد الرأس الشريف مجاور الصحن الحيدري المطهر.

الامام والخليفة من بعده واعلنوا معارضتهم الصريحة والواضحة لهذا التعيين لذلك قالﷺ لاهل بيته: (انتم المستضعفون بعدي) واوصى امته بهم خيراً ولو كان يعلم ان الامر يؤول اليهم لما احتاج الى الوصية بهم وفي حديث للإمام الصادقعليه السلام يعبر فيه عن المه العميق من تضييع الأمة لبيعة يوم الغدير ولحق أمير المؤمنين فيقول: (ان حق الرجل يثبت بشاهدين وقد أضيع حق جدي أمير المؤمنين وعليه سبعون ألف شاهد)، ولا أريد ان أناقش أسباب هذا التضييع وإهمال الأمة لهذا الحق الذي أخذه الله على كل المؤمنين فلهذه المناقشة محل آخر لكنني اعتقد ان أحد هذه الاسباب والذي لا زال في ذهن الناس مما يقلّل من خطورة هذا التضييع هو القصور في فهم النزاع فقد فهموه على انه نزاع بين شخصين هما علي بن ابي طالبعليه السلام ومن نازعه الامر فهم لا ينكرون فضل عليعليه السلام وسابقته وجهاده وعلمه وقربه من رسول اللهﷺ وشجاعته وفنائه في الله لكنهم يرون ان المقابل ايضاً من السابقين إلى الاسلام وثاني اثنين اذ هما في الغار وصهر رسول اللهﷺ وبدري واحدي بل حاولوا تلفيق بعض المناقب ليساووه بامير المؤمنين أو يقتربوا منهعليه السلام وازاء هذه المقارنة لم يجدوا المسألة مهمة بهذه الدرجة ولا تستحق ان ينشق المسلمون الى طائفتين عظيمتين ولا جدوى في البحث فيها فقد اكل عليها الدهر وشرب.

ولو فهموها بصورتها الصحيحة لغيروا عقيدتهم ولما وجدوا أي تردد

في قبول المذهب الحق لان الخلاف ليس بين شخصين وانما بين مبدأين وخطين كان عليعليه السلام رمز الاول ومنافسه رمز الثاني:

الأول: مبدأ وخط رسمه الله تبارك وتعالى خالق السموات والارض العالم بخفيات الامور وبواطن النفوس وبما كان وسيكون واختاره للامة لتصل الى كمالها المنشود وبلّغه رسوله الكريمصلى الله عليه وآله في يوم الغدير يقف في اول الخط علي بن ابي طالبعليه السلام ومن بعده الحسنان سبطا رسول اللهصلى الله عليه وآله ومن بعده الائمة الطاهرون الذين اطبقت الامة على نزاهتهم وعلمهم وتمثيلهم الكامل للشريعة الالهية ومن بعدهم العلماء العارفون الاتقياء الصالحون حتى يرث الله الارض ومن عليها.

الثاني: خط يصنعه البشر باهوائهم واساليبهم الشيطانية من قهر واذلال أو اغراء بالمال أو ظلم وتعسف أو تضليل وتمويه وادعاءات باطلة وكان الآخر راس هذا الخط فقد اختارته قريش -كما يقول الخليفة الثاني- وليس الله الذي اختاره ويتتابع على هذا الخط معاوية الذي يقول: والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولتزكوا وانما لاتأمّر عليكم، ومن بعده يزيد شارب الخمر على منابر المسلمين والذي احرق الكعبة بالمنجنيق وقتل ريحانة رسول اللهصلى الله عليه وآله ومن بعده الاخرون الذين سفكوا الدماء وهتكوا الاعراض ونشروا الفساد وضلّوا واضلّوا (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) وعندما تعرض المقارنة بهذا الشكل ولو استوعبها الصحابة والاجيال جميعاً بهذا الشكل لما ترددوا في الايمان بصحة الخط الاول على انهم

غير معذورين من اول الامر لان القرآن صريح (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً**) وقال تعالى: (**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**) بل ان رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه لم يكن له هذا الحق حينما عرض عليه بنو عامر ان يسلموا مقابل ان يجعل لهم الامر من بعده فقال صلى الله عليه وآله: (ليس الامر لي وانما هو بيد الله يختار له من يشاء).

ومحل الشاهد اني اعتقد ان طرح الموضوع بهذا الشكل يكون اجدى واوضح ولكي نزيده وضوحاً نطرح سؤالاً وهو ماذا خسرت الامة بتضييعها وصية رسول الله صلى الله عليه وآله في الخليفة من بعده ؟ وماذا ترتب على هذا الاهمال من نتائج سلبية ؟ وحينما اتناول هذا البحث فاني لا اريد فقط ان اناقشها كقضية تاريخية وان كانت من الاهمية بمكان لابتناء اصل من اصول الدين وهو اصل الامامة عليها ولكن الذي اريده هي الاستفادة من هذا الدرس واستخلاص العبرة لان الامامة بالحمل الاولي وان كانت مختصة بالاسماء المعينة الا انها بالحمل الشايع اعني النيابة العامة عن الامام وولاية امر المسلمين المتمثلة بالمرجعية الشريفة مستمرة الى ان يرث الارض ومن عليها الامام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فاذن يبقى باب هذه النتائج السلبية التي سنتعرض لها باذن الله تعالى مفتوحاً لها كلها أو بعضها كلما ولت الامة امرها الى من لا يستحق فيكون

من الضروري الالتفات اليها فنعود الى اصل السؤال وهو ماذا خسرت الامة عندما ولت امرها غير صاحب الحق الشرعي وماذا ترتب على ذلك من نتائج سلبية:

النتيجة الأولى: تصدي اناس غير مؤهلين لامامة الامة فمن المعلوم ان اية رسالة واية ايديولوجية -بتعبير اليوم- لا بد ان يكون حاملها مستوعباً لها بشكل كامل فهماً وتطبيقاً بحيث تكون هذه العقيدة هي الموجهة له في كل سلوكه وتصرفاته وافكاره وعلاقاته ولم يكن القوم كذلك وانما هم اناس عاديون كبقية افراد المجتمع ويوجد كثير غيرهم ممن استوعب الرسالة وجسدها في حياته خيراً منهم وقد كانوا يعترضون على رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته ويتمردون على اوامره حتى آخر حياته بتخلفهم عن جيش اسامة وعدم تلبية امره صلى الله عليه وآله حينما طلب قرطاساً في رزية يوم الخميس. وكانت الجاهلية تعيش في نفوسهم حيث قضوا اكثر عمرهم فيها وقد كشف عن عدم اهليتهم جهلهم وتخبّطهم في الامور ويصف امير المؤمنين امرتهم المنحرفة في الخطبة الشقشقية (فواعجباً !! بينما هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته -لشدَّ ما تشطر ضرعيها- فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها -أي تجرح جرحاً عظيماً- ويخشُنُ مسُّها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خَرَم وان اسلس لها تقحَّم، فمني الناس لعمر الله بخَبَطٍ وشماس - وهو اباء الفرس عن ركوب ظهره- وتلون واعتراض - أي سير

غير مستقيم). حتى قال الثاني (كل الناس افقه من عمر حتى ربات الحجال) بعد ان نهى عن زيادة المهر عن حد معين فاجابته امرأة: اما سمعت قوله تعالى (**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**) وقد أشكلت عليهم الكثير من المسائل حتى الاعتيادية منها التي كانت تكرر في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله كالصلاة على الجنائز ولما سئل الثاني عن سبب قلة استفادتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الهانا الصفق بالاسواق، وكانوا يشككون حتى بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وعصمته فيقول له احدهم وجهاً لوجه: (انت الذي تزعم انك رسول الله) أو يقولون عنه (ان الرجل ليهجر).

في مقابل ذلك كان هناك شخص يعدّه رسول الله صلى الله عليه وآله اعداداً خاصاً لكي يتسلم هذا الموقع ذاك هو علي بن ابي طالب عليه السلام فاستمع اليه يتحدث عن هذه التربية الخاصة (ولقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا ولد يضمني الى صدره ويكنفني الى فراشه ويمسّني جسده ويشمُّني عَرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلةً في فعل) الى ان قال عليه السلام (ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة،

وقد سمعتُ رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله ما هذه الرنّة فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير) وفي نهاية خطبة مماثلة اخرى يسأل عليه السلام مستنكراً: (فمن ذا احق به مني حياً وميتاً).

هكذا كان يتم تهيئة الامامة البديلة اما هؤلاء فلم يتلقوا شيئاً من ذلك لذا فقد افرز تصدي هؤلاء غير المؤهلين عدة آثار خطيرة:

١- تشوّه صورة الاسلام نفسه لان كثير من الامم والشعوب دخلت الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فهي لم تأخذه من مصدره وانما نقل لها عبر كلام وسلوك اصحابه ولما كان هؤلاء غير مؤهلين لتمثيل الاسلام بصورته النقية الكاملة ولم يعرف المسلمون الجدد غير هذه الصورة المعروضة امامهم فَتَبنّوها على انها الاسلام الحقيقي وتزايد هذا البعد عن الاسلام بمرور الزمن حتى صرت ترى اقواماً لا تفقه من الاسلام شيئاً غير الاسم وبعض الشكليات.

٢- تجرّي اعداء الاسلام خصوصاً اليهود عليه وما كانوا يستطيعون ان يظهروا شيئاً منه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لعدم وجود ثغرة يمكن ان يدخلوا منها اما وقد تصدى لهذا الموقع العظيم ناس غير مؤهلين لهذا الموقع ويمكن التغلب عليهم واحراجهم فمن السهولة اذن هز ثقة المسلمين بدينهم بتكرر الفشل من قادتهم وبالنتيجة تخليهم عن هذا الدين فلم يكن من الغريب حصول هذه الهجمة العنيفة من الامتحانات

العسيرة والمتنوعة التي احرج بها اليهود الخليفة الاول والثاني وتزعزعت ثقة المسلمين وشعروا بالاحباط وكادوا يرتدون لولا وجود امير المؤمنين عليه السلام بالمرصاد الذي كان يجيبهم على كل اسئلتهم ويرد كيدهم الى نحورهم.

٣- انفتاح باب الطمع بهذا المنصب الشريف لكلّ محبي الرئاسات والجاه واتباع الهوى بعد ان اصبح نيله ليس بالاستحقاق وفق معايير الرسالة وانما هو لمن غلب وقهر ولو بالسيف حتى اصبح مستساغاً ان يولي معاوية ابنه يزيد المعروف بالفسق والفجور على رقاب المسلمين.

النتيجة الثانية: فتح باب الاجتهاد مقابل النص أي الحكم والتشريع بالاراء الشخصية خلافاً للنص الالهي الحكيم وهو يعني ان الانسان ينصب نفسه مشرعاً والهاً يطاع في مقابل الوهية الله تبارك وتعالى الذي هو وحده له حق التشريع والحاكمية وهو ما رفضه الله تبارك وتعالى رفضاً قاطعاً وجعل كل حكم وتشريع ليس مستنداً الى الشريعة المقدسة جاهلية فقال تعالى: (**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، وفي آية اخرى الظَّالِمُونَ وفي ثالثة الْفَاسِقُونَ**) وكان من شروط الايمان الكامل: التسليم والاذعان لحكم الله تعالى (**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**) لكن القوم فتحوا باب الاجتهاد واسعاً ولم يكترثوا كثيراً للنص الشرعي لعدة اسباب:

١- جهلهم وعدم اطلاعهم الكامل على احكام الشريعة فراحوا

يستنبطون من انفسهم ما يسد نقصهم.

٢- لاجل المحافظة على الاغراض والمصالح التي ارادوها فلا بد من تعطيل النصوص التي تتعارض مع المنهج الذي اختطوه وتبرير الافعال المخالفة بصراحة لحكم الله تبارك وتعالى.

٣- تغييب الممثل الحقيقي واللسان الناطق بالشريعة.

وقد عطل هذا الاجتهاد الكثير من التشريعات التي كانت مصدر خير للامة وعلى رأسها الزواج المؤقت الذي قال عنه امير المؤمنين عليه السلام: (لولا نهي فلان عن المتعة ما زنى إلا شقي) وبالمقابل برّر هذا الاجتهاد أشنع المنكرات فمثل مالك بن نويرة الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة يُقتل ويدخل خالد بزوجته في نفس الليلة ويأتي جواب الخلافة ببرود: تأول خالد فأخطأ. ويخرجون لقتال إمام زمانهم بكل المقاييس التي عندهم في معارك طاحنة في الجمل وصفين وكله اجتهاد يؤجرون عليه وان أخطأوا فلهم اجر واحد.

وقد تأصل هذا الاجتهاد فيما بعد وتعمق ووضعوا له اصول وقوانيين وأصبحت مذاهب في مقابل مذهب الحق.

النتيجة الثالثة: عرقلة تربية الأمة وتكاملها فقد شاءت الإرادة الالهية ان ينقذ البشرية بهذه الرسالة المباركة من حضيض الجاهلية التعبة إلى سمو التوحيد وطهارة الايمان وسعادة الدارين وقد قدر لهذه المسيرة ان تتكامل لتنشأ امة متكاملة على يد رسول الله صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين من

آله لكن ابعاد الائمة عليهم السلام عن موقع قيادة المجتمع ادى إلى عرقلة هذه المسيرة وبطئها من عدة جهات:

١- ان من العناصر المهمة في التربية هو القدوة والاسوة الحسنة على تعبير القرآن لانه يمثل التطبيق للافكار التربوية فاذا غاب القدوة أو كان القدوة منحرفاً فلا ينفع الكلام مهما كثر ويبقى مجرد حبر على ورق والقوم لم يكونوا يمثلون قدوة حسنة ولم يستطيعوا عكس صورة نقية للسلوك الاسلامي بل انه على مرور الايام كان النموذج المعروض مناقضاً تماماً لتعاليم الاسلام فكيف نتوقع منه ان يربي الامة ويقودها نحو التكامل ففي حين يبقى في اخلاق الاسلام (لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى) يجد في التعامل تفضيل العرب على غيرهم الذي يسمونهم الموالي ويعتبرونهم مواطنين من الدرجة الثانية وبينما يقرأ في القرآن (**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**) يجد الخلافة تتبع اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله تحت كل حجر ومدر قتلاً وتشريداً وسجناً، وبينما يقرأ حرمة شرب الخمر في القرآن يجد الخليفة يشربه على منابر المسلمين ويتقيأه في محاربهم.

٢- فرص الانحراف الكثيرة التي توفرت للناس في ظل الخلافة المنحرفة والنفس بطبيعتها ميالة للشهوات مع غياب الرادع الذي يحصّن الامة من الانحراف وهم الذين عناهم الله تعالى: (**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**) وقد بدأت هذه النفوس

الامارة بالسوء تظهر في ايام الخلافة الاولى في وقت مبكر وبدأت الدنيا تنمو في قلوبهم واصبحت هذه الامتيازات والمصالح واقعاً ثابتاً لا يرضون بتغييره بحيث ان عبد الرحمن بن عوف الذي جُعل حكماً في امر تعيين الخليفة من بين الستة اهل الشورى يشترط على علي عليه السلام ان يبايعه بشرط ان يعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسيرة الشيخين، فما هي سيرة الشيخين التي يضمها عبد الرحمن إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله ؟ انها هذه الامتيازات الطبقية وهذه الدنيا المحضة التي وفرتها لهم الخلافة الاولى بحيث ان عبد الرحمن هذا وامثاله تركوا من الذهب ما يُكسر بالفؤوس –حسب ما ينقل التاريخ- ولم يكن امير المؤمنين عليه السلام ليوافق على هذا الشرط فيكون منه امضاءاً واعترافاً بهذه السيرة لان هذه السيرة ان كانت موافقة للكتاب والسنة فلا داعي لذكرها وان كانت مخالفة فارم بها عرض الجدار، فما الوجه لضمها إلى اصلي التشريع.

٣- الصورة المشوهة للشريعة التي كانت معروضة للامة من خلال العلماء والرواة المتزلفين للخلفاء والطامعين بما في ايديهم فكيف نتوقع من شخص لم يشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يطلع على مواقف علي عليه السلام مباشرة ان يوالي علياً ويتبعه وهو يسمع صحابياً يروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ان الاية الشريفة: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) نزلت في علي بن ابي طالب.

فلا نتوقع من اغلب المسلمين في الارض الا ان يحملوا هذه الصورة المشوهة للاسلام لانهم لم يسمعوا غيرها ولم يشاهدوا غيرها فكان طبيعياً ان يعتقدوا جازمين ان هذا هو الاسلام.

ومن هنا اقتضت الحكمة الالهية ان تغيب الامام الثاني عشر عليه السلام هذه المدة الطويلة إلى ان يأذن الله تعالى له بالظهور كل ذلك لتستمر تربية الامة مدة اطول ولتمر بتجارب وابتلاءات وتمحيصات اكثر حتى تصل إلى مستوى النضج والكمال المطلوب الذي يؤهلها لمواصلة مسيرة الكمال مع الامام المهدي عليه السلام بينما لو قدر لهذه الامة ان تتربى في احضان الائمة المعصومين عليهم السلام لوصلت إلى درجة الكمال قبل هذا التاريخ بكثير.

النتيجة الرابعة: تمزق الامة وتشتتها وتفرقها شيعاً واحزاب (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) وهذه نتيجة طبيعية للابتعاد عن الامامة الحقيقية لان سر تشريع الامامة هو تحصين الامة من التمزق والانحراف كما قالت الزهراء عليها السلام في خطبتها الشهيرة بعد وفاة ابيها صلى الله عليه وآله: (وجعل امامتنا نظاماً للملة) أي تنتظم بها امورهم وتستقر وقال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)(فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) وحبل الله الممدود من السماء إلى الارض هما الثقلان كتاب الله وعترة رسوله صلى الله عليه وآله -كما بينت في شكوى القرآن- مضافاً إلى ان هذا الموقع بعد ان خرج عن مستقره وابعد عنه اهله اصبح مطمعاً لكل حالم به وشهوة التسلط اقوى الشهوات

وفيها استجابة للانانية واستكبار النفس فمن الطبيعي ايضاً ان تكثر الصراعات حول هذا المنصب وتداس في خضم هذا الصراع كل القيم والاخلاق وتكفي وقفة تأمل واستطلاع بسيط للتاريخ لنقرأ بكل اسف والم يفتت القلوب الماسي التي جرها التنازع على السلطان والخسائر الفادحة في الانفس والاعراض والاموال التي هدرت في هذا الصراع فمن الذي يتحمل هذه المسؤولية ومن الذي فتح هذا الباب على المسلمين وماذا يجني من يحدث هذا الفتق في امة الاسلام وخير معبر عن هذه الالام وهذه الخسائر احد الادعية الواردة في لعن اعداء آل محمد صلى الله عليه وآله والبراءة منهم إلى ان يقول: (اللهم العنهم بعدد كل منكر آتوه وحق اخفوه ومنبر علوه ومؤمن ارجوه ومنافق ولّوه وولي آذوه وطريد آووه وصادق طردوه وكافر نصروه وامام قهروه وفرض غيروه واثر انكروه وشر آثروه ودم اراقوه وخير بدلوه وكفر نصبوه وارث غصبوه وفيئ اقتطعوه وسحت اكلوه وخمس استحلوه وباطل اسسوه وجور بسطوه ونفاق اسروه وغدر اضمروه وظلم نشروه ووعد اخلفوه وامان خانوه وعهد نقضوه وحلال حرموه وحرام احلوه وبطن فتقوه وجنين اسقطوه وضلع دقوه وصك مزقوه وشمل بددوه وعزيز اذلوه وذليل اعزوه وحق منعوه وكذب دلسوه وحكم قلبوه، اللهم العنهم بكل آية حرفوها وفريضة تركوها وسنة غيروها ورسوم منعوها واحكام عطلوها وبيعة نكثوها ودعوة ابطلوها وبينةٍ انكروها وحيلة احدثوها وخيانة اوردوها وعقبة ارتقوها وشهادات

كتموها ووصية صنعوها).

ولو شئنا لذكرنا أمثلة وشواهد على كل فقرة لكنها مما لا تخفى على المطلع على التاريخ فأي قلب لا يذوب أسىً على ما سببه ذلك التضييع للحق الصريح.

النتيجة الخامسة: عزل الدين عن إدارة الحياة بكل أبعادها وتفاصيلها واقتصاره على الطقوس التعبدية والشؤون الفردية فقط فان القوم وان استطاعوا بالترغيب والترهيب ان يسلبوا السلطة الدنيوية من الامام عليه السلام الا انهم لا يستطيعون باي حال من الاحوال ان يسلبوا مكانته من القلوب وهيبته في النفوس ورجوع الناس اليه في شؤونهم الدينية هذا الانفصال الذي عبر عنه هرون الرشيد – كما يسمونه - لولده المأمون حينما استغرب من تكريمه للامام الكاظم عليه السلام بما لا نظير له فقال: (ويلك هذا امام القلوب وانا إمام الأبدان) والإمام وان سكت عن المطالبة بحقه في السلطة الدنيوية من اجل حفظ الاسلام وكيان المسلمين الا انه لا يمكنه باي حال من الاحوال التنازل لهم عن الامامة الدينية أو الاعتراف بهم وامضاؤهم كممثلين لهذه السلطة فان في ذلك خيانة لله ولرسوله وللاسلام على ان هذا الحق لا يتصور التنازل عنه فانه ليس امتيازاً أو موقعاً حتى يتخلى عنه، بل قدرة وقابلية على تلبية احتياجات الامة فكل من كان قادراً على ذلك ووجدت الامة حاجتها وآمالها وطموحاتها عنده اصبح اماماً وهكذا كان علي عليه السلام فما سمعنا انه احتاج إلى احد في شيء بل على العكس كانوا

يرجعون اليهم في مسائلهم ومشاكلهم وقراراتهم حتى اشتهر قول الثاني: (لا ابقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن). ولذا استدل بعضهم على امامة امير المؤمنين باحتياج الناس اليه واستغنائه عن الناس.

وهذا الفصل بين السلطتين ترسخ وتعمق وانعكس على الدين نفسه فاصبح مرتكزاً في الاذهان ان ادارة شؤون الحياة ليس من شؤون الامامة الدينية وان دورها يقتصر على العبادات وبعض الاحكام الشخصية والتقوا بذلك مع نظرة الجاهلية (ما لله لله وما لقيصر لقيصر) وهذا هو الشرك بعينه فان الملك كله لله وحده والحكم كله لله وحده وما من واقعة الا ولله فيها حكم، اترى ان الشريعة التي لم تغفل عن تنظيم ابسط التصرفات الحياتية كالتخلي والنوم والاكل والجماع ووضعت لها احكاماً وآداب فهل تغفل عن وضع انظمة وقوانين تنظم حياة المجتمع من جميع الجهات ؟ وهذه حقيقة دامغة لا تقبل الشك الا انهم لا يذعنون لها لعدة امور:

١- ان الشريعة لا تنسجم مع اهوائهم وانانيتهم وحبهم للاستئثار بالفيء وسائر الامتيازات وتتعامل مع الجميع على حد سواء.

٢- ان تحكيم الشريعة فيه اظهار لجهلهم وقصورهم وتقصيرهم وهو ما تأباه نفوسهم الامارة بالسوء.

٣- ان ذلك ايضاً يعني احتياجهم للامامة الدينية وبالتالي يعني تفوق اولئك عليهم واستحقاقهم لهذا الموقع بدلاً عنهم.

النتيجة السادسة: حدوث الانفصال بين الامة والخلافة لان الامر لم يعد في نظر المتصدين امر اصلاح وهداية وتكميل النفوس ونيل رضا الله تبارك وتعالى حتى تتعلق بهم الامة وتهفوا اليهم القلوب، بل زعامة وملك ومصالح واستئثار واستعلاء وقد عبر عنه القوم من اول يوم وهم بعد في السقيفة فكان لسانهم: انما السلطان سلطان قريش فلا ينازعنا فيه احد وكانت المسألة اوضح بالنسبة للاقوام الاخرى التي دخلت الاسلام وقد اشعروهم بان الخلافة ملك للعرب فاذا كان ملكاً عضوضاً وهم المستفيدون منه فما الذي يشد الامة اليهم وما الذي يحثهم عن الدفاع عنهم وما هي العلقة التي تربطهم بهم ؟ بل على العكس سادت روح الكراهية والحقد والانتقام كما حصل لابي لؤلؤة الفارسي غلام المغيرة بن شعبة الذي سأم من كثرة التعيير لقومه الفرس والاستهزاء بهم فثار لعنصريته ولعصبيته الجاهلية.

وبالمقابل كان هناك علي عليه السلام وبنوه الذين ملكوا القلوب فاستجاب الله تعالى بهم دعوة جدهم ابراهيم (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) والذي لم تستطيع الخلافة بكل جبروتها ان تنتزعه منهم، وقضية هشام بن عبد الملك واضحة في اذهانكم عندما عجز عن الوصول إلى الحجر لازدحام الناس فتنحى إلى زاوية في البيت الحرام وما ان قدم الامام السجاد عليه السلام حتى انفرج عنه الناس سماطين فمشى بكل وقار وهيبة حتى وصل إلى الحجر الاسود وهشام ينظر. وكان امير المؤمنين عليه السلام رغم

تواضعه بين اصحابه حتى كأنه احدهم الا ان له هيبة عظيمة في نفوسهم كما وصفه ضرار بن حمزة لمعاوية. وذاب اصحابهم في حبهم قربة إلى تعالى ووفاء لجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفاناً لحقهم عليهم وتحملوا في سبيل ذلك ما تقشعر منه الابدان فهذا ميثم بن يحيى التمار تقطع يداه ورجلاه ويصلب على جذع نخلة فيطلب من الناس الاجتماع حتى يحدثهم بفضائل امير المؤمنين عليه السلام فلم يمهله الفسقة حتى قطعوا لسانه، وهذا حجر بن عدي يؤخذ مقيداً إلى الشام ويحفر له القبر ويفرش له النطع ويؤمر بسب امير المؤمنين والا فالقتل ومعه ابنه فيختار ولاية امير المؤمنين عليه السلام ويقدم ابنه ليحتسبه عند الله تبارك وتعالى ولئلا يعظم على الابن قتل ابيه فيتراجع ثم قدم فقتل صابراً محتسباً، وهذا عمار بن ياسر يقاتل في صفين على كبر سنه ويقول: (والله لو ضربونا باسيافهم حتى ابلغونا سعفات هجر لعلمنا اننا على الحق وانهم على الباطل)، وأصحاب الحسين عليه السلام وما ادراك ما اصحاب الحسين عليه السلام الذين لم ير لهم نظير في الولاء والصدق والاخلاص والتضحية يقدم احدهم على الموت وهو مبتسم فيقال له ما عهدناك هازلاً قبل اليوم؛ قال: وكيف لا ابتسم وما بيني وبين معانقة الحور العين الا ان يميل عليَّ هؤلاء باسيافهم فالتحق بالاحبة محمد وصحبه.

النتيجة السابعة: تأخر ركب الحضارة الانسانية بحيث احتجنا إلى اربعة عشر قرناً لكي نصنع الطائرة والكومبيوتر ونغزو الفضاء وكان يمكن

لهذه الامور وغيرها مما لم يصل اليه العقل الانساني إلى الان ان تتحقق قبل مدة طويلة لان اليد الالهية واضحة التأثير في قيادة ركب الحضارة البشرية بفضل ما بثه الانبياء والائمة عليهم السلام من علوم أو من خلال الالهام والايحاء ولولا الرعاية الالهية لما استطاع الانسان ان يهتدي إلى ابسط الامور حتى دفن موتاه في التراب لا يعرفه حتى بعث الله له غراباً يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه وان القرآن الكريم ليضم اسرار ومفاتيح العلوم كلها فيه (**تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**) فيشير إلى غزو الفضاء بالوسائل العلمية (**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إلا بِسُلْطَانٍ**) وهو سلطان العلم والتكنولوجيا كل هذه الاسرار ومفاتيح العلوم كانت عند امير المؤمنين عليه السلام علمه اياه رسول الله صلى الله عليه وآله (علمني رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب من العلم ينفتح لي من كل باب الف باب من العلم) وان شئت الاطلاع على ما كان يمكن ان يقدمه على وبنوه عليهم السلام ليقدموا ركب الحضارة الانسانية وليوفروا لها السعادة والحياة الطيبة فراجع عدة كتب الفت في هذا المجال ولم يكن يحتاج إلى تطبيق معادلات وقوانين احتمالية أو يخوض تجارب طويلة حتى يصل الحقيقة بل كانت الحقائق العلمية كلها حاضرة في ذهنه يراها بالبصيرة والوجدان رأي العين فحفر الكثير من الابار والعيون واوقفها للمسلمين في وقت كان الاخرون يعجزون عن التعرف على مواقع وجود الماء فاين علم الجولوجيا من هذه المعرفة

الدقيقة بطبقات الارض وما تحتها من كنوز ومعادن وكان يقول: (لو شئت لاتخذت لكم من هذا الماء نوراً) يقصد توليد الطاقة الكهربائية من شلالات الماء، وغيرها الكثير في مختلف حقول العلم والمعرفة ثم جاء اولاده من بعده ليبثوا ما تسمح به الحال من علوم الكمياء والرياضيات والفلك والفيزياء والنبات والحيوان وغيرها.

فان قلت: اذن ما الذي حبسهم عن اعطاء هذه العلوم التي يحملونها إلى البشرية وهي مسألة لا تتعلق بتسلمهم موقع القيادة والامامة وعدمها.

قلت: ان التقدم المادي مرتبط تماماً بالتكامل الروحي من خلال البناء الصحيح للعقيدة ولا بد ان يتقدما معاً وان الاول بدون الثاني يصبح وبالاً على البشرية ويقودها نحو الدمار كالذي نشاهده اليوم ممن يسمون انفسهم بالقوى العظمى والدول الكبرى ولما كانت البشرية قد تخلفت وتدنت في الجانب الثاني وهو العقائدي والاخلاقي فلا يمكن اعطاءها من الجانب الاول الا بالمقدار الذي لا يكون خطراً عليها هكذا اقتضت الارادة الالهية ان يلهم الانسان بعض الافكار التي طورت حضارة البشر ودلته على اكتشافات وحقائق علمية مهمة في اوقاتها المناسبة وبالشكل الذي يحفظ توازن المجتمع الانساني (**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**) ولو كانت مستحقة للمزيد بالتزامها بخط الخلافة الالهية لما بخل عليها الله تبارك وتعالى بالعطاء فلا يغتر الانسان ويظن انه هو الذي يحقق ذلك بل هو من الهام الله تبارك وتعالى وايحائه وللعلماء والمكتشفين كلمات تدل

على ذلك ولو خليّ إلى نفسه لما عرف كيف يتخلص من موتاه بالدفن حتى علمه الغراب –كما ذكرنا–.

هذه بعض النتائج التي افرزها عدم التزام الامة بحديث الغدير واذا كانت الامور تعرف باضدادها كما قالوا فيمكن ان نعرف سمو المعاني والاثار التي نالها الملتزمون بولاية امير المؤمنين عليه السلام فحق لهم ان يحتفلوا بهذا العيد الاغر اعظم عيد في الاسلام، سئل الامام الصادق عليه السلام: هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والاضحى والفطر ؟ قال: نعم، اعظمها حرمة، قال الراوي واي عيد هو ؟ قال: اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله امير المؤمنين عليه السلام وقال: من كنت من مولاه فعلي مولاه) وفي حديث ابي نصر عن الرضا (صلوات الله عليه) قال: (يا ابن ابي نصر اينما كنت فاحضر يوم الغدير عند امير المؤمنين عليه السلام فان الله تبارك وتعالى يغفر لكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة ذنوب ستين سنة ويعتق من النار ضعف ما اعتق في شهر رمضان وليلة القدر وليلة الفطر، ولدرهم فيه بالف درهم لاخوانك العارفين. وافضل على اخوانك في هذا اليوم، وسر فيه كل مؤمن ومؤمنة، والله لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته لصافحتهم الملائكة في كل يوم عشر مرات).

ونحن كما تعودنا في مثل هذه الكلمات لا نستهدف فقط تثبيت العقيدة وترسيخها والدفاع عنها وان كان هذا في نفسه نفيساً الا انه مما لا يقل عنه اهمية اخذ الدروس والعبر منه وهنا تكمن روح العلم والمعرفة

فالعلم بلا عمل وبلا استفادة منه في الحياة لا قيمة له ونحن اذ توسعنا في فهم هذا الموضوع فسنطبق هذه التجربة على كل رسالة اصلاحية تعمل على هداية الناس وتكميل نفوسهم كالمرجعية الشريفة وهي لها شكلان:

الأول: المرجعية الفردية التي يقتصر عملها على استنباط الحكم الشرعي من دون العمل على تطبيقه ودفع المجتمع إلى امتثاله والامر راجع إلى المكلف ان شاء طبق أو لا ولا تتدخل الا في حدود الشؤون الفردية وما يبرئ ذمم المكلفين كافراد وهو عمل ليس بالهين وقد قاموا بجهود مضنية حفظت لنا فقه آل محمد صلوات الله عليهم اجمعين لكن هذا الشكل خارج عن موضوعنا لانحسار دورها عن الامامة الاجتماعية اصلاً.

الثاني: المرجعية الاجتماعية التي لا تكتفي بمستوى النظرية أي مجرد التقنين والتشريع وانما تعمل على تهيئة كل الفرص واتخاذ مختلف الاساليب لاقناع الناس بتطبيق الشريعة في كل تفاصيل حياتهم واذا لم تنفع وسيلة جربت اخرى، وقد شبهت الاولى بالام التي تهيئ الطعام لولدها المريض وتترك الباقي عليه ان شاء اكل وان شاء لم يأكل وقد لا يعرف مصلحته فيموت جوعاً. والثانية تشبه الام التي لا تكتفي باعداد الطعام بل تطيبه وتعمل كل المرغبات والمحفزات لولدها كي يأكل ويحفظ حياته ويستعيد عافيته ولا شك ان الثانية ارحم وأرأف واكرم واصبر من الاولى أو قل انها اكثر اتصافاً بالاسماء الحسنى التي ورد الحث على التخلّق بها.

وهذه المرجعية الثانية هي الاكثر التصاقاً بالناس واعمق تأثيراً فيهم والاكثر تعلقاً بهم وهي الاجدر بتمثيل دور المعصومين عليهم السلام فلا غرو ان تكون عرضة لطمع المتنافسين فاذا تصدى لها غير المؤهل لها وصنع (سقيفة) ثانية لابعاد مستحقيها ترتبت كل أو بعض الاثار التي ذكرناها ولا بد ان نستفيد من تلك التجربة لنكون واعين وحذرين من تكرارها وقد ذكرنا في محاضرتين بمناسبة عيد الغدير عام ١٤٢١ - وطبعت كمقدمة لكتاب اصل الشيعة واصولها للشيخ كاشف الغطاء- الاشكال الثلاثة التي خطط بها رسول الله صلى الله عليه وآله للخليفة من بعده وكيفية تأسي المرجعية به صلى الله عليه وآله في هذا المجال ومسؤولية الامة في صيانة هذا الموقع الشريف والتمسك بأهله فيكون هذا البحث مكملاً له ومما ذكرنا هناك ان لهذا الموقع شروطاً صنفتها إلى ثابتة ومتحركة والاولى هي التي دأبت على ذكرها الرسائل العملية اما المتحركة فتتغير تبعاً للظروف الموضوعية التي تعيشها المرجعية.

اللهم انا نشهدك.

انا ندين بما دان به محمد وآل محمد صلى الله عليه وعليهم، وقولنا ما قالوا ودیننا ما دانوا به، ما قالوا به قلنا وما دانوا به دنا وما انكروا انكرنا ومن والوا والينا ومن عادوا عادينا ومن لعنوا لعنا ومن تبرأوا منه تبرأنا منه ومن ترحموا عليه ترحمنا عليه

آمنا وسلمنا ورضينا واتبعنا موالينا صلوات الله عليهم،

اللهم فتمم لنا ذلك ولا تسلبناه واجعله مستقراً ثابتاً عندنا ولا تجعله مستعاراً وأحينا ما احييتنا عليه وامتنا اذا أمتنا عليه، آل محمد أئمتنا فبهم نأتم واياهم نوالي وعدوهم وعدو الله نعادي فاجعلنا معهم في الدنيا والآخرة ومن المقربين فانا بذلك راضون يا ارحم الراحمين

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

الملاحق

الملحق الاول

وصايا النبي صلى الله عليه وآله لابي ذر

(عن أبي الأسود قال قدمت الربذة فدخلت على أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه فحدثني أبو ذر قال دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله ص في مسجده فلم أر في المسجد أحدا من الناس إلا رسول الله ص وعليعليه السلام إلى جانبه جالس فاغتنمت خلوة المسجد فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أوصني بوصية ينفعني الله بها. فقال: نعم، وأكرم بك يا أبا ذر إنك منا أهل البيت وإني موصيك بوصية فاحفظها فإنها جامعة لطرق الخير وسبله فإنك إن حفظتها كان لك بها كفلان:

(يا أبا ذر اعبد الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك واعلم أن أول عبادة الله المعرفة به فهو الأول قبل كل شيء فلا شيء قبله والفرد فلا ثاني له والباقي لا إلى غاية فاطر السموات والأرض وما فيهما وما بينهما من شيء وهو الله اللطيف الخبير وهو على كل شيء قدير ثم الإيمان والإقرار بأن الله تعالى أرسلني إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ثم حب أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا واعلم يا أبا ذر أن الله عز وجل جعل أهل بيتي في أمتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن رغب عنها غرق ومثل باب حطة في بني إسرائيل من دخلها كان آمنا.

يا أبا ذر احفظ ما أوصيك به تكن سعيدا في الدنيا والآخرة.

يا أبا ذر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ.

يا أبا ذر اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك.

يا أبا ذر إياك والتسويف بعملك فإنك بيومك ولست بما بعده فإن يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم وإن لم يكن غدا لم تندم على ما فرطت في اليوم.

يا أبا ذر كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا لا يبلغه.

يا أبا ذر لو نظرت إلى الأجل ومسيره لأبغضت الأمل وغروره.

يا أبا ذر كن كأنك في الدنيا غريب أو كعابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور.

يا أبا ذر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك فإنك لا تدري ما اسمك غدا.

يا أبا ذر إياك أن تدركك الصرعة عند العثرة فلا تقال العثرة ولا تمكن من الرجعة ولا يحمدك من خلفت بما تركت ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به .

يا أبا ذر كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك.

يا أبا ذر هل ينتظر أحدكم إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مقعدا أو موتا مجهزا أو الدجال فإنه شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عالم لا ينتفع

بعلمه ومن طلب علما ليصرف به وجوه الناس إليه لم يجد ريح الجنة.

يا أبا ذر من ابتغى العلم ليخدع به الناس لم يجد ريح الجنة.

يا أبا ذر إذا سئلت عن علم لا تعلمه فقل لا أعلمه تنج من تبعته ولا تفت بما لا علم لك به تنج من عذاب الله يوم القيامة.

يا أبا ذر يطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار وقد دخلنا الجنة بتأديبكم وتعليمكم فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله.

يا أبا ذر إن حقوق الله جل ثناؤه أعظم من أن يقوم بها العباد وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ولكن أمسوا وأصبحوا تائبين يا أبا ذر إنك في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة ومن يزرع خيرا يوشك أن يحصد خيرا ومن يزرع شرا يوشك أن يحصد ندامة ولكل زارع مثل ما زرع لا يسبق بطيء لحظة ولا يدرك حريص ما لم يقدر له ومن أعطي خيرا فالله أعطاه ومن وقي شرا فالله وقاه.

يا أبا ذر المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالستهم الزيادة إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه صخرة يخاف أن تقع عليه وإن الكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه.

يا أبا ذر إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيرا جعل ذنوبه بين عينيه ممثلة والإثم عليه ثقيلا وبيلا وإذا أراد بعبد شرا أنساه ذنوبه.

يا أبا ذر لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيته.

يا أبا ذر إن المؤمن أشد ارتكاضا من الخطيئة من العصفور حين يقذف به في شركه.

يا أبا ذر من وافق قوله فعله فذاك الذي أصابه حظه ومن خالف قوله فعله فإنما يوبق نفسه.

يا أبا ذر إن الرجل ليحرم رزقه بالذنب يصيبه.

يا أبا ذر دع ما لست منه في شيء فلا تنطق بما لا يعنيك واخزن لسانك .كما تخزن ورقك.

يا أبا ذر إن الله جل ثناؤه ليدخل قوما الجنة فيعطيهم حتى يملوا وفوقهم قوم في الدرجات العلى فإذا نظروا إليهم عرفوهم فيقولون ربنا إخواننا كنا معهم في الدنيا فبم فضلتهم علينا فيقال هيهات هيهات إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون يظمئون حين تروون ويقومون حين تنامون ويشخصون حين تخفضون.

يا أبا ذر جعل الله جل ثناؤه قرة عيني في الصلاة وحبب إلي الصلاة كما حبب إلى الجائع الطعام وإلى الظمآن الماء وإن الجائع إذا أكل شبع وإن الظمآن إذا شرب روي وأنا لا أشبع من الصلاة.

يا أبا ذر أيما رجل تطوع في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة سوى المكتوبة كان له حقا واجبا بيت في الجنة.

يا أبا ذر إنك ما دمت في الصلاة فإنك تقرع باب الملك الجبار ومن يكثر قرع باب الملك يفتح له.

يا أبا ذر ما من مؤمن يقوم مصليا إلا تناثر عليه البر ما بينه وبين العرش ووكل به ملك ينادي يا ابن آدم لو تعلم ما لك في الصلاة ومن تناجي ما انفتلت.

يا أبا ذر طوبى لأصحاب الألوية يوم القيامة يحملونها فيسبقون الناس إلى الجنة ألا هم السابقون إلى المساجد بالأسحار وغير الأسحار.

يا أبا ذر الصلاة عماد الدين واللسان أكبر والصدقة تمحو الخطيئة واللسان أكبر والصوم جنة من النار واللسان أكبر والجهاد نباهة واللسان أكبر.

يا أبا ذر الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له نور يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك فيقول ما هذا فيقال هذا نور أخيك فيقول أخي فلان كنا نعمل جميعا في الدنيا وقد فضل علي هكذا فيقال له إنه كان أفضل منك عملا ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى.

يا أبا ذر الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وما أصبح فيها مؤمن إلا حزينا فكيف لا يحزن المؤمن وقد أوعده الله جل ثناؤه إنه وارد جهنم ولم يعده إنه صادر عنها وليلقين أعراضا ومصيبات وأمورا تغيظه وليظلمن فلا ينتصر يبتغي ثوابا من الله تعالى فلا يزال حزينا حتى يفارقها فإذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة.

يا أبا ذر ما عبد الله عز وجل على مثل طول الحزن.

يا أبا ذر من أوتي من العلم ما لا يبكيه لحقيق أن يكون قد أوتي

علما لا ينفعه إن الله نعت العلماء فقال عز وجل (**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ سُجَّداً ويَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولا ويَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ يَبْكُونَ ويَزِيدُهُمْ خُشُوعاً**).

يا أبا ذر من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليشعر قلبه الحزن وليتباك إن القلب القاسي بعيد من الله تعالى ولكن لا يشعرون.

يا أبا ذر يقول الله تعالى لا أجمع على عبد خوفين ولا أجمع له أمنين فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة.

يا أبا ذر لو أن رجلا كان له كعمل سبعين نبيا لاحتقره وخشي أن لا ينجو من شر يوم القيامة.

يا أبا ذر إن العبد ليعرض عليه ذنوبه يوم القيامة فيمن أذنب ذنوبه فيقول أما إني كنت خائفا مشفقا فيغفر له.

يا أبا ذر إن الرجل ليعمل الحسنة فيتكل عليها ويعمل المحقرات حتى يأتي الله وهو عليه غضبان وإن الرجل ليعمل السيئة فيفرق منها يأتي آمنا يوم القيامة.

يا أبا ذر إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقلت وكيف ذلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال يكون ذلك الذنب نصب عينيه تائبا منه فارا إلى الله عز وجل حتى يدخل الجنة.

يا أبا ذر الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع

نفسه وهواها وتمنى على الله عز وجل الأماني.

يا أبا ذر إن أول شيء يرفع من هذه الأمة الأمانة والخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعا.

يا أبا ذر والذي نفس محمد بيده لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة أو ذباب ما سقى الكافر منها شربة من ماء.

يا أبا ذر إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله وما من شيء أبغض إلى الله تعالى من الدنيا خلقها ثم عرضها فلم ينظر إليها ولا ينظر إليها حتى تقوم الساعة وما من شيء أحب إلى الله من الإيمان به وترك ما أمر بتركه.

يا أبا ذر إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى أخي عيسى ع يا عيسى لا تحب الدنيا فإني لست أحبها وأحب الآخرة فإنما هي دار المعاد.

يا أبا ذر إن جبرئيل عليه السلام أتاني بخزائن الدنيا على بغلة شهباء فقال لي يا محمد هذه خزائن الدنيا ولا تنقصك من حظك عند ربك فقلت حبيبي جبرئيل لا حاجة لي بها إذا شبعت شكرت ربي وإذا جعت سألته.

يا أبا ذر إذا أراد الله عز وجل بعبد خيرا فقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصره بعيوب نفسه.

يا أبا ذر ما زهد عبد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره بعيوب الدنيا ودائها ودوائها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام.

يا أبا ذر إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه فإنه يلقن الحكمة.

فقلت: يا رسول الله، من أزهد الناس فقال من لم ينس المقابر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه في الموتى.

يا أبا ذر إن الله تبارك وتعالى لم يوح إلي أن أجمع المال إلى المال ولكن أوحى إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

يا أبا ذر إني ألبس الغليظ وأجلس على الأرض وألعق أصابعي وأركب الحمار بغير سرج وأردف خلفي فمن رغب عن سنتي فليس مني.

يا أبا ذر حب المال والشرف أذهب لدين الرجل من ذئبين ضاريين في زرب الغنم فأغارا فيها حتى أصبحا فماذا أبقيا منها قال قلت يا رسول الله الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا أ هم يسبقون الناس إلى الجنة فقال لا ولكن فقراء المسلمين فإنهم يأتون يتخطون رقاب الناس فيقول لهم خزنة الجنة كما أنتم حتى تحاسبوا فيقولون بم نحاسب فو الله ما ملكنا فنجور ونعدل ولا أفيض علينا فنقبض ونبسط ولكن عبدنا ربنا حتى دعانا فأجبنا.

يا أبا ذر إن الدنيا مشغلة للقلوب والأبدان وإن الله تبارك وتعالى سائلنا عما نعمنا في حلاله فكيف بما أنعمنا في حرامه.

يا أبا ذر إني قد دعوت الله جل ثناؤه أن يجعل رزق من يحبني كفافا وأن يعطي من يبغضني كثرة المال والولد.

يا أبا ذر طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة الذين اتخذوا أرض الله بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا واتخذوا كتاب الله شعارا ودعاءه دثارا يقرضون الدنيا قرضا.

يا أبا ذر حرث الآخرة العمل الصالح وحرث الدنيا المال والبنون يا أبا ذر إن ربي أخبرني فقال وعزتي وجلالي ما أدرك العابدون درك البكاء وإني لأبني لهم في الرفيق الأعلى قصرا لا يشركهم فيه أحد.

قال، قلت: يا رسول الله أي المؤمنين أكيس.

قال: أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا.

يا أبا ذر إذا دخل النور القلب انفسح القلب واتسع قلت فما علامة ذلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

قالﷺ الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله يا أبا ذر اتق الله ولا تر الناس أنك تخشى الله فيكرموك وقلبك فاجر.

يا أبا ذر ليكن لك في كل شيء نية صالحة حتى في النوم والأكل.

يا أبا ذر لتعظم جلال الله في صدرك فلا تذكره كما يذكره الجاهل عند الكلب اللهم اخزه وعند الخنزير اللهم اخزه.

يا أبا ذر إن لله ملائكة قياما من خيفة الله ما رفعوا رءوسهم حتى ينفخ

في الصور النفخة الآخرة فيقولون جميعا سبحانك ربنا وبحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك أن تعبد.

يا أبا ذر لو كان لرجل عمل سبعين نبيا لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ ولو أن دلوا من غسلين صب في مطلع الشمس لغلت منه جماجم من في مغربها ولو زفرت جهنم زفرة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر جاثيا على ركبتيه يقول رب ارحم نفسي حتى ينسى إبراهيم إسحاق ويقول يا رب أنا خليلك إبراهيم فلا تنسني.

يا أبا ذر لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أطلعت من سماء الدنيا في ليلة ظلماء لأضاءت الأرض أفضل مما يضيئها القمر ليلة البدر ولوجد ريح نشرها جميع أهل الأرض ولو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم .

يا أبا ذر اخفض صوتك عند الجنائز وعند القتال وعند القرآن.

يا أبا ذر إذا تبعت جنازة فليكن عقلك فيها مشغولا بالتفكر والخشوع واعلم أنك لاحق به.

يا أبا ذر اعلم أن كل شيء إذا فسد فالملح دواؤه فإذا فسد الملح فليس له دواء واعلم أن فيكم قين الضحك من غير عجب والكسل من غير سهو.

يا أبا ذر ركعتان مقتصدتان في التفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه.

يا أبا ذر الحق ثقيل مر والباطل خفيف حلو ورب شهوة ساعة توجب

حزنا طويلا.

يا أبا ذر لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباعر ثم يرجع إلى نفسه فيكون هو أحقر حاقر لها.

يا أبا ذر لا تصيب حقيقة الإيمان حتى ترى الناس كلهم حمقى في دينهم وعقلاء في دنياهم.

يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب فهو أهون لحسابك غدا وزن نفسك قبل أن توزن وتجهز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى منك على الله خافية.

يا أبا ذر استح من الله فإني والذي نفسي بيده لا أزال حين أذهب إلى الغائط مقنعا بثوبي أستحي من الملكين الذين معي.

يا أبا ذر أ تحب أن تدخل الجنة قلت نعم فداك أبي قال ﷺ فأقصر من الأمل واجعل الموت نصب عينيك واستح من الله حق الحياء قال قلت يا رسول الله كلنا نستحي من الله قال ليس ذلك الحياء ولكن الحياء من الله أن لا تنسى المقابر والبلى وتحفظ الجوف وما وعى والرأس وما حوى ومن أراد كرامة الآخرة فليدع زينة الدنيا فإذا كنت كذلك أصبت ولاية الله.

يا أبا ذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح.

يا أبا ذر مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر.

يا أبا ذر إن الله يصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده ويحفظه في دويرته والدور حوله ما دام فيهم.

يا أبا ذر إن ربك عز وجل يباهي الملائكة بثلاثة نفر رجل في أرض قفر . فيؤذن ثم يقيم ثم يصلي فيقول ربك للملائكة انظروا إلى عبدي يصلي ولا يراه أحد غيري فينزل سبعون ألف ملك يصلون وراءه ويستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم ورجل قام من الليل فصلى وحده فسجد ونام وهو ساجد فيقول الله تعالى انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده ساجد ورجل في زحف فر أصحابه وثبت هو يقاتل حتى يقتل.

يا أبا ذر ما من رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها يوم القيامة وما من منزل ينزله قوم إلا وأصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم.

يا أبا ذر ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادي بعضها بعضا يا جارة هل مر بك من ذكر الله تعالى أو عبد وضع جبهته عليك ساجدا لله فمن قائلة لا ومن قائلة نعم فإذا قالت نعم اهتزت وانشرحت وترى أن لها الفضل على جارتها.

يا أبا ذر إن الله جل ثناؤه لما خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة فلم تزل الأرض والشجر كذلك حتى تكلم فجرة بني آدم بالكلمة العظيمة قولهم اتخذ الله ولدا فلما قالوها اقشعرت الأرض وذهبت منفعة الأشجار.

يا أبا ذر إن الأرض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحا.

يا أبا ذر إذا كان العبد في أرض قفر فتوضأ أو تيمم ثم أذن وأقام

وصلى أمر الله عز وجل الملائكة فصفوا خلفه صفا لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمنون على دعائه.

يا أبا ذر من أقام ولم يؤذن لم يصل معه إلا ملكاه اللذان معه.

يا أبا ذر ما من شاب ترك الدنيا وأفنى شبابه في طاعة الله إلا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صديقا.

يا أبا ذر الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارين.

يا أبا ذر الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء وإملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من إملاء الشر.

يا أبا ذر لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي ولا تأكل طعام الفاسقين.

يا أبا ذر أطعم طعامك من تحبه في الله وكل طعام من يحبك في الله عز وجل.

يا أبا ذر إن الله عز وجل عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ وليعلم ما يقول.

يا أبا ذر اترك فضول الكلام وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك

يا أبا ذر كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما يسمع.

يا أبا ذر ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان يا أ ذر إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وإكرام حملة القرآن العاملين وإكرام السلطان المقسط.

يا أبا ذر ما عمل من لم يحفظ لسانه.

يا أبا ذر لا تكن عيابا ولا مداحا ولا طعانا ولا ماريا.

يا أبا ذر لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما ساء خلقه.

يا أبا ذر الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة.

يا أبا ذر من أجاب داعي الله وأحسن عمارة مساجد الله كان ثوابه من الله الجنة.

فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كيف يعمر مساجد الله ؟

قال: لا يرفع فيها الأصوات ولا يخاض فيها بالباطل ولا يشترى فيها ولا يباع فاترك اللغو ما دمت فيها فإن لم تفعل فلا تلومن يوم القيامة إلا نفسك.

يا أبا ذر إن الله تعالى يعطيك ما دمت جالسا في المسجد بكل نفس تنفست فيه درجة في الجنة وتصلي عليك الملائكة ويكتب لك بكل نفس تنفست فيه عشر حسنات ويمحى عنك عشر سيئات.

يا أبا ذر أ تعلم في أي شيء نزلت هذه الآية (**اصْبِرُوا وصابِرُوا ورابِطُوا واتَّقُوا اللهَّ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**).

قلت: لا أدري فداك أبي وأمي قال في انتظار الصلاة خلف الصلاة.

يا أبا ذر إسباغ الوضوء في المكاره من الكفارات وكثرة الاختلاف إلى المساجد فذلكم الرباط.

يا أبا ذر يقول الله تبارك وتعالى إن أحب العباد إلي المتحابون من أجلي المتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك إذا أردت

بأهل الأرض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم.

يا أبا ذر كل جلوس في المسجد لغو إلا ثلاث قراءة مصل أو ذكر الله أو سائل عن علم.

يا أبا ذر كن بالعمل بالتقوى أشد اهتماما منك بالعمل فإنه لا يقل عمل بالتقوى وكيف يقل عمل يتقبل يقول الله عز وجل ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾.

يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه أمن حل أم من حرام.

يا أبا ذر من لم يبال من أين يكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار.

يا أبا ذر من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله عز وجل.

يا أبا ذر إن أحبكم إلى الله جل ثناؤه أكثركم ذكرا له وأكرمكم عند الله عز وجل أتقاكم له وأنجاكم من عذاب الله أشدكم له خوفا.

يا أبا ذر إن المتقين الذين يتقون من الشيء الذي لا يتقى منه خوفا من الدخول في الشبهة.

يا أبا ذر من أطاع الله عز وجل فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن.

يا أبا ذر ملاك الدين الورع ورأسه لطاعة يا أبا ذر كن ورعا تكن

أعبد الناس وخير دينكم الورع.

يا أبا ذر فضل العلم خير من فضل العبادة واعلم أنكم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ما ينفعكم ذلك إلا بورع.

يا أبا ذر إن أهل الورع والزهد في الدنيا هم أولياء الله تعالى حقا.

يا أبا ذر من لم يأت يوم القيامة بثلاث فقد خسر قلت وما الثلاث فداك أبي وأمي قال ورع يحجزه عما حرم الله عز وجل عليه وحلم يرد به جهل السفهاء وخلق يداري به الناس.

يا أبا ذر إن سرك أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله عز وجل وإن سرك أن تكون أكرم الناس فاتق الله وإن سرك أن تكون أغنى الناس فكن بما في يد الله عز وجل أوثق منك بما في يدك.

يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم (**ومَنْ يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ومَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهَّ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَّ بالِغُ أَمْرِهِ**) .

يا أبا ذر يقول الله جل ثناؤه وعزتي وجلالي لا يؤثر عبدي هواي على هواه إلا جعلت غناه في نفسه وهمومه في آخرته وضمنت السموات والأرض رزقه وكففت عنه ضيقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر.

يا أبا ذر لو أن ابن آدم فر من رزقه كما يفر ن الموت لأدركه كما يدركه الموت.

يا أبا ذر ألا أعلمك كلمات ينفعك الله عز وجل بهن قلت بلى يا

رسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله عز وجل وإذا استعنت فاستعن بالله فقد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فلو أن الخلق كلهم جهدوا أن ينفعوك بشيء لم يكتب لك ما قدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه فإن استطعت أن تعمل لله عز وجل بالرضا في اليقين فافعل وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا و النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا.

يا أبا ذر استغن بغنى الله يغنك الله فقلت وما هو يا رسول الله قال ص غداء يوم وعشاء ليلة فمن قنع بما رزقه الله فهو أغنى الناس يا أبا ذر إن الله عز وجل يقول إني لست كلام الحكيم أتقبل ولكن همه وهواه فإن كان همه وهواه فيما أحب وأرضى جعلت صمته حمدا لي وذكرا ووقارا وإن لم يتكلم.

يا أبا ذر إن الله تبارك وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وأقوالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

يا أبا ذر التقوى هاهنا التقوى هاهنا وأشار إلى صدره.

يا أبا ذر أربع لا يصيبهن إلا مؤمن الصمت وهو أول العبادة والتواضع لله سبحانه وذكر الله تعالى في كل حال وقلة الشيء يعني قلة المال.

يا أبا ذر هم بالحسنة وإن لم تعملها لكيلا تكتب من الغافلين.

يا أبا ذر من ملك ما بين فخذيه وبين لحييه دخل الجنة.

قلت: يا رسول الله وإنا لنؤاخ بما تنطق به ألسنتنا.

قال: يا أبا ذر وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم إنك لا تزال سالما ما سكت فإذا تكلمت كتب الله لك أو عليك .

يا أبا ذر إن الرجل يتكلم بالكلمة في المجلس لينصحكم بها فهوى في جهنم ما بين السماء والأرض.

يا أبا ذر ويل للذي يحدث ويكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له ويل له.

يا أبا ذر من صمت نجا فعليك بالصدق ولا تخرجن من فيك كذبا أبدا قلت يا رسول اله فما توبة الرجل الذي كذب متعمدا قال الاستغفار والصلوات الخمس تغسل ذلك.

يا أبا ذر إياك والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا قلت يا رسول الله ولم ذلك بأبي أنت وأمي قال لأن الرجل يزني ويتوب إلى الله فيتوب الله عليه والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها.

يا أبا ذر سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه من معاصي الله وحرمة ماله كحرمة دمه.

قلت: يا رسول الله وما الغيبة.

قال: ذكرك أخاك بما يكره.

قلت: يا رسول الله فإن كان فيه ذاك الذي يذكر به.

قال اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته وإذا ذكرته بما ليس

فيه فقد بهته.

يا أبا ذر من ذب عن أخيه المسلم الغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار يا أبا ذر من اغتيب عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فنصره نصره الله عز وجل في الدنيا والآخرة فإن خذله وهو يستطيع نصره خذله الله في الدنيا والآخرة.

يا أبا ذر لا يدخل الجنة قتات قلت وما القتات قال النمام.

يا أبا ذر صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله عز وجل في الآخرة.

يا أبا ذر من كان ذا وجهين ولسانين في الدنيا فهو ذو لسانين في النار.

يا أبا ذر المجالس بالأمانة وإفشاء سر أخيك خيانة فاجتنب ذلك واجتنب مجلس العشيرة.

يا أبا ذر تعرض أعمال أهل الدنيا على الله من الجمعة إلى الجمعة في يوم الإثنين والخميس فيستغفر لكل عبد مؤمن إلا عبدا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال اتركوا عمل هذين حتى يصطلحا.

يا أبا ذر إياك وهجران أخيك فإن العمل لا يتقبل مع الهجران.

يا أبا ذر أنهاك عن الهجران وإن كنت لا بد فاعلا تهجره فوق ثلاثة أيام .كملا فمن مات فيها مهاجرا لأخيه كانت النار أولى به.

يا أبا ذر من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار.

يا أبا ذر من مات وفي قلبه مثقال ذرة من كبر لم يجد رائحة الجنة إلا أن يتوب قبل ذلك.

فقال رجل يا رسول الله إني ليعجبني الجمال حتى وددت أن علاقة سوطي وقبال نعلي حسن فهل يرهب على ذلك.

قال: كيف تجد قلبك.

قال: أجده عارفا للحق مطمئنا إليه.

قال: ليس ذلك بالكبر ولكن الكبر أن تترك الحق وتتجاوزه إلى غيره وتنظر إلى الناس ولا ترى أن أحدا عرضه كعرضك ولا دمه كدمك.

يا أبا ذر أكثر من يدخل النار المستكبرون.

فقال رجل: وهل ينجو من الكبر أحد يا رسول الله.

قال: نعم، من لبس الصوف وركب الحمار وحلب الشاة وجالس المساكين.

يا أبا ذر من حمل بضاعته فقد برئ من الكبر يعني ما يشتري من السوق.

يا أبا ذر من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله عز وجل إليه يوم القيامة.

يا أبا ذر إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين كعبيه.

يا أبا ذر من رفع ذيله وخصف نعله وعفر وجهه فقد برئ من الكبر.

يا أبا ذر من كان له قميصان فليلبس أحدهما وليلبس الآخر أخاه.

يا أبا ذر سيكون ناس من أمتي يولدون في النعيم ويغذون به همتهم ألوان الطعام والشراب ويمدحون بالقول أولئك شرار أمتي.

يا أبا ذر من ترك لبس الجمال وهو يقدر عليه تواضعا لله عز وجل

في غير منقصة وأذل نفسه في غير مسكنة وأنفق ما جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن صلحت سريرته وحسنت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله.

يا أبا ذر البس الخشن من اللباس والصفيق من الثياب لئلا يجد الفخر فيك مسلكا.

يا أبا ذر يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم يرون أن لهم الفضل بذلك على غيرهم أولئك تلعنهم ملائكة السموات والأرض.

يا أبا ذر أ لا أخبرك بأهل الجنة.

قلت: بلى يا رسول الله.

قالﷺ كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره .

قال أبو ذر رضي الله عنه ودخلت يوما على رسول اللهﷺ وهو في المسجد جالس وحده فاغتنمت خلوته فقالﷺ:

يا أبا ذر إن للمسجد تحية.

قلت: وما تحيته يا رسول الله.

قال: ركعتان تركعهما.

ثم التفت إليه، فقلت: يا رسول الله أمرتني بالصلاة فما الصلاة.

قال: الصلاة خير موضوع فمن شاء أقل ومن شاء أكثر.

قلت: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل.

قالﷺ: الإيمان بالله ثم الجهاد في سبيله.

قلت: يا رسول الله، أي المؤمنين أكمل إيمانا.

قالﷺ: أحسنهم خلقا.

قلت: وأي المؤمنين أفضل.

قالﷺ: من سلم المسلمون من لسانه ويده.

قلت: وأي الهجرة أفضل.

قالﷺ: من هجر السوء.

قلت: وأي الليل أفضل.

قال:ﷺ: جوف الليل الغابر.

قلت: فأي الصلاة أفضل.

قالﷺ: طول القنوت.

قلت: فأي الصوم أفضل.

قالﷺ: فرض مجزئ وعند الله أضعاف ذلك.

قلت: فأي الصدقة أفضل.

قالﷺ: جهد من مقل إلى فقير في سر.

قلت: وأي الزكاة أفضل.

قالﷺ: أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها.

قلت: وأي الجهاد أفضل.

قال ﷺ: ما عقر فيه جواده وأهريق دمه.

قلت: وأي آية أنزلها الله عليك أعظم.

قال ﷺ: آية الكرسي.

قال، قلت يا رسول الله: فما كانت صحف إبراهيم عليه السلام.

قال: كانت أمثالا كلها أيها الملك المسلط المبتلى إني لم أبعثك لتجتمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها وإن كانت من كافر أو فاجر فجوره على نفسه وكان فيها أمثال وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدم وأخر وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال من المطعم والمشرب وعلى العاقل أن يكون ظاعنا إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى عليه السلام.

قال ﷺ: كانت عبرا كلها عجب لمن أيقن بالنار ثم ضحك عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجب لمن أبصر الدنيا وتقلبها بأهلها حالا بعد حال ثم هو يطمئن إليها عجب لمن أيقن بالحساب غدا ثم لم يعمل.

قلت: يا رسول الله فهل في الدنيا شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام مما أنزله الله عليك.

قال صلى الله عليه وآله: اقرأ يا أبا ذر (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا والآخِرَةُ خَيْرٌ وأَبْقى**) إنَّ هذا يعني ذكر هذه الأربع الآيات (**لَفِي الصُّحُفِ الأُولى صُحُفِ إِبْراهِيمَ ومُوسى**).

قلت: يا رسول الله أوصني.

قال: أوصيك بتقوى الله فإنه رأس أمرك كله.

فقلت: يا رسول الله زدني.

قال صلى الله عليه وآله: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل فإنه ذكر لك في السماء ونور في الأرض.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال صلى الله عليه وآله: عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: صلى الله عليه وآله: عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمور دينك.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال صلى الله عليه وآله: إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه.

قلت: يا رسول الله زدني.

قالﷺ انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك.

قلت: يا رسول الله زدني.

قالﷺ: صل قرابتك وإن قطعوك وأحب المساكين وأكثر مجالستهم.

قلت: يا رسول الله زدني.

قالﷺ: قل الحق وإن كان مرا.

قلت: يا رسول الله زدني.

قالﷺ: لا تخف في الله لومة لائم.

قلت: يا رسول الله زدني.

قالﷺ: يا أبا ذر ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجر عليهم فيما تأتي فكفى بالرجل عيبا أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه ويجر عليهم فيما يأتي.

قال ثم ضرب على صدري وقال يا أبا ذر: لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف عن المحارم ولا حسب كحسن الخلق).

الملحق الثاني

وصايا النبي صلى الله عليه وآله
لعبد الله بن مسعود

عن عبد اله بن مسعود قال : دخلت أنا وخمسة رهط من اصحابنا يوما على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد اصبتنا مجاعة شديدة ولم يكن رزقنا منذ أربعة اشهر الا الماء واللبن وورق الشجر ، فقلنا : يا رسول الله الى متى نحن على هذه المجاعة الشديدة ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا تزالون فيها ما عشتم فأحدثوا لله شكراً ، فإني قرأت كتاب الله الذي أنزل علي وعلى من كان قبلي فما وجدت من يدخلون الجنة إلا الصابرون .

يا ابن مسعود : قال الله تعالى: (**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**) . (**أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا**) . (**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**) .

يا ابن مسعود : قول الله تعالى : (**وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**) ، (**أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا**) . يقول الله تعالى : (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ**) .(**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**) . قلنا : يا رسول الله فمن الصابرون ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : الذين يصبرون على طاعة الله و اجتنبوا معصيته الذين كسبوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا فأفلحوا واصلحوا.

يابن مسعود : عليهم الخشوع والوقار والسكينة والتفكر واللين والعدل والتعليم والاعتبار والتدبير والتقوى والاحسان والتحرج والحب في اله والبغض في الله واداء الامانة والعدل في الحكمة واقامة الشهادة ومعاونة اهل الحق (على المسيء) والعفو عمن ظلم.

يابن مسعود: اذا ابتلوا صبروا واذا اعطوا شكروا واذا حكموا عدلوا واذا قالوا صدقوا واذا عاهدوا وفوا واذا اسائوا استغفروا واذا احسنوا استبشروا (**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**) (**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**) واللذين يبيتون لربهم سجدا وقياما (**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**).

يابن مسعود: و الذي بعثني بالحق ان هؤلاء هم الفائزون

يابن مسعود: فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فإن النور اذا وقع في القلب انشرح وانفسح ، فقيل : يا رسول الله فهل لذلك من علامة ؟ فقال : نعم ، التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فمن زهد في الدنيا قصر امله فيها وتركها لأهلها.

يابن مسعود: قول الله تعالى : (**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا**) يعني ايكم ازهد فيالدنيا انها دار الغرور ودار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له . ان احمق الناس من طلب الدنيا ، قال الله تعالى: (**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ**

عَذَابٌ شَدِيدٌ)) . وقال تعالى : (**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**) يعني الزهد في الدنيا . وقال تعالى لموسى عليه السلام (يا موسى لن يتزين المتزينون بزينة ازين في عيني من الزهد يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته) يا ابن مسعود انظر قول الله تعالى :(**وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ، وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**) وقوله: (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**).

يابن مسعود : من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف النار ترك الشهوات ومن ترقبالموت اعرض عن اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات يابن مسعود : اقرأ قول الله تعالى: (**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ**) الآية.

يا ابن مسعود : ان الله اصطفى موسى بالكلام والمناجات حتى كان يرى خضرة البقل في بطنه من هزاله وما سئل موسى عليه السلام حين تولى الى الظل الا طعاما يأكله من الجوع يابن مسعود ان شئت نبأتك بامر نوح (نبي الله عليه السلام) انه عاش الف سنة الا خمسين عاما يدعوا الى الله فكان اذا اصبح

قال لا امسي واذا امسى قال لا اصبح وكان لباسه الشعرة وطعامه الشعير وان شئت نبأتك بامر داود عليه السلام خليفة الله في الارض كان لباسه الشعر وطعامه الشعير وان شأت نبأتك بامر سليمان عليه السلام مع ما كان فيه من الملك كان يأكل الشعير ويطعم الناس الحوارى[1] وكان لباسه الشعر وكان اذا جنه الليل شد يده الى عنقه فلا يزال قائما يصلي حتى يصبح وان شأت نبئتك بأمر ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام كان لباسه الصوف وطعامه الشعير وان شأت نبأتك بأمر يحيى عليه السلام كان لباسه الليف وكان يأكل ورق الشجر وان شأت نبأتك بأمر عيسى بن مريم عليه السلام فهو العجب كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف ودابتي رجلاي وسراجي بالليل القمر واصطلائي في الشتاء مشارق الشمس وفاكهتي وريحانتي بقول الأرض مما يأكل الوحوش والأنعام أبيت وليس لي شيء واصبح وليس لي شيء وليس على وجه الارض احد اغنى مني .

يا ابن مسعود : كل هذا منهم يبغضون ما ابغض الله ويصغرون ما صغر الله ويزهدون ما ازهد الله وقد اثنى الله عليهم في محكم كتابه فقال لنوح عليه السلام : (**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**) وقال لإبراهيم عليه السلام: (**وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا**) وقال لداود عليه السلام (**إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ**) وقال لموسى عليه السلام (**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**) وقال ايضا لموسى عليه السلام (**وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**) وقال ليحيى عليه السلام (**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**) وقال لعيسى عليه السلام (**يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ**

(١) الحوارى - بالضم فالتشديد - : الدقيق الأبيض.

اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا) الى قوله **(وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي)** وقال : **(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)**.

يا ابن مسعود: كل ذلك لما خوفهم الله في كتابه من قوله **(وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ، لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ)** وقال تعالى : **(وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)**.

يا ابن مسعود : النار لمن ركب محرما والجنة لمن ترك الحلال ، فعليك بالزهد فإن ذلك مما يباهي الله به الملائكة وبه يقبل الله عليك بوجهه ويصلي عليك الجبار.

يا ابن مسعود : ما ينفع من يتنعم في الدنيا اذا اخلد في النار ، **(يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)** ، يبنون الدور ويشيدون القصور ويزخرفون المساجد ، ليست همتهم الا الدنيا عاكفون عليها معتمدون فيها ، آلهتهم بطونهم ، قال الله تعالى : **(وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ، فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَطِيعُونِ)** . وقال الله تعالى : **(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُّ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ)** الى قوله : **(أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ)** وما هو الا منافق، جعل دينه هواه والهه بطنه ، كل ما اشتهى من الحلال والحرام لم يمتنع منه ، قال الله تعالى: **(وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ)**.

يا ابن مسعود : محاريبهم نساؤهم ، وشرفهم الدراهم والدنانير ، وهمّتهم بطونهم ، أُولئك هم شر الأشرار ، الفتنة منهم وإليهم تعود.

يا ابن مسعود : اقرأ قول الله تعالى: (**أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**).

يا ابن مسعود : اجسادهم لا تشبع وقلوبهم لا تخشع .

يا ابن مسعود : الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فمن ادرك ذلك الزمان (ممن يظهر من اعقابكم فلا يسلم عليهم في ناديهم ولا يشيع جنائزهم ولا يعود مرضاهم ، فانهم يستنون بسنتكم ويظهرون بدعواكم ويخالفون افعالكم فيموتون على غير ملتكم اولئك ليسوا مني ولست منهم .

يا ابن مسعود : لا تخافن احدا غير الله ، فان الله تعالى يقول : (**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**) . ويقول: (**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آَمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ – الى قوله – وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**).

يا ابن مسعود : عليهم لعنة مني ومن جميع المرسلين و الملائكة المقربين وعليهم غضب الله وسوء الحساب في الدنيا و الآخرة ، وقال الله : (**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ – الى قوله – وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**).

يا ابن مسعود : اولئك يظهرون الحرص الفاحش والحسد الظاهر ويقطعون الارحام ويزهدون في الخير ، وقد قال الله تعالى: (**وَالَّذِينَ**

يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهَّ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُّ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) . وقال تعالى : **(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)**.

يا ابن مسعود : يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه مثل القابض على الجمرة في كفه ، فإن كان في ذلك الزمان ذئبا ، والا اكلته الذئاب .

يا ابن مسعود : علماؤهم وفقهائهم خونة فجرة ، الا انهم اشرار خلق الله، وكذلك اتباعهم ومن يأتيهم وياخذ منهم ويحبهم ويجالسهم ويشاورهم اشرار خلق الله يدخلهم نار جهنم **(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ)**، **(وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا)**، **(كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ)**، **(إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ)**، **(كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)** ، **(لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ)** .

يا ابن مسعود : يدعون انهم على ديني وسنتي و منهاجي وشرائعي انهم مني براءة وانا منهم بريء.

يا ابن مسعود : لا تجالسوهم في الملأ ولا تبايعوهم في الاسواق ، ولا تهدوهم الى الطريق ، ولا تسقوهم من ماء ، قال الله تعالى : **(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ)** ، يقول

الله تعالى :(**وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**).

يا ابن مسعود : ما بلوى امتي منهم العداوة والبغظاء والجدال اولئك اذلاء هذه الأمة في دنياهم . والذي بعثني بالحق ليخسفن الله بهم ويمسخهم قردة وخنازير . قال : فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبكينا لبكائه وقلنا : يا رسول الله ما يبكيك ؟ فقال : رحمة للاشقياء ، يقول الله تعالى : (**وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ**) . يعني العلماء والفقهاء

يا ابن مسعود : من تعلم العلم يريد به الدنيا و اثر عليه حب الدنيا وزينتها استوجب سخط الله عليه وكان في الدرك الاسفل من النار مع اليهود والنصارى والذين نبذوا كتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : (**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**) .

يا ابن مسعود : من تعلم القرآن للدنيا وزينتها حرم الله عليه الجنة .

يا ابن مسعود : من تعلم العلم ولم يعمل بما فيه حشره الله يوم القيامة أعمى . ومن تعلم العلم رثاء وسمعة يريد به الدنيا نزع الله بركته وضيق عليه معيشته ووكله الله الى نفسه ، ومن وكله الله الى نفسه فقد هلك ، قال الله تعالى: (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**).

يا ابن مسعود : فليكن جلساؤك الابرار واخوانك الاتقياء والزهاد ،

لأن الله تعالى قال في كتابه : (**الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ**) .

يا ابن مسعود : إعلم انهم يرون المعروف منكرا والمنكر معروفا ففي ذلك يطبع الله على قلوبهم فلا يكون فيهم الشاهد بالحق ولا القوامون بالقسط، قال الله تعالى : (**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**) .

يا ابن مسعود يتفاضلون باحسابهم واموالهم يقول الله تعالى : (**وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ، إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ، وَلَسَوْفَ يَرْضَى**).

يا ابن مسعود : عليك بخشية الله تعالى واداء الفرائض ، فإنه يقول : (**هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ**) . ويقول : (**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**) .

يا ابن مسعود : دع عنك ما لا يغنيك وعليك بما يغنيك ، فإن الله تعالى يقول : (**لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**) .

يا ابن مسعود : (اياك ان تدع طاعة الله وتقصد معصيته شفقة على اهلك ، لأن الله تعالى يقول : (**النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ**) .

يا ابن مسعود : احذر الدنيا ولذاتها وشهواتها وزينتها واكل الحرام والذهب والفضة والركب والنساء ، فإنه سبحانه يقول : (**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ**

الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ، قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ).

يا ابن مسعود : لا تغترن بالله ولا تغترن بصلاحك وعلمك وعملك وبرك وعبادتك .

يا ابن مسعود : اذا تلوت كتاب الله تعالى فأتيت على آية فيها امر ونهي فرددها نظرا واعتبارا فيها ولا تسه عن ذلك ، فان نهيه يدل على معاصي وامره يدل على عمل البر والصلاح ، فإن الله تعالى يقول : (**إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**) .

يا ابن مسعود : لا تحقرن ذنبا ولا تصغرنه واجتنب الكبائر ، فإن العبد اذا نظر يوم القيامة الى ذنوبه دمعت عيناه قيحا ودما ، يقول الله تعالى : (**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا**) .

يا ابن مسعود : اذ قيل لك : اتق الله فلا تغضب ، فإنه يقول : (**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ**) .

يا ابن مسعود قصر املك ، فاذا اصبحت فقل : (اني لا امسي) ، واذا امسيت فقل : (اني لا اصبح) واعزم على مفارقة الدنيا واحب لقاء الله ولا تكره لقاءه ، فان الله يحب لقاء من يحب لقاءه ويكره لقاء من يكره لقاءه.

يا ابن مسعود : لا تغرس الاشجار ولا تجر الأنهار ولا تزخرف البنيان ولا تتخذ الحيطان والبستان ، فإن الله تعالى يقول : (**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**).

يا ابن مسعود: والذي بعثني بالحق ليأتي على الناس زمان يستحلون الخمر ويسمونه النبيذ . عليهم لعنة الله و الملائكة والناس اجمعين انا منهم بريء وهم مني براء.

يا ابن مسعود : الزاني بامه اهون عند الله ممن يدخل في ماله من الربا مثقال حبة من خردل . ومن شرب المسكر قليلا كان او كثيرا فهو اشد عند الله من آكل الربا ، لأنه مفتاح كل شر .

يا ابن مسعود : اولئك يظلمون الأبرار ويصدقون الفجار (والفسقة) ، الحق عندهم باطل والباطل عندهم حق حق هذا كله للدنيا وهم يعلمون انهم على غير حق ولكن زين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، (**رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**) .

يا ابن مسعود : قال تعالى : (**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ، حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ**) .

يا ابن مسعود : انهم ليعيبون على من يقتدي بسنتي وفرائض الله ، قال الله تعالى : (**فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ، إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**) .

يا ابن مسعود : احذر سكر الخطيئة ، فان للخطيئة سكرا كسكر الشراب بل هي اشد سكرا منه ، يقول الله تعالى : (**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ**) . ويقول : (**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**) .

يا ابن مسعود : الدنيا ملعونة ، ملعون من فيها وملعون من طلبها واحبها ونصب لها ، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى : (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**) . وقوله تعالى: (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ**).

يا ابن مسعود : اذا عملت عملا فاعمله لله خالصا ، لانه لا يقبل من عباده الاعمال الا ما كان له خالصا ، فانه يقول : (**وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ، إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ، وَلَسَوْفَ يَرْضَى**) .

يا ابن مسعود : دع نعيم الدنيا واكلها وحلاوتها وحارها وباردها ولينها وطيبها الزم نفسك الصبر عنها ، فانك مسؤول عن هذا كله ، قال الله تعالى : (**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**).

يا ابن مسعود : لا تلهينك الدنيا وشهواتها ، فان الله تعالى يقول : (**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**) .

يا ابن مسعود: اذ عملت عملا من البر وانت تريد بذلك غير الله فلا ترج بذلك منه ثوابا ، فانه يقول : (**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**).

يا ابن مسعود : اذا مدحك الناس فقالوا : انك تصوم النهار وتقوم الليل

وانت على غير ذلك فلا تفرح بذلك ، فان الله تعالى يقول : (**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**).

يا ابن مسعود : اكثر من الصالحات والبر ، فان المحسن والمسيء يندمان ، يقول المحسن : يا ليتني ازددت من الحسنات . ويقول المسيء : قصرت ، وتصديق ذلك قوله تعالى : (**وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**).

يا ابن مسعود : لا تقدم الذنب ولا تؤخر التوبة ولكن قدم التوبة واخر الذنب فان الله تعالى يقول في كتابه : (**بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**) .

يا ابن مسعود : اياك ان تسن سنة بدعة ، فان العبد اذا سن سنة سيئة لحقه وزرها ووزر نمعمل بها ، قال الله تعالى : (**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**) . وقال سبحانه: (**يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**).

يا ابن مسعود: لا تركن الى الدنيا ولا تطمئن اليها فستفارقها عن قليل ، فان الله تعالى يقول : (**أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ**) .

يا ابن مسعود : تذكر القرون الماضية والملوك الجبابرة الذين مضوا ، فان الله تعالى يقول : (**وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا**).

يا ابن مسعود : اياك والذنب سرا وعلانية ، صغيرا و كبيرا ، فان الله تعالى حيثما كنت يراك و(**هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**) .

يا ابن مسعود : اتق الله في السر والعلانية والبر والبحر والليل والنهار ، فانه يقول : (**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**).

يا ابن مسعود : اتخذ الشيطان عدوا ، فان الله تعالى يقول : (**ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا**) . ويقول عن ابليس : (**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**). ويقول : (**فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ، لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**) .

يا ابن مسعود: لا تأكل الحرام ولا تلبس الحرام ولا تاخذ من الحرام ولا تعص الله ، لان الله تعالى يقول لإبليس : (**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالأَولادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا**) . وقال : (**فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ**).

يا ابن مسعود : خف الله في السر والعلانية ، فان الله تعالى يقول : (**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**) ولا تؤثرن الحياة الدنيا على الاخرة باللذات والشهوات، فإنه تعالى يقول في كتابه : (**فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**) يعني الدنيا الملعونة والملعون ما فيها الا ما كان لله.

يا ابن مسعود : لا تخونن احدا في مال يضعه عندك او أمانة ائتمنك عليها ، فان الله تعالى يقول : (**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**) .

يا ابن مسعود: لا تتكلم بالعلم الا بشيء سمعته ورأيته ، فان الله تعالى يقول : (**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا**) . وقال (**سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**) . وقال : (**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**). . وقال: (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**) .

يا ابن مسعود: لا تهتم للرزق ،فانالله تعالى يقول : (**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِّ رِزْقُهَا**) . وقال : (**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**) . وقال : (**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُّ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) .

يا ابن مسعود : والذي بعثني بالحق [نبيا] ان من يدع الدنيا ويقبل على تجارة الآخرة ، فان الله تعالى يتجر له من وراء ، قال الله تعالى : (**رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِّ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ**) .

فقال ابن مسعود : بابي انت وامي يا رسول الله كيف لي بتجارة الآخرة ؟ فقالﷺ : لا تريحن لسانك عن ذكر الله ، وذلك ان تقول : (سبحان الله والحمد لله و لا اله الا الله والله اكبر) فهذه التجارة المربحة . وقال الله تعالى : (**يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ، لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ**) .

يا ابن مسعود : كل ما ابصرته بعينك واستخلاه قلبك فاجعله لله فذلك تجارة الآخرة ، لان الله يقول : (**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِّ بَاقٍ**).

يا ابن مسعود : اذا تكلمت بلا اله الا الله ولم تعرف حقها فانه مردود عليك . ولا يزال يقول : لا اله الا الله الى ان يرد غضب اله عنالعباد حتى اذا لم ينالوا ما ينقص من دينهم بعد اذ سلمت دنياهم ، يقول الله تعالى : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) .

يا ابن مسعود : احب الصالحين ن فان المرء مع من احب ، فان لم تقدر على اعمال البر فاحب العلماء ، فانه يقول : (مَنْ يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُّ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) .

يا ابن مسعود: اياك ان تشرك بالله طرفة عين وان نشرت بالمنشار او قطعت او صلبت او احرقت بالنار ، يقول الله تعالى : (وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهَّ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) .

يا ابن مسعود: اصبر مع الذين يذكرون الله ويسبحونه ويهللونه ويحمدونه ويعملون بطاعته ويدعونه بكرة وعشيا ، فان الله تعالى يقول : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ).

يا ابن مسعود: لا تختر على ذكر الله شيئا ، فان الله يقول : (وَلَذِكْرُ اللهَّ أَكْبَرُ). ويقول : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ). ويقول : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) ويقول : (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) .

يا ابن مسعود: عليك بالسكينة و الوقار وكن سهلا لينا عفيفا مسلما تقيا نقيا بارا طاهرا مطهرا صادقا خالصا سليما صحيحا لبيبا صالحا صبورا شكورا مؤمنا ورعا عابدا زاهدا رحيما عالما فقيها ، يقول الله تعالى : (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ**) . (**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**) ، (**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**) ، (**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**) ، **وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ، أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ، خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا**) .

وقال الله تعالى : (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) . وقال الله تعالى: (**أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ**). وقال: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (إلى قوله) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**).

يا ابن مسعود: لا تحملنك الشفقة على أهلك وولدك على الدخول

في المعاصي والحرام، فإن الله تعالى يقول: (**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ، إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**) . وعليك بذكر الله والعمل الصالح، فإن الله تعالى يقول: (**وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا**).

يا ابن مسعود: لا تكونن ممن يهدي الناس إلى الخير ويأمرهم بالخير وهو غافل عنه، يقول الله: (**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**).

يا ابن مسعود: عليك بحفظ لسانك، فإن الله تعالى يقول: (**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**).

يا ابن مسعود: عليك بإصلاح السريرة، فإن الله تعالى يقول: (**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ، فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ**).

يا ابن مسعود: إحذر يوما تنشر فيه الصحائف وتظهر فيه الفضائح، فإنه تعالى يقول: (**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**).

يا ابن مسعود: اخش الله بالغيب كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ويقول الله تعالى: (**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ، ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ**).

يا ابن مسعود: أنصف الناس من نفسك وانصح الامة وارحمهم، فإذا كنت كذلك وغضب الله على أهل بلدة أنت فيها وأراد أن ينزل عليهم العذاب نظر إليك فرحمهم بك، يقول الله تعالى: (**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**).

يا ابن مسعود: إياك أن تظهر من نفسك الخشوع والتواضع للادميين وأنت فيما بينك وبين ربك مصر على المعاصي والذنوب، يقول الله تعالى: (**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**).

يا ابن مسعود: لا تكن ممن يشدد على الناس ويخفف عن نفسه، يقول الله تعالى: (**لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ**).

يا ابن مسعود: إذا عملت عملا فاعمل بعلم وعقل، وإياك وأن تعمل عملا بغير تدبر وعلم، فإنه جل جلاله يقول: (**وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا**).

يا ابن مسعود: عليك بالصدق ولا تخرجن من فيك كذبة أبدا وأنصف الناس من نفسك وأحسن، وادع الناس إلى الاحسان، وصل رحمك، ولا تمكر بالناس، وأوف الناس بما عاهدتهم، فإن الله تعالى يقول: (**إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**).

مصادر التحقيق وتخريج الاحاديث

١- إبن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، دار الشريف الرضي، قم، توفي سنة ٣٦٣هـ.

٢- الأهوازي، الحسين بن سعيد، الزهد، الناشر السيد أبو الفضل حسينيان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٣- الإحسائي، إبن أبي جمهور، عوالي اللآلي، دار سيد الشهداء للنشر، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، توفي في القرن العاشر للهجرة.

٤- الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، إيران ـ قم المقدسة، الطبعة الأولى المحققة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٥- أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ، استشهد في سنة ٤٠ هـ.

٦- الإسكافي، محمد بن همام، التمحيص، مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، توفي في سنة ٣٣٦هـ.

٧- الأسترآبادي، شرف الدين، تأويل الآيات الظاهرة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، المتوفي سنة ٩٤٠هـ.

٨- الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة، مكتبة بني هاشمي، تبريز، ١٣٨١هـ، توفي سنة ٦٩٣هـ.
٩- البهائي، محمد بن الحسين، مفاتح الفلاح، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، توفي سنة ١٠٣٠هـ.
١٠- البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، دار الكتب الإسلامية، قم، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ، توفي في سنة ٢٧٤هـ.
١١- الجزائري، نعمة الله، قصص الأنبياء عليهم السلام للسيد الجزائري، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤هـ، توفي في سنة ١١١٢هـ.
١٢- الديلمي، الحسن بن أبي الحسن، أعلام الدين، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، توفي في سنة ٨٤١ هـ.
١٣- الديلمي، الحسن بن أبي الحسن، إرشاد القلوب، دار الشريف الرضي للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، توفي سنة ٨٤١هـ.
١٤- الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، دار الهادي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، توفي سنة ٨٠ هـ.
١٥- ورام، إبن أبي فراس، مجموعة ورام، مكتبة الفقيه، قم، طبقاً لنسخة دار التعارف في بيروت المطبوعة في سنة ١٣٧٦هـ، توفي سنة ٦٠٥هـ.
١٦- الحلي، إبن بطريق يحيى بن الحسن، العمدة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٧هـ، توفي سنة ٦٠٠هـ.

١٧- الحلي، إبن نما، مثير الأحزان، مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، توفي في سنة ٦٤٥هـ.
١٨- الحلي، أحمد بن فهد، عدة الداعي، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، توفي في سنة ٨٤١ هـ.
١٩- الحلي، الحسن بن يوسف، نهج الحق، مؤسسة دار الهجرة، قم، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، توفي سنة ٧٢٦ هـ.
٢٠- الحلي، الحسن بن يوسف، رجال العلامة الحلي، دار الذخائر، قم، ١٤١١هـ، صُورت هذه النسخة طبقاً للطبعة الثانية للمكتبة الحيدرية في النجف الأشرف، المطبوعة في سنة ١٣٨١هـ، توفي سنة ٧٢٦ هـ.
٢١- الحلي، علي بن طاووس، الطرائف، مطبعة الخيام، قم ، ١٤٠٠هـ، توفي في سنة ٦٦٤.
٢٢- الحلي، علي بن طاووس، فلاح السائل، مكتبة الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية، قم، توفي في سنة ٦٦٤هـ.
٢٣- الحلي، علي بن طاووس، اللهوف، دار العالم (جهان) للنشر، طهران، ١٣٤٨هـ.ش.
٢٤- الحلي بن طاووس، الإقبال بالأعمال الحسنة، دار الكتب الإسلامية طهران، الطبعة الثانية،١٣٦٧هـ، توفي سنة ٦٦هـ.
٢٥- الحلي، علي بن طاووس، التحصين لأسرار مازاد من أخبار كتاب اليقين، مؤسسة دار الكتاب، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، المتوفي سنة ٦٦٤هـ.

٢٦- الحلي، علي بن طاووس، سعد السعود، دار الذخائر، قم، طبقاً لنسخة مطبوعة في النجف الأشرف سنة ١٣٦٩هـ، توفي سنة٦٦٤هـ.

٢٧- الحسكاني، عبيد الله، شواهد التنزيل، مؤسسة النشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٨- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، توفي في سنة١١٠٤هـ.

٢٩- الحراني، أبو محمد الحسن بن علي، تحف العقول، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، توفي في القرن الرابع للهجرة.

٣٠- الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، دار الذخائر للمطبوعات، قم، صُورت هذه النسخة طبقاً لنسخة المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف، المطبوعة في سنة ١٣٨٣هـ.

٣١- الطبري، عماد الدين، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، المكتبية الحيدرية النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ، توفي بعد سنة٥٥٣هـ.

٣٢- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، إعلام الورى، دار الكتب الإسلامية، قم، الطبعة الثالثة، توفي سنة ٥٤٨هـ.

٣٣- الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، دار الشريف الرضي، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ، توفي في القرن السادس للهجرة.

٣٤- الطوسي، أبو جعفر، تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥هـ.ش، توفي سنة ٤٦٠هـ.
٣٥- الطوسي، أبو جعفر، الأمالي، دار الثقافة للنشر، قم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، توفي سنة ٤٦٠هـ.
٣٦- الكوفي، محمد بن محمد الأشعث، الجعفريات، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.
٣٧- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥هـ.ش. توفي في سنة ٣٢٩هـ.
٣٨- الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي، كنز الفوائد، دار الذخائر، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، توفي في سنة ٤٤٩هـ.
٣٩- الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي، معدن الجواهر، المكتبة الرضوية، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ، توفي سنة ٤٤٩هـ.
٤٠- الكراجكي، أبو الفتح، كنز الفوائد، دار الذخائر، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، توفي في سنة ٤٤٩هـ.
٤١- الكشي، محمد بن عمر، رجال الكشي، مؤسسة النشر في جامعة مشهد، ١٣٤٨هـ، توفي في حدود سنة ٣٥٠ هـ.
٤٢- المازندراني، محمد بن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، مؤسسة العلامة للنشر، قم، ١٣٧٩هـ، توفي سنة ٥٨٨هـ.
٤٣- المازندراني، محمد بن شهرآشوب، متشابه القرآن، دار بيدار للنشر، ١٣٦٩هـ، توفي في سنة ٥٨٨هـ.

٤٤- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ، توفي في سنة ١١١٠هـ.
٤٥- المحدث النوري، حسين، مستدرك الوسائل، مؤسسة آل لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، توفي في سنة ١٣٢٠هـ.
٤٦- المعتزلي، إبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، طبقاً للطبعة الثانية التي نشرتها دار إحياء الكتب العربية والتي تمت طباعتها سنة ١٣٨٧هـ، توفي في سنة ٦٥٦هـ
٤٧- المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، توفي سنة ٤١٣هـ.
٤٨- المفيد، محمد بن محمد، المسائل العكبرية، المؤتمر العلمي لألفية الشيخ المفيد، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، توفي في سنة ٤١٣هـ.
٤٩- المفيد، محمد بن محمد، الأمالي، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، توفي في سنة ٤١٣هـ.
٥٠- المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص، المؤتمر العلمي لألفية الشيخ المفيد، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، توفي سنة ٤١٣هـ.
٥١- المفيد، محمد بن محمد، الحكايات، المؤتمر العلمي لألفية الشيخ المفيد، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، توفي سنة ٤١٣هـ.
٥٢- العاملي، زين الدين بن علي، منية المريد، مكتب الإعلام الإسلامي الحوزة العلمية، قم، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ. استشهد في سنة ٩٦٦هـ.

٥٣- العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، المطبعة العلمية، طهران، ١٣٨٠هـ، توفي سنة ٣٢٠هـ.

٥٤- الفتال، محمد بن الحسن، روضة الواعظين، دار الرضي للنشر، قم، طبقاً لنسخة طُبعت سنة ١٣٨٦هـ في النجف الأشرف، توفي في سنة ٥٠٨هـ.

٥٥- الصادق، جعفر بن محمد عليهما السلام، مصباح الشريعة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، أستشهد في سنة ١٤٨هـ.

٥٦- الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، المكتبة الإسلامية، الطبعة الرابعة المصححة ١٤٠٤هـ، توفي سنة ٣٨١ هـ.

٥٧- الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، دار العالم للنشر (جهان)، ١٣٧٨هـ، توفي سنة ٣٨١هـ.

٥٨- الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣هـ، توفي سنة ٣٨١هـ.

٥٩- الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، الطبعة الثالثة، توفي في سنة ٣٨١هـ.

٦٠- الصدوق، محمد بن علي، صفات الشيعة، دار الأعلمي، طهران، توفي في سنة ٣٨١هـ.

٦١- الصدوق، محمد بن علي، الخصال، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، توفي في سنة ٣٨١.

٦٢- الصدوق، محمد بن علي، فضائل الأشهر الثلاثة، مكتبة الداوري، قم، طبقاً للطبعة الثانية للكتاب التي طُبعت سنة ١٣٩٧هـ من قِبَل مطبعة الآداب في النجف الأشرف، توفي سنة ٣٨١هـ.

٦٣- الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، مكتبة الداوري، قم، طبقاً لنسخة المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف، المطبوعة في سنة ١٣٨٦هـ، توفي في سنة ٣٨١هـ.

٦٤- الصدر، محمد، خطب صلاة الجمعة في مسجد الكوفة المعظم، استشهد في ٣ ذي القعدة ١٤١٩هـ.

٦٥- الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، توفي سنة ٢٩٠ هـ.

٦٦- القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، مؤسسة دار الكتاب، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٦٧- الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، توفي سنة ٥٧٣ هـ.

٦٨- الراوندي، قطب الدين، قصص الأنبياء عليهم السلام للراوندي، مؤسسة

البحوث الإسلامية في الأستانة الرضوية، مشهد المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٦٩- الرضا، الإمام علي بن موسى عليهما السلام، صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، أُستشهد سنة ٢٠٣هـ.

٧٠- الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين، خصائص الأئمة عليهم السلام، مجمع البحوث الإسلامية التابع للأستانة الرضوية، مشهد المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، توفي في سنة ٤٠٦هـ.

٧١- العاملي، زين الدين بن علي، مسكن الفؤاد، مكتبة بصيرتي، قم، الطبعة الحجرية، وقد كتبها محمد صادق التويسركاني، وأتمها في سنة ١٣١٠هـ، أستشهد في سنة ٩٩٦هـ.

٧٢- العسكري، الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، تفسير الإمام العسكري عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، استشهد في سنة ٢٦٠هـ.

الفهرس

حاجتنا إلى الأسوة الحسنة ٧

مقومات نجاح رسالة الاسلام ٧

نتائج تطبيق الرسالة الاسلامية ١١

أهمية الأسوة الحسنة ١٥

الرسول الكريم صلى الله عليه وآله خير اسوة ١٦

مسئوليتنا اليوم أضخم من الماضي ١٧

الحرب التي يعيشها الاسلام اليوم ٢١

علينا أن لا نتبوء موقعاً إلا بجدارة ٢٣

دراسة سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله كقائد ومصلح: ٢٤

مقارنة بين حال العرب قبل الإسلام وبعده ٢٧

قلة المصادر التي كتبت في السيرة من مدرسة أهل البيت عليهم السلام ٤٠

القرآن هو المصدر الرئيسي لدراسة سيرته صلى الله عليه وآله ٤٥

تصنيف الدراسة ٤٥

المحور الأوّل: في بناء الذات

أساس البناء المعرفة بالله تبارك وتعالى ٥١

الالتفات إلى العلل أهم من المعلولات ٥٩

عودة الى الحديث عن المعرفة بالله تبارك وتعالى ٦٤
خصائص نفسية للنبي صلى الله عليه وآله ٦٩
صفات القائد الرسالي المبنية على المعرفة بالله تبارك وتعالى ٧٢

المحور الثاني: في سياسة الأمة

كيف خط رسول الله صلى الله عليه وآله للخلافة من بعده ١٦٣
ماذا خسرت الامة حينما ولت امرها من لا يستحق ١٩٠

الملحق الاول

وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي ذر ٢١٧

الملحق الثاني

وصايا النبي صلى الله عليه وآله لعبد الله بن مسعود ٢٤٥
مصادر التحقيق وتخريج الاحاديث ٢٦٥
الفهرس ٢٧٥